الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة غرداية



كلية العلوم الإجتماعية والإنسانية

قسم العلـوم الإسلاميـة

رسالة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه علوم موسومة ب :

حـركـة التـفسـير في الجـزائـر

من الفتح الإسلامي إلى القرن الثامن الهجري

تخصص : التفسير وعلوم القرآن

إعداد الطالب : عبديش براهيم

لجنة المناقشة :

الرقم	الاسم واللقب	الرتبة	الجامعة الأصلية	الصفة
01	محمد حدبون	أستاذ	جامعة غرداية	رئيسا
02	خير الدين سيب	أستاذ	جامعة تلمسان	مشرفا ومقرّرا
03	ميلود ربيعي	أستاذ	المركز الجامعي بالنعامة	مشرفا مساعدا
04	محمد بولقصاع	أستاذ محاضر أ	جامعة غرداية	ممتحنا
05	إبراهيمي طاهر	أستاذ	جامعة غرداية	ممتحنا
06	باي بن زيد	أستاذ محاضر أ	جامعة تلمسان	ممتحنا

السنة الجامعية :1442ه . 1443ه/ 2021م . 2022 م

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة غرداية



كلية العلوم الإجتماعية والإنسانية

قسم العلـــوم الإسلاميـــة

رسالة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه علوم موسومة ب :

حـركـة التـفســير في الجــزائر

من الفتح الإسلامي إلى القرن الثامن الهجري

تخصص : لغة ودراسات قرآنية

إعداد الطالب : عبديش براهيم

لجنة المناقشة :

الرقم	الاسم واللقب	الرتبة	الجامعة الأصلية	الصفة
01	محمد حدبون	أستاذ	جامعة غرداية	رئيسا
02	خير الدين سيب	أستاذ	جامعة تلمسان	مشرفا ومقرّرا
03	ميلود ربيعي	أستاذ	المركز الجامعي بالنعامة	مشرفا مساعدا
04	محمد بولقصاع	أستاذ محاضر أ	جامعة غرداية	ممتحنا
05	إبراهيمي طاهر	أستاذ	جامعة غرداية	ممتحنا
06	باي بن زيد	أستاذ محاضر أ	جامعة تلمسان	ممتحنا

السنة الجامعية :1442هـ . 1443هـ/ 2021م. 2022 م


بسم الله الرحمن الرحيم

إهـــــداء

إلى والدي رحمه الله وجعل الجنة داره ومثواه

إلى والدتي بارك الله في عمرها ورزقني برّها

إلى الزوجة الكريمة حفظها الله وأكرمها

إلى أولادي : محمد عياض وأختاه آلاء وولاء

رزقهم الله العلم النافع والعمل الصالح

شكر وعرفان

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبيّ بعده

وبعد : فإنّ الشكر ابتداء وانتهاء لله سبحانه وتعالى، أحمده وأشكره على توفيقه وتيسيره، ومعونته وتسديده.

ثم أسدي خالص شكري وتقديري، وفائق احترامي وامتناني إلى أستاذي الفاضل المشرف على هذا البحث فضيلة الأستاذ الدكتور : **سيف خير الدين** . حفظه الله تبارك وتعالى وبارك في عمره وعلمه . الذي تفضّل بقبول الإشراف على هذا البحث، موجّها وناصحا ومعينا، أسأل الله عزّ وجلّ أن يجعل هذا الجهد في ميزان حسناته.

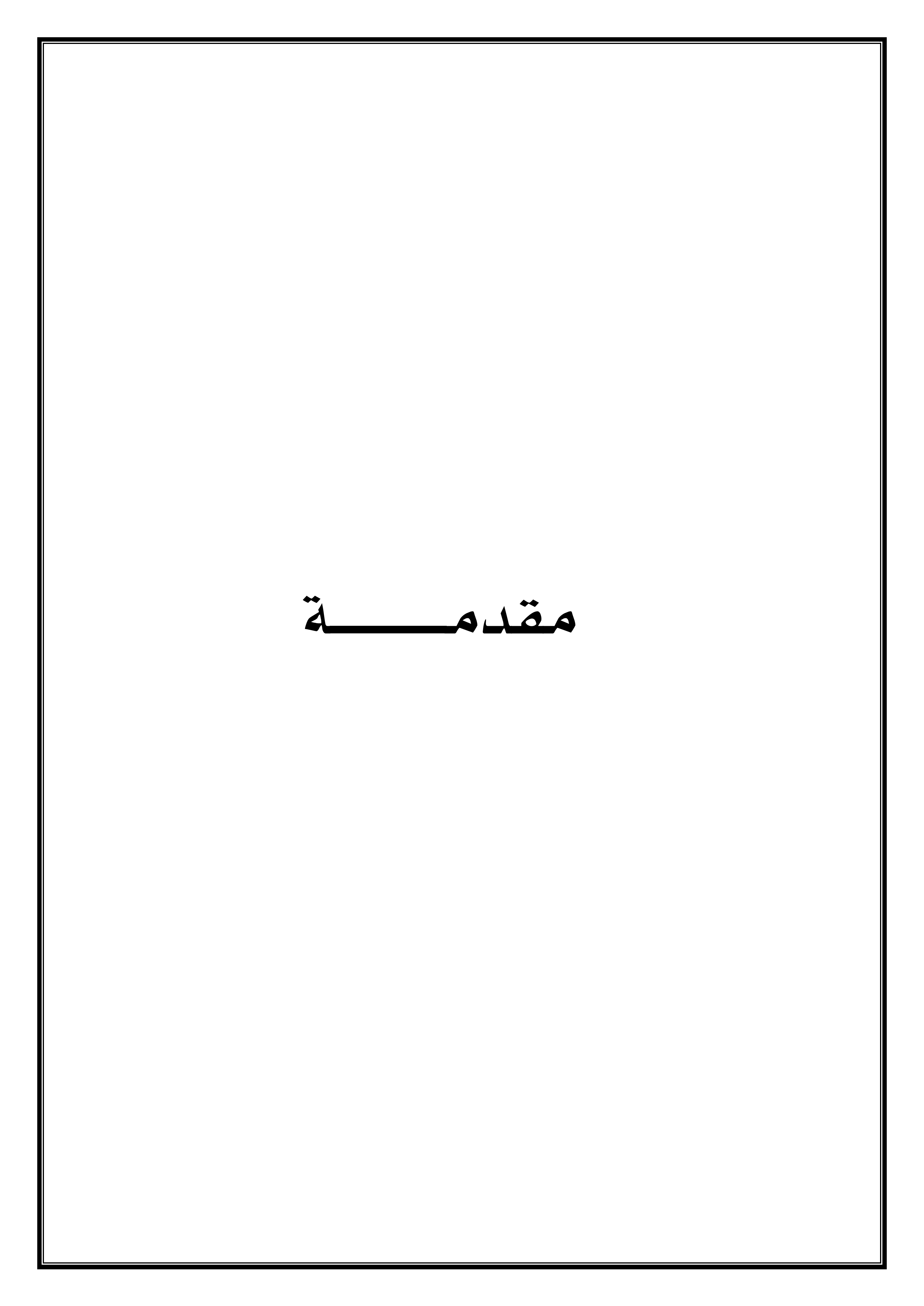
وإلى فضيلة الأستاذ الدكتور : ربيعي ميلود الذي لم يبخل عليّ بتوجيهاته وتسديداته جزاه الله خيرا.

كما أتقدم بالشكر الجزيل إلى السادة الدكاترة الأفاضل أعضاء لجنة المناقشة الموقّرة، على تفضلهم بقراءة هذه المذكرة ومناقشتها لإمدادي بنصائحهم وتوجيهاتهم وإرشاداتهم، فشكر الله جهدهم وفضلهم.

والشكر موصول إلى كافّة القائمين على كلّية العلوم الإجتماعية والإنسانية بجامعة غرداية، وخصوصا القائمين على قسم العلوم الإسلامية، ولكلّ من ساهم في إعداد مجلس المناقشة.

وإلى كلّ من أمدّني بالعون في هذا البحث ولو بكلمة طيبة أو دعوة صادقة، جزى الله الجميع عنّي خيرا.

والحمد لله أولا وآخرا



مقدمـــــــــة

مقدمة : الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجا، والصلاة والسلام على سيدنا محمد البشير النذير الذي بلغ الرسالة وأدّى الأمانة وبين للناس ما نُزّل إليهم من ربهم ولعلهم يتفكرون، وعلى آله الطيبين الطاهرين وصحابته الأكرمين والتابعين ومن سار على نهجهم إلى يوم الدين.

أمّا بعد : فقد أشرقت شمس هذا القرآن الكريم فجرا جديدا على أهل البسيطة مشرقا ومغربا، وسطعت أنواره على الخلائق عربا وعجما، فتطلّعوا إلى فهم كلام الله وبيانه وتفسيره، تأسّيا بنبيّنا صلى الله عليه وسلم الذي كان أوّل مفسر للقرآن يُبيّن مُجمله، ويُميّز ناسخه من منسوخه، ويُوضّح ما أشكل على الصحابة من معانيه : ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [النحل : 44].

ثمّ تولّى الصحابة الكرام مُهمّة التبليغ والبيان للقرآن وهم أهل ذلك والأحقُّ به، لما فُطروا عليه من سليقة عربية، ولما شاهدوه من ملابسات التنزيل، وما أوتوه من مدارك التأويل، واشتهر منهم : عليّ بن أبي طالب، وعبد الله بن مسعود، وعبد الله بن عباس.

هذا الأخير ترجمان القرآن عبد الله بن عباس بما له من تبحّر في التفسير، وبيان واسع وتأويل معتمد، قدم المغرب العربي مع جيش الفتح الإسلامي في جملة من الصحابة الكرام، على ما في " رياض النفوس للمالكي " [رياض النفوس : ج 1،ص 16.15]، وقد أخذ عنه من غير شك بيان ما كان يحتاج إليه من الآيات والأحكام، وبيان القرآن الكريم للمسلمين الجدد يومئذ هو أساس تعليم هذا الدين وعمود الدعوة إليه.

ثمّ تولّى التابعون مهمّة تفسير كلام الله وقد دخل عدد منهم المغرب العربي مع جيش الفتح الإسلامي كما في " معالم الإيمان للدباغ "[ص 151]، و" طبقات إفريقية لأبي العرب " [ج1،ص 19] وغيره، فقد بنى عقبة بن نافع رحمه الله (ت 63هـ) عدة مساجد والتي كانت بلا شك مراكز ومنابر للقرآن الكريم وتفسيره، وترك صاحبه شاكرا في بعض مدن المغرب الأوسط لتعليم البربر مبادئ الإسلام، ثم جاء حسّان بن النعمان الذي عيّن مجموعة من فقهاء التابعين لتعليم البربر العربية والفقه ومبادئ الإسلام.

إضافة إلى أنّ الخليفة عمر بن عبد العزيز رحمه الله بعث عشرة نفر يعلّمون البربر أحكام الإسلام والقرآن، وفعل موسى بن نصير رحمه الله مثل ذلك قبله.

ونقل الأئمة الفقهاء كلاما في التفسير جمعه التلاميذ من بعدهم، ومنهم الإمام مالك بن أنس فقد روى عنه المخزومي جملة من التفسير، كما ذكر ذلك القاضي عياض في المدارك [ج2ص93]، وما تمّ نقله من الروايات الأولى للأحاديث النبوية، إذ كانت تحمل بابا في التفسير غالبا، ولم تنقطع الرحلة العلمية إلى المدينة ومصر منذ أن تشرّف أهل المغرب باعتناق هذا الدين العظيم.

ومنذ ذلك الزمان تتابع عمل التفسير رواية له واشتغالا به، لتعلُّقه بأشرف كتاب ولشدّة الحاجة إليه، للتمسك بالمعتقد الصحيح والعمل القويم، خاصة بعد ما عرف المغرب العربي الاختلاف وظهور الفرق.

كلُّ هذا يبيّن أن حركة التفسير بدأت مبكرة، فقد صاحبت المجالس الأولى التي كان يقيمها الفاتحون من الصحابة والتابعين، وكلّ هذا يعتبر أرضية وأساسا لمدرسة التفسير بالجزائر.

أهمية الموضوع :

بتتبع كتب الطبقات والتراجم والتاريخ يظهر جليا أن عددا من علماء المغرب الأوسط ـ الجزائر فيما بعد ـ اشتغلوا بالتفسير رواية ودراية، واهتموا بمباحث القرآن، أسوة بما كان يتمّ إنتاجه بالمشرق وأرض الأندلس من بعد من بلاد الإسلام، فمدرسة التفسير بالجزائر قائمة منذ زمن بعيد يدلّ على ذلك كثرة أعلامها وإنتاجها العلمي المتعدد والمتنوع (أهل السنة والإباضية) فنجد تفسير هود بن محكم الهواري، وتفسير أحمد بن نصر الداودي وقد توفرت نصوص كثيرة منه، وتفسير أبو العباس الباغاني، وتفسير النميلي، وتفسير أبو علي المسيلي، والوارجلاني، وتفسير أحمد بن ادريس البجائي والوهراني، والشريف التلمساني، والمقري، وأحمد بن العباس النقاوسي...وغيرهم.

كلّ هذه الأسماء وغيرها جديرة بالتنقيب والبحث عن إنتاجها التفسيري، ورصد أماكن وجوده من مكتبات العالم، وفي بطون كتب التراجم والطبقات، وبذلك يستطيع الباحث إحصاء أسماء المفسرين الجزائريين عبر التاريخ، ومن ثم تصنيفهم حسب مدارس التفسير العلمية المعروفة ومناهجه، ليصل في الأخير إلى الوقوف على كيفية تطور التفسير بالمدرسة الجزائرية، ويستيقن أصالة هذه المدرسة، ويتبيّن انتماءها لمدرسة النبوة في بيان القرآن وتأويله.

إشكالية البحث : انطلقت في بحثي هذا من إشكالية رئيسية تتمثل في : ما هي معالم مدرسة التفسير الجزائرية من الفتح الإسلامي إلى القرن الثامن الهجري ؟

وهي إشكالية تحمل تحتها عددا من التساؤلات منها :

. ما هي جذور مدرسة التفسير الجزائرية ؟ وما هي الأدوار العلمية لمدرسة التفسير بالجزائر ؟ كيف تطور التفسير بهذه المدرسة ؟ وماهي أسباب الازدهار والركود ؟ ومن هم أبرز أعلام هذه المدرسة وما إنتاجهم التفسيري ؟ ما هي أبرز مناهج تفاسير هؤلاء الأعلام ؟ ما مدى اتصالها بمدارس التفسير المشرقية والأندلسية ؟ إلى غير ذلك من الأسئلة التي تواجه الباحث بهذا الصدد...

أهداف البحث : تتمثل في الآتي :

. إحصاء أعلام التفسير في الجزائر خلال الفترة الزمنية المحددة في عنوان البحث (من الفتح الإسلامي إلى القرن الثامن الهجري) وذكر تراجمهم وأعمالهم الموجود منها والمفقود، والمطبوع منها والمخطوط.

. الوقوف على أرضية وأساس التفسير في الجزائر.

. بحث مناهج التفسير عند المفسرين الجزائريين.

. بحث قضايا التفسير عندهم في الفترة الزمنية المحددة (من الفتح الإسلامي إلى نهاية القرن الثامن).

. الوقوف على أدوار وتطور التفسير بالجزائر في هذه الفترة.

. الوقوف على ثراء مدرسة التفسير الجزائرية وتنوع تراثها التفسيري.

أسباب اختيار الموضوع : يرجع اختيار هذا الموضوع إلى جملة من الأسباب :

. قلّة الدراسات العلمية حول حركة التفسير بالجزائر في هذه الفترة، والفراغ الكبير الموجود في المكتبة الإسلامية في هذا المجال، وما وجد من دراسات فهو خاص بعلم من الأعلام فقط.

. الحاجة العلمية الماسة للتأريخ لمدرسة التفسير بالجزائر، عن طريق إحصاء العلماء المفسرين، ورصد أسانيد التفسير ووصلها بمدرسة النبوة.

. دراسة مناهج التفسير لدى المفسرين الجزائريين من خلال ما يتيسّر الوقوف عليه من الإنتاج التفسيري أو النصوص التفسيرية لهؤلاء الأعلام الموجودة في كتب التراجم والطبقات، أو المخطوطات ، خاصة بعد ظهور نصوص تفسيرية كثيرة في الآونة الأخيرة لأعلام التفسير ينتمون لهذه الفترة الزمنية.

. ضرورة إحصاء الإنتاج الجزائري في تفسير القرآن، ولو بالإشارة إلى مظانّ تواجد النصوص التفسيرية الخاصة بالمفسّر.

. عدم وجود تاريخ ثقافي لحركة التفسير بالجزائر، حتى ظن الظانّ أن هذه البلاد لم تعرف التفسير إلا في القرون المتأخرة.

. محاولة البحث عن الأسباب الوجيهة التي أدّت إلى قلّة الإنتاج العلمي والتفسير بالخصوص في المدرسة الجزائرية، وفي المغرب العربي عموما.

الدراسات السابقة : في حدود اطلاعي المحدود فإن الدراسات التي تؤرخ لحركة التفسير بالجزائر جدّ نادرة ، مع وجود بحوث ودراسات تتقاطع مع موضوع بحثي ومنها :

. التفسير والمفسرون في غرب إفريقيا : وأصلها رسالة دكتوراه للأستاذ محمد بن مرزوق طرهوني ، وهو جهد أكثر جدوى مما سبق، تناول مجموعة من المفسرين الجزائريين مع التعليق على إنتاجهم، ولكنه أيضا اقتصر على نماذج محدودة، وبصفة موجزة.

. **مدرسة التفسير بالجزائر منذ القرن التاسع الهجري** . دراسة حول أعلام التفسير واتجاهاتهم عند أهل السنة والإباضية . وهي أيضا رسالة دكتوراه (جامعة وهران) للأستاذ الباحث : بلحاج جلول وهي دراسة تتقاطع مع موضوع بحثي في نقاط كثيرة، وان اختلفتا في الفترة الزمنية، وقد استفدت منها كثيرا.

. معجم المفسرين لعادل نويهض : أحصى فيه مؤلفه ما استطاع من أسماء المفسرين، مع ذكر إنتاجهم العلمي، وهو جهد مشكور، لكنه خلا من التعليق على هذا الإنتاج ومناهج أصحابه في إعداده .

. المفسرون الجزائريون عبر العصور للاستاذ مختار اسكندر : أحصى عددا لا بأس به من المفسرين، زيادة على إيراد الكثير من نماذج التفسير، وهو جهد رائد كذلك، غير أنه لم يتسنّ له الوقوف

علو ما هو متيسر اليوم من المخطوط، والمجموع من بطون كتب التراجم والطبقات، والمصادر والمراجع... كما أن معالجته للموضوع كانت أدبية انشائية أكثر منها علمية أكاديمية، ولم يصدر منه إلا الجزء الأول في حدود ما أعلم.

منهج البحث : يعتمد هذا البحث المنهج الوصفي التحليلي النقدي أساسا عن طريق رصد الأسماء والأعمال التفسيرية، ومن ثم تحليلها بُغية تصنيفها في خاناتها العلمية الدقيقة من المدارس والمناهج التفسيرية، ثم نقد ما أصابها من تطور أو جمود، مع الاستعانة بالمنهج التاريخي وذلك لأن الدراسة تتناول فترة تاريخية محددة، في رقعة ترابية معينة، وتتناول تفاسير متلاحقة، وللأحداث التاريخية دورها في تنشيط الحركة العلمية أو ضعفها، وعليه فخطوات البحث في الموضوع تكون كالتالي :

. تتبع كتب التراجم والطبقات والتاريخ لإحصاء أعلام التفسير بالجزائر بداية من القرن الأول إلى القرن الثامن الهجري.

. تتبع كتب معاجم المؤلفين والفهارس العلمية المختلفة لمعرفة الإنتاج العلمي في التفسير، وتعيين أماكن وجوده في المكتبات الوطنية أو الدولية.

. ترجمة علمية للمفسّرين الذين يتمّ العثور على إنتاجهم العلمي مطبوعا أو مخطوطا أو مفقودا كالإمام هود بن محكم الهواري وأحمد المسيلي والداودي والمقرّي والبجائي...

. تخريج الآيات و الأحاديث الواردة في النماذج المختارة من تفاسير الأعلام.

. دراسة في مناهج المفسرين وبيان مدارسهم العلمية.

. المقارنة بين تفسير المتقدم والمتأخر من المفسرين لمعرفة حركة وصيرورة التفسير، وأدواره وتطوره وجموده.

أما فيما يخص المعيار الفنّي لشخصية المفسر فوقع اختياري على : أن يُنعت في كتب التراجم بأنه مفسّر بشرط أن يحفظ عنه نص تفسيري ولو آية في أيّ باب من الأبواب : الفتاوى والنوازل أو المؤلفات الفقهية أو الأصولية أو العقائد، أمّا كون المفسّر جزائريا فبنسبته لإحدى البلدان التي هي ضمن الجغرافيا السياسة للجزائر وإقليمها المعروف بحدوده الثابتة اليوم .

الصعوبات : تتمثّل أساسا في عدم وضوح الجغرافيا السياسية للجزائر في هذه الفترة، وخاصة ما قبل القرن الرابع الهجري، فقد تأخر تسمية الجزائر بالمغرب الأوسط إلى نهاية القرن الرابع، ولم تسمّى باسم الجزائر إلّا في القرن العاشر الهجري في عهد الحكم العثماني.

إضافة إلى تشتّت المادة العلمية للبحث في كمّ هائل من المصادر والمراجع مما يحتاج إلى تنقيب طويل وواسع للحصول على النزر القليل منها.

خطة البحث : قسّمت المادة العلمية لهذا البحث : "حركة التفسير في الجزائر من الفتح الإسلامي إلى القرن الثامن" على فصل تمهيدي وأربعة فصول :

الفصل التمهيدي : عنونته ب : معالم المغرب الأوسط من الفتح الإسلامي إلى القرن الثامن سلطت فيه الضوء على : الجغرافيا السياسية للمغرب الأوسط . الجزائر . مع إشارة إلى الفتح الإسلامي لبلاد المغرب الأوسط ومراحله، ثم تحدثت بإيجاز على تعريب البربر وأهم أسبابه وعوامله، ثم أشرت إلى بعض الحواضر العلمية الكبرى ببلاد المغرب الأوسط والتي لها علاقة وطيدة بحركة التفسير وهي : تيهرت ووارجلان وبجاية وتلمسان.

الفصل الأول : الجذور التاريخية لحركة التفسير في الجزائر (مرحلة التأسيس من الفتح الإسلامي إلى نهاية القرن الرابع الهجري) ويشتمل على مبحثين :

المبحث الأول : خصصته لجذور حركة التفسير في الجزائر وذلك من خلال الحديث عن العناصر الآتية : دخول التفسير مع الفاتحين، البعثات العلمية، الرحلات العلمية، تدريس مرويات علماء المشرق في التفسير.

المبحث الثاني : تناولت أعلام التأسيس : تفاسيرهم ومناهجهم، فذكرت تفاسير خمسة أعلام من المفسرين في هذه المرحلة وهم : تفسير يحي بن سلام، تفسير عبد الرحمن بن رستم، تفسير هود بن محكم الهواري، تفسير الداودي، تفسير أحمد بن علي الباغاني، فتناولت بشيء من الاختصار ما وجد من أقوالهم في التفسير ومناهجهم.

الفصل الثاني : ضعف حركة التفسير في الجزائر (مرحلة الركود من بداية القرن الخامس الهجري إلى منتصف القرن السابع الهجري) ويشتمل أيضا على مبحثين :

المبحث الأول : أبرزت فيه أهم عوامل الركود والمتمثلة في : عدم الاهتمام بالتأليف والاقتصار على الدرس الشفوي، الانصراف إلى فقه الفروع، بداية انتشار التصوف، الاقتصار على تدريس التفسير من خلال مؤلفات السابقين.

المبحث الثاني : تكلّمت فيه على الإنتاج التفسيري خلال القرن الخامس والسادس مبرزا أهم أعلام هذه المرحلة ومناهجهم في التفسير (أبو يعقوب الوارجلاني، أبو عبد الملك مروان البوني، أبو العباس أحمد بن يوسف البوني)

الفصل الثالث : تطور حركة التفسير في الجزائر (مرحلة الازدهار بداية من منتصف القرن السابع الهجري) في مبحثين :

المبحث الأول : تطرقت فيه إلى عوامل ازدهار التفسير في هذه المرحلة وذلك حسب العناصر الاتية : تشجيع السلاطين للدرس التفسيري وحضوره، هجرة بعض أعلام التفسير الأندلسيين للمغرب الأوسط وأثرهم على الدرس التفسيري في الجزائر، ثم فضاءات التفسير خلال القرنين 7 و 8 هـ.

المبحث الثاني : ذكرت فيه بعض أعلام التفسير وانتاجهم فيه وخصصت بالذكر : المقرّي الجدّ، الشريف التلمساني، ابن مرزوق الخطيب.

الفصل الرابع : وهو زبدة الفصول السابقة وخلاصتها وعنوته ب : خصائص مدرسة التفسير الجزائرية واتجاهاتها، وهو أيضا يشتمل على مبحثين :

المبحث الأول : حاولت فيه إحصاء جملة من الخصائص المنهجية والفكرية التي تميز بها التفسير في الجزائر، فالمنهجية تتمثل في : قلّة الإنتاج والعناية بتدريس التفسير شفويا، تقييد التفسير من خلال مجالس العلماء، الاكتفاء بالنقل من كتب التفسير، قلّة الاهتمام بالأسانيد في التفسير.

أمّا الخصائص الفكرية فتتمثّل في : تفسير آيات الأحكام بما يقتضيه المذهب المالكي، تفسير آيات الصفات بما تقتضيه العقيدة الأشعرية، تمسّك أعلام الإباضية في التفسير بآرائهم.

المبحث الثاني : تكلّمت فيه على اتجاهات مدرسة التفسير الجزائرية (الاتجاه الأثري، الاتجاه الفقهي، الاتجاه اللغوي، الاتجاه الصوفي) مع عرض لنماذج من أقوال أعلام التفسير في كلّ اتجاه.

خاتمة : سجلت فيها أهمّ نتائج البحث المتوصل إليها من خلال هذا التجوال في جنان أئمة التفسير وثمارهم طيلة ثمان قرون من تاريخ الجزائر المسلمة.

ولا يسعني في الأخير إلّا أن أفصح عن جزيل شكري وعظيم تقديري وامتناني إلى شيخي وأستاذي صاحب الفضيلة الأستاذ الدكتور : خير الدين سيب الذي قبل الإشراف على هذا البحث، وتعهّده بالتوجيه والمتابعة والتسديد والمراجعة، من بدايته إلى نضجه وارتقائه، فالله أسأل أن يجزيه أحسن الجزاء وأوفاه.

كما لا يفوتني أن أشكر فضيلة الأستاذ الدكتور : ربيعي الميلود على توجيهاته وملاحظاته القيّمة التي أسداها لي جزاه الله خيرا.

وكذا أشكر كلّ من مدّ لي يد العون من قريب أو بعيد في إنجاز هذا العمل المتواضع، وهو جهد المقلّ ومن وصفه الضعف والتقصير، فما كان فيه من صواب فمن الله الموّفق المعين، وما كان فيه من خلل ونقص فمن نفسي، والله المستعان والصلاة والسلام على سيّدنا محمد في البدء والختام.

والله وليّ التوفيق وهو الهادي إلى سواء السبيل

المشرية يوم : 01 جمادى الثانية 1442هـ

الموافق لـ: 16 ديسمبر 2020م

الفصل التمهيدي

معالم المغرب الأوسط من الفتح الإسلامي إلى القرن الثامن الهجري

1. الجغرافيا السياسية للمغرب الأوسط. الجزائر.

2. الفتح الإسلامي لبلاد المغرب الأوسط

3. تعريب البربر. أسبابه وعوامله.

4. الحواضر العلمية ببلاد المغرب الأوسط

فصل تمهيدي : معالم المغرب الأوسط من الفتح الإسلامي إلى القرن الثامن

سنحاول بداية أن نسلّط الضوء على الجغرافيا السياسية لهذه البلاد، وكيفية انتشار الإسلام بها، وعلى الأشواط التي قطعتها ثقافته لتستقر بها، والجهود التي بذلها الفاتحون ليحقّقوا الالتحام بشعوب هذه المنطقة، ويشيّدوا معها صرح حضارة عربية إسلامية تحدّث عنها التاريخ، وظلّت معالمها شامخة إلى يومنا هذا.

1 . الجغرافيا السياسية للمغرب الأوسط . الجزائر . :

عرفت قديما " الجزائر " اسم لمدينة على شاطئ البحر الأبيض كانت تسمّى جزائر بني مزغنان [1]، وهي التي ذكرها صاحب مُعجم البلدان بقوله : "اسم علم لمدينة على ضفة البحر بين إفريقية والمغرب بينها وبين بجاية أربعة أيام كانت من خواص بلاد بني حماد بن زيري بن مزغناي مدينة جليلة قديمة البنيان..."[2]، هذه المدينة هي اليوم عاصمة الدولة التي يحدّها شمالا البحر الأبيض المتوسط ومن الجنوب الصحراء الكبرى : مالي والنيجر ومن الشرق تونس وليبيا ومن الغرب المغرب وموريتانيا.

أمّا إطلاق اسم الجزائر على هذا الإقليم كلّه المعروف اليوم فلم يحدث إلّا في العصر التركي فقط، أي القرن العاشر الهجري السادس عشر الميلادي، أمّا قبل ذلك فكان يُعرف بالمغرب الأوسط لتوسّطه بين المغربين : الأقصى والأدنى مراكش وتونس، وهذا ما ذكره أبو القاسم سعد الله قائلا : "... فهذا المفهوم لكلمة الجزائر لم يصبح معروفا إلا منذ القرن العاشر أي أثناء الحكم العثماني، بل إنّ عبارة المغرب الأوسط التي أطلقها العرب المسلمون لم تكن تعني بالضبط حدود الجزائر الحالية لأنّ هذه العبارة وأمثالها : المغرب الأدنى والمغرب الأقصى كانت غامضة غموض حدود الإمارات الإسلامية التي تعاقبت على حكم المغرب العربي..."[3].

فابن خلدون وهو الخبير بالمغرب الأوسط وأحواله وأوضاعه العامة، القبلية والسياسية والدينية، يرى أن المغرب الأوسط كُنية جغرافية تدلّ على المواطن التي كانت تستقرّ فيها القبائل الزناتية، من وادي ملوية

---

1 مزغنان : قبيلة بربرية سكنت مدينة الجزائر في القرن الثاني للهجرة وهي بطن من بطون صنهاجة ولم تزل هذه القبيلة موجودة إلى يومنا هذا تسكن على نحو 80 كلم شرقي العاصمة في ناحية balestro ... وفي أواسط القرن الرابع الهجري مصّرها الأمير بلكين بأمر والده عاهل صنهاجة : زيري بن مناد . ينظر : عبد الرحمن الجيلالي ، تاريخ الجزائر العام ط2 (1384هـ . 1965م) مكتبة الشركة الجزائرية . الجزائر. ج1 ، ص 32

2 الحموي : شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي ، معجم البلدان ،ط2 سنة 1995م ، دار صادر . بيروت . ج2 ، ص 132

3 سعد الله : أبو القاسم ، تاريخ الجزائر الثقافي ،طبعة خاصة 2007م ، دار البصائر للنشر والتوزيع . الجزائر . ج1 ، ص 40

غربا إلى وادي الشلف والزاب شرقا، ومن ساحل شرشال ووهران شمالا إلى إقليم تيهرت جنوبا، أمّا الأقاليم الممتدة من الجزائر غربا إلى بجاية شرقا فيعتبرها بلاد صنهاجة، أمّا إقليما بجاية وقسنطينة فمواطن كتامة وعجيسة وهوارة، وما وراء قسنطينة فبداية حدود إفريقية إلى طرابلس [1].

وهذا الوصف ما هو إلّا توزيع قبلي صرف لمرحلة ما قبل القرن الخامس الهجري وليس رسما لحدود المغرب الأوسط، لكن في أواخر النصف الأوّل من القرن السادس الهجري وبقيام الدولة الموحدية [2]، التي عمّ سلطانها جميع تراب الشمال الإفريقي توحّدت هذه الأقاليم من بونة شرقا إلى تلمسان غربا إلى الصحراء جنوبا، وتلاحمت عناصرها القبلية من بربر وعرب فيما بينهم، وزاد في ترابطها خضوعها لسلطة مركزية واحدة في بجاية وتلمسان أثناء الحكم الموحّدي الذي فرض مذهبا إصلاحيا دينيا وسياسيا موحّدا، جعل من سكانها يشعرون بانتمائهم إلى موطن واحد [3]، واستمرّ هذا الشعور بالانتماء للوطن الواحد حتّى بعد سقوط دولة الموحّدين، ويؤكّد ذلك فقيه بجاية وقاضيها في عهد الحفصيين أبو العباس أحمد الغبريني (ت 704هـ)، ففي ترجمة للصوفي أبي محمد عبد الحق بن الربيع البجائي (ت : 675هـ) يقول :" لم يكن في وقته بمغربنا الأوسط مثله "[4].

وفي هذا دلالة على أنّ مصطلح المغرب الأوسط خلال القرنين السادس والسابع الهجريين كان يعني الإقليم الممتدّ من بونة شرقا إلى تلمسان غربا إلى الصحراء جنوبا ، وهذا الامتداد الجغرافي هو الإطار الذي أردنا في ضمنه دراسة حركة التفسير في الجزائر من الفتح الإسلامي إلى القرن الثامن الهجري.

2 . الفتح الإسلامي لبلاد المغرب الأوسط : يذكر بعض المؤرخين أنّ أهل المغرب تطلّعوا إلى الدين الجديد منذ وقت مبكّر، قبل دخول الفاتحين إلى بلدانهم، ويستدلّ على ذلك بقصّة رجال رجراجة

---

[1] ابن خلدون : أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن محمد ابن خلدون ، العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر ، ت : خليل شحادة ، ط 2 (1408هـ . 1988م) دار الفكر ، بيروت ، ج6 ، ص 17 وما بعدها

[2] الدولة الموحدية : نسبة لعقيدة التوحيد (عقيدة الأشاعرة) التي جاء بها المهدي بن تومرت ت 524هـ ، مؤسس هذه الدولة على فكرة المهدوية وسمى أتباعه بالموحدين تعريضا بخصومه المرابطين وطعنا في عقائدهم ، ينظر : عبد الرحمن الجيلالي ، تاريخ الجزائر العام ج 2 ، ص 289 . 290

[3] عبد الرحمن الجيلالي : تاريخ الجزائر العام ، ج 2 ، ص 290 وما بعدها

[4] الغبريني : أبو العباس أحمد بن أحمد بن عبد الله بن محمد ، عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية ، ت : رابح بونار ، ط 2 سنة 1981م ، الشركة الوطنية للتوزيع والنشر ص 88

[1]، ولكن على فرض صحّة هذا التطلّع إلّا أنّ الفتح الإسلامي لبلاد المغرب لم يكن بالمهمّة السهلة اليسيرة، بل تخلّلتها عدّة صعوبات، أفضت في النهاية إلى انتشار الإسلام في كامل شمال إفريقيا والأندلس.

ففي عهد الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه فكّر عمرو بن العاص في فتح إفريقية سنة 22هـ، وذلك بعد أن فتح ليبيا الحالية، ولكن الخليفة لم يوافق على ذلك وكتب إليه : " لا إنها ليست بإفريقية ولكنّها المفرّقة، غادرة مغدور بها لا يغزوها أحد ما بقيت "[2].

وفي عهد الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه، قام عامله على مصر عبد الله بن سعد بن أبي السرح بحملة عسكرية باتجاه إفريقية سنة 27هـ، وتمكّن من الانتصار وقتل ملك الروم جرجير وغنم الأموال، ورجع بعد اتفاق بينه وبين رؤساء القبائل مقابل أموال يدفعونها إليه.[3]

ثمّ وقعت الفتنة واستشهد عثمان رضي الله عنه، وبقيت إفريقية على حالها إلى ولاية معاوية رضي الله عنه فعزل عبد الله بن أبي السرح عن مصر وإفريقية، وولّى عليها معاوية بن حديج الكندي وهو من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، وذلك سنة 40هـ، فأغزاه إفريقية فغزاها فقام معاوية بن حديج خلال ولايته بثلاث حملات امتدت إلى سنة 46هـ فتح خلالها عبد الله بن الزبير سوسة وعبد الملك بن مروان جلولاء[4].

ثمّ جاءت حملات عقبة بن نافع الفهري سنة 50هـ، الذي اختط القيروان واتخذها قاعدة للجيش الإسلامي وعاصمة لكامل بلاد المغرب إذ قال لأصحابه :" إنّ إفريقية إذا دخلها إمام أجابوه للإسلام فإذا خرج منها رجع من كان أجاب منهم لدين الله إلى الكفر فأرى لكم يا معشر المسلمين أن تتّخذوا

---

1 قصة رجراجة : ومضمونها أنّ سبعة رجال من المغرب رحلوا إلى النبيّ صلى الله عليه وسلم في زمن النبوة ، وأسلموا على يده ، وزوّدهم بكتاب ، ورجعوا ينشرون الدعوة الإسلامية بالمغرب .ينظر : محمد السعيدي الرجراجي : رباط شاكر (سيدي شيكر والتيار الصوفي حتى القرن السادس الهجري) ط 1 (1431هـ . 2010م) ، وليلي للطباعة والنشر ، مراكش ، ص 15

2 ابن عبد الحكم : أبو القاسم المصري عبد الرحمن بن عبد الله ، فتوح مصر والمغرب ، د.ط (1415هـ) ، مكتبة الثقافة الدينية ، ج 1 ، ص 200

3 ينظر: المصدر نفسه ج1 ، ص 211

4 المالكي : أبو بكر عبد الله بن محمد ، رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وإفريقية وزهادهم ونساكهم وسير من أخبارهم وفضائلهم وأوصافهم ، ت : بشير بكوش ، ط2 (1414هـ . 1994م) دار الغرب الإسلامي ، بيروت . لبنان . ج 1 ، ص 27 وما بعدها

بها مدينة تكون عزّا للإسلام إلى آخر الدهر "[1]، ويعتبر هذا التاريخ هو بداية التفكير الجدّي في فتح المغرب الأوسط والدخول بالإسلام إلى مجاهل المغربين الأوسط والأقصى.

وفي سنة 55هـ تمّ تعيين أبو المهاجر دينار واليا على القيروان، الذي سار بحملاته غربا إلى المغرب الأوسط أو بلاد الجزائر، وتمكّن من الانتصار على عمالة قسنطينة سنة 59هـ، وجعل مركز قيادته العليا مدينة ميلة، فبذلك يكون هو أوّل أمير مسلم وطئت خيله الجزائر، وأوّل من حمل الإسلام إلى هذه الديار الجزائرية [2]، فنشر فيها الإسلام، ووصل البربر بالعرب، وفتح قلوب البربر للعرب بلينه وكياسته وحسن تأتِّيه، وعُرف أبو المهاجر بسياستة الحسنة مع أهل البلاد، فقد تألَّف قادتهم وعلى رأسهم كسيلة البربري، فانقادوا للاسلام وازدادت رقعة البلاد المفتوحة حتى بلغت تلمسان من بلاد الجزائر، وطالت مدّة إقامة أبي المهاجر ومن معه من الصحابة والتابعين، قال صاحب معالم الإيمان :" ثمّ إنّ أبا المهاجر صالح البربر بإفريقية وفيهم كسيلة الأوربي وأحسن إليه واتّخذه صديقا، وصالح عجم إفريقية وخرج بجيوشه نحو المغرب ففتح كلّ ما مرّ به، حتى انتهى إلى العيون التي تسمّى اليوم عيون أبي المهاجر نحو تلمسان..."[3].

هذه السياسة المرنة مع البربر أدّت إلى انتشار الاسلام في المغرب الأوسط وتحقيق الأهداف المرجوّة، لكن لظروف سياسية معينّة قرّر الأُمويون إعادة تنصيب عقبة بن نافع على إفريقية والمغرب سنة 62هـ، فاستأنف عقبة حملاته على المغرب فتوجّه إلى مدينة باغاية شرق جبل أوراس قرب خنشلة ففتحها، ووصل إلى الزاب وحاصرها، وأطاعه أهلها، ومنها توجه إلى تيهرت ومنها إلى المغرب الأقصى مُعرّجا على تلمسان فدخل طنجة وفتحها، وتقدّم حتى بلغ المحيط الأطلسي، ثم قفل راجعا إلى القيروان فاعترضه كسيلة في منطقة تهودة بعد أن كان فرّ دون أن يشعر به عقبة، فوقع بينها القتال فاستشهد عقبة وأبو المهاجر ومن معهم رضي الله عنهم وكان ذلك سنة 63هـ [4].

وصلت أنباء مذبحة تهودة إلى القيروان فكان لها وقع سيء على المسلمين، ففضّلوا العودة إلى المشرق وترك القيروان، ووجد زهير بن قيس نفسه في موقف بالغ الحرج، فانسحب هو أيضا بعد أن رأى أنّ ما

---

[1] ابن العذاري : أبو عبد الله محمد بن محمد المراكشي ، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب ، ت : ليفي بروفنسال ،ط3 سنة 1983م ، دار الثقافة ، بيروت . لبنان . ج 1 ، ص 19

[2] عبد الرحمن الجيلالي : تاريخ الجزائر العام ، ج 1 ، ص 169

[3] الدباغ :أبو زيد عبد الرحمن بن محمد الأنصاري الأسيدي ، معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان ، د.ط ، د. ت ، ص 46

[4] ينظر :عبد الرحمن الجيلالي ، تاريخ الجزائر العام ج1 ، ص 170 وما بعدها. الدباغ : معالم الإيمان ، ص 54

معه من الرّجال لا يكفي للوقوف في وجه كسيلة، فاستولى هذا الأخير على القيروان وحكمها حتى سنة 69هـ، حيث كانت الخلافة الأموية خلال هذه الفترة مُثقلة بمشاكلها الكثيرة وخاصّة ثورة عبد الله بن الزبير في الحجاز، وحركة المختار بن أبي عُبيد الثقفي بالعراق [1].

فلمّا ولي الخلافة عبد الملك بن مروان سنة 65هـ، فكّر في استرداد إفريقية، واختار لهذه المهمّة زهير بن قيس البلوي، فاستنهضه لتخليص إفريقية وتحرير من بها من المسلمين من يد كسيلة، فتقدّم زهير بقوّاته سنة 69هـ ولقي كسيلة في . ممس . أو ممش . قريبا من جبال الأوراس، فهزم كسيلة ولقي مصرعه وهكذا نجح العرب في استرداد المغرب الأوسط وضمِّه إلى حوزتهم، لكن ما إن وصلت أنباء انتصارات زهير إلى مسامع الروم في القسطنطنية، حتى أبحرت مراكبهم بأعداد كثيرة من قواعدها في صقلية، وشنّت سلسلة من الغارات البحرية أدّت إلى إيقاع زهير ومن معه في كمين فاستشهد ومن معه رضي الله عنه [2].

وباستشهاد زهير بن قيس، ونتيجة لاشتغال الدولة الأموية بحرب ابن الزبير توقّفت الحملات إلى المغرب، إلى أن استطاع عبد الملك بن مروان التغلّب على ابن الزبير سنة 73هـ، فجهّز جيشا بقيادة حسان بن النعمان، استطاع دخول القيروان بدون مقاومة وانتصر على الروم في المغرب الأدنى، وتقدّم إلى المغرب الأوسط فالتقى بالبربر بقيادة الكاهنة [3]، فانهزم جيش المسلمين بعد بلاء عظيم [4].

وفي سنة 81هـ استأنف حسان بن النعمان حملته على إفريقية وبلاد المغرب بعد إن استغاث به البربر والنصارى، بأنهم ضاقوا ذرعا من سياسة الكاهنة في تخريب بلادهم بقطع الأشجار وهدم الحصون، فزحف إليها حسان فهزمها، وقتلت عند بئر سمي . بئر الكاهنة . في جبل الأوراس، وطلب أصحابها الأمان فلم يقبل إلّا بعد أن أعطوه اثني عشر فارسا من جميع قبائلهم، دخلوا الاسلام بعد ذلك، وانضمّ

---

[1] ينظر : ابن خلدون : العبر ج 4 ص 238 . حسين مؤنس : معالم تاريخ المغرب والأندلس ، طبعة خاصة سنة 2004م ، دار الرشاد ، القاهرة ، ص 46

[2] ينظر :ابن الأثير : أبو الحسن علي بن أبي الكرم ، الكامل في التاريخ ، ت: عمر عبد السلام تدمري ، ط1 (1417هـ . 1997م) ، دار الكتاب العربي ، بيروت . لبنان . ج 3 ص 208 . المالكي : رياض النفوس ، ج1 ، ص 47 . 48 . عبد الرحمن الجيلالي : تاريخ الجزائر العام ، ج1 ، ص 179

[3] الكاهنة : زعيمة بربرية من الأوراس ظهرت في الميدان بعد مقتل كسيلة تتحدّى العرب وبعض المؤرخين يسمّونها داهيا بنت واهيا وهي تسمية مأخوذة من القصص الشعبي كما يصورونها في صورة هي أقرب إلى شخصيات الأساطير وهي أنها امرأة ساحرة لها قدرة على الكهانة والتنبؤ بما سيحدث . ينظر : حسين مؤنس ، معالم تاريخ المغرب والأندلس ، ص 38 . 39 . ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ج 3 ، ص 416

[4] ابن الأثير : المرجع السابق ، ج3 ، ص 416 . المالكي : رياض النفوس ، ج1 ، ص 51

ولدَا الكاهنة إلى جيش حسان فأكرمهم وأحسن إليهم وجعلهم من قادة الجيوش وقسّم بينهم الفيء والأرض [1].

وبهذا العمل الذي قام به حسان من خلق الاتصال الاجتماعي بين العرب والبربر، استقامت له بلاد المغرب الأوسط، وتوّجه إلى تحقيق الهدف الأسمى وهو نشر الإسلام، قال المالكي بعد أن تكلّم عن سياسة حسان مع البربر : " واستقامت إفريقية كلّها وأمِن أهلها وقطع الله عزّ وجل مدّة أهل الكفر منها وصارت دار إسلام إلى وقتنا هذا وإلى آخر الدهر إن شاء الله عزّ وجلّ "[2].

3 . انتشار العربية بين البربر : أسبابه وعوامله : ارتبط انتشار اللّغة العربية ببلاد المغرب بانتشار الإسلام، فكلّما حلّ بأرض إلّا حلّت معه، من غير إكراه ولا قسر، لأنّها ببساطة لغة القرآن ولا يُفهم إلّا بها، ولمميّزاتها كلغة ذات منطق وفصاحة وبلاغة وبيان يضاف إلى ذلك عدّة عوامل أهمّها :

أ . التسامح الإسلامي : فلم يكن هَمُّ الفاتحين جمع الغنائم ونهب البلاد، وإنّما كان همّهم نشر الإسلام وتعاليمه لذلك سرعان ما ملكوا قلوب أهل هذه البلاد، ولم يمض القرن الأوّل الهجري حتى أصبحوا يعملون على نشره ويدافعون عنه ويتكلّمون بلغته.

ب . حرص القادة الفاتحين على تعليم البربر القرآن والعربية : فقد كانوا يُخلّفون في البلاد المفتوحة من يقوم بهذه المهمّة، فترك عقبة بن نافع بعض أصحابه بالمغرب الأقصى منهم شاكر صاحب الرباط، وترك موسى بن نصير مولاه طارقا وسبعة عشر رجلا من العرب يُعلّمون أهل طنجة وضواحيها القرآن ويفقّهونهم في الدين [3].

فإذا كان الأمر كذلك في أقصى بلاد المغرب، فكيف يكون الأمر لما دونها من بلاد المغرب الأوسط والأدنى، وبذلك كانت انطلاقة تعريب البربر بواسطة تعليم القرآن والفقه.

ج . البعثات العلمية إلى بلاد المغرب : وأشهرها بعثة عمر بن عبد العزيز والمتكوّنة من عشرة من التابعين اختارهم الخليفة، وهو يعلم مقدرتهم على القيام بالمهمّة الموكلة إليهم، والمتمثّلة في نشر تعاليم الإسلام والدعوة إليه، وما من واحد من هؤلاء العشرة التابعين إلّا وكان يروي الحديث عن الصحابة

---

[1] ينظر : المالكي : رياض النفوس ، ج1 ص 56 . ابن عذاري : البيان المغرب ، ج1 ، ص 35

[2] المالكي : رياض النفوس ، ج1 ، ص 57

[3] ابن عذاري : البيان المغرب ، ج1 ، ص 42

ويتقن التفسير والفقه، وإلا اتخذ دارا لسكناه ومسجدا لصلاته وكتابا لتعليم الناشئة [1]، ولا يمكن تصوّر هذا التعليم خاليا من شرح بسيط لمعاني بعض الآيات باللغة العربية يترجمها للتلامذة بلغتهم البربرية، وهو شبيه بما يُصطلح عليه اليوم بالترجمة التفسيرية.

د ـ بناء المدن وإعمارها : لتكون مراكز إشعاع حضاري ومقصدا للقبائل المجاورة لها والتي لم تجد وسيلة للاندماج في هذه المدن إلّا الدخول في الإسلام وتعلّم العربية، وهذا ما أدركه عقبة حينما فكّر في اختطاط القيروان وعبّر عنه بقوله : "...فأرى لكم يا معشر المسلمين أن تتخذوا بها مدينة تكون عزّا للاسلام إلى آخر الدهر."[2]

هـ . هجرة الهلاليين : فقد كان للهلاليين[3]حين قدموا الجزائر دور بارز في نشر اللغة العربية التي سهّلت على الناس تعليم الدين والأحكام والقرآن يقول الميلي : " واستعرب كثير منهم لما وجدوا في العربية ثروة لفظية وأدبا راقيا وإعانة على فهم الدين واستبدلوا بحياتهم حياة عربية "[4].

و . هجرة الأندلسيين : كان لهجرة الأندلسيين دور كبير في دفع حركة التعريب ببلاد المغرب الأوسط، فهؤلاء الأندلسيون احتكروا ميدان التعليم ونقلوا إليه طريقتهم الخاصة، والتي تتمثل في تعليم الأطفال القرآن الكريم والحديث والقواعد الأساسية لكلّ العلوم، كما برزوا في تعليم روايات القرآن وأنواع قراءته [5].

ز . تمجيد اللغة العربية والاعتناء بها من طرف الحكام والملوك : فالدولة الرستمية وهي أول إمارة بربرية مستقلّة كانت العربية لغتها الرسمية بها يخطب في الجمعة والأعياد، وبها يعظون العامّة، وبها يتراسلون ويتواصلون، لذلك تمكّنت من النفوس وتعلّق بها الناس، وهي لغة التأليف فجُلّ ما كان في المكتبة المعصومة في تيهرت من كتب كان باللغة العربية، وما وصلنا من كتب تعود إلى تلك العهود

[1] ينظر : المالكي ، رياض النفوس ، ج1 ، ص99 وما بعدها . الدباغ : معالم الإيمان ، ص 180

[2] ابن عذاري : البيان المغرب ، ج1 ، ص 19

[3] الهلاليون : نسبة إلى قبيلة بني هلال قبيلة عربية كانوا بدوا في وسط نجد ثم هاجرت من الجزيرة العربية إلى الشام ثم صعيد مصر ومنه انتقلت إلى باقي المغرب الإسلامي بعد إزعاجهم للدولة الفاطمية . ينظر : ابن خلدون : العبر ، ج 6 ، ص 15

[4] الميلي : مبارك بن محمد ، تاريخ الجزائر في القديم والحديث ، دط (1406هـ . 1986م) ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر بالاشتراك مع دار الغرب الإسلامي ، بيروت . لبنان . ج2 ، ص 187

[5] سعد الله : تاريخ الجزائر الثقافي ، ج1 ، ص 47

ككتاب نوازل نفوسة للإمام ابن عبد الوهاب، وتفسير هود بن محكم الهواري كلّه باللغة العربية الفصحى[1].

ومن أعجب ما روي في تقديس اللّغة العربية وتعظيم العلم ما أورده الشماخي في قوله :" روي عن أبي عمران موسى بن زكرياء النفوسي أحد مؤلفي ديوان الأشياخ أنه قال : " إنّ تعلّم حرف من العربية كتعلّم ثمانين مسألة من الفروع، وتعلّم مسألة من الفروع كعبادة ستين سنة، ومن حمل كتابا إلى بلد لم يكن فيه فكأنّما تصدّق بألف حمل دقيقا على أهل البلد "[2].

وذكروا في ترجمة أبي عمار الوارجلاني أنّه : " أراد أن ينقطع عن اللّسان البربري بالبعد عمّن يخاطبه به، والتدرّب على لسان العربية بكثرة مخالطة من يخاطبه به "[3].

كلّ هذه العوامل ساهمت في نشر اللّغة العربية بين البربر وغرس محبّتها في كيانهم، ممّا جعلهم أهل براعة في خدمتها، وأصحاب تخصّص في ضبط قواعدها، وخير مثال على ذلك ألفية ابن معطي الزواوي ت :628هـ الذي وصفه الذهبي بقوله :" العلامة شيخ النحو زين الدين أبو الحسين يحي بن عبد المعطي الزواوي المغربي النحوي الفقيه الحنفي..."[4].

كما لم تطلعنا المصادر على أنّهم درسوا باللسان البربري، رغم أنّ جُلّهم ينتمي إلى أصول بربرية، وانعكس ذلك بالإيجاب على علم التفسير فلمع فيه أعلام كثيرون من منطقة زواوة ذكر الغبريني طائفة منهم .

4 . الحواضر العلمية ببلاد المغرب الأوسط : زخر المغرب الأوسط منذ الفتح الإسلامي بعدّة حواضر علمية ومراكز ثقافية، لعبت دورا هامّا في تنشيط الحركة العلمية، وكانت مقصد طلاب العلم من

---

[1] يحي بن بُهون حاج امُحمّد : المكتبات وخزانات المخطوطات ببلدية تَجنينت بوادي مزاب ، مجلة الواحات للبحوث والدراسات ، جامعة غرداية ، المجلد 7 العدد 2 (2014) ، ص 25

[2] الشماخي : أحمد بن سعيد بن عبد الواحد ، كتاب السير ، ت : أحمد بن سعود السيابي ، ط2 (1412هـ . 1992م) وزارة التراث القومي والثقافة . سلطنة عمان . ج2 ، ص 74

[3] الدرجيني : أبو العباس أحمد بن سعيد ، طبقات المشايخ بالمغرب ، ت : إبراهيم طلاي ، دط ، دت ، مطبعة البعث ، قسنطينة ، الجزائر . ج 2 ، ص 486

[4] الذهبي : أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز ،سير أعلام النبلاء ت : شعيب الأرناؤوط ، ط3 (1405هـ . 1985م) مؤسسة الرسالة ، ج22 ، ص 324

كل ناحية، برز من خلالها أعلام كثر في شتى فنون العلوم، وسنحاول أن نذكر أهم هذه الحواضر مع التركيز على التي تركت أثرا حضاريا وثقافيا خاصّة على مستوى علم التفسير. وعوامل ازدهار العلوم فيها وهي : تيهرت، وارجلان، بجاية، تلمسان.

أ . **تيهرت** : أسّسها الإمام عبد الرحمن بن رستم الفارسي الإباضي سنة 160هـ . 776م، وقد استولت على جميع التراب الجزائري الحاضر ما عدا ناحية الزاب شرقا وتلمسان غربا[1]، وقد كان ابن رستم من العلماء المتمكّنين في علوم الدين والأدب والفلك، إذ هو أحد حملة العلم الخمسة[2]، وتعتبر تيهرت أقدم مركز ثقافي ببلاد المغرب الأوسط، فقد أولت الدولة الرستمية عناية بالغة بالعلم والعلماء، وذلك راجع للأئمة الرستميون فقد كانوا من العلماء الفحول فعبد الرحمن بن رستم كان يقضي أوقات فراغه في الدرس والتدريس والتأليف وكانت له حلقة عظيمة في مسجد تيهرت، فشجعوا على التدريس والتأليف، وسهّلوا أسباب العلم، فاقتنوا الكتب وأنشأوا مكتبة المعصومة العامّة التي بلغت كتبها ثلاثمائة ألف مجلّد في كلّ العلوم والفنون، فازدهرت حركة النسخ والتأليف بشكل لا مثيل له[3].

وصارت تيهرت مقصدا لطلاب العلم من كل أنحاء المغرب الإسلامي الذين وجدوا جوّا علميا يسوده التنوّع الفكري، والاختلاف المذهبي مع تسامح وعدم نبذ للمخالف، هذا الجو يصفه ابن الصغير المؤرخ الذي عايش هذه الفترة ولم يكن من معتنقي المذهب الإباضي فيقول :"... وكانت مساجدهم عامرة، وجامعهم يجتمعون فيه وخطيبهم لا ينكرون عليه شيئا، إلّا أنّ الفقهاء تناجت المسائل فيما بينهم

---

[1] ينظر : عبد الرحمن الجيلالي ، تاريخ الجزائر العام ، ج1 ، ص 220 . 221

[2] حملة العلم الخمسة : هم الذين اختارهم سلمة بن سعد للقيام بمهمة التطبيق العملي لمبادئ الفكر الإباضي وهم : عبد الرحمن بن رستم من القيروان ، وعاصم السدراتي من غرب الأوراس والمغرب الأوسط ، وأبو داود النفزاوي من نفزاوة في جنوب إفريقية ، واسماعيل بن ضرار الغدامسي ، وعند وصولهم إلى البصرة انضم إليهم خامس من اليمن هو أبو الخطاب عبد الأعلى بن السمح توجهوا إلى أبي عبيدة مسلم بن أبي كريمة في البصرة لتلقي المذهب الإباضي . ينظر : محمد بن موسى باباعمي ومجموعة من الأساتذة ، معجم أعلام الإباضية من القرن الأول الهجري إلى العصر الحاضر ،ط 1 (1420هـ . 1999م) ، جمعية التراث ، القرارة ، غرداية ، ج 2 ص 247 ، 248 ، دبوز : محمد علي ، تاريخ المغرب الكبير ، سنة 2010 ، مؤسسة تاوالت الثقافية ،ج3 ، ص 178 . 179

[3] ينظر : دبوز : تاريخ المغرب الكبير ، ج 3 ، ص 332

وتناظرت واشتهت كلّ فرقة أن تعلم ما خالفتها فيه عاقبتها، ومن أتى إلى حِلق الإباضية من غيرهم قربّوه وناظروه ألطف مناظرة، وكذلك من أتى من الإباضية إلى حِلق غيرهم كان سبيله كذلك "[1].

ويصف أيضا المبلغ الذي وصل إليه التعايش الفكري و الإجتماعي فيقول :" ليس أحد ينزل بهم من الغرباء إلّا استوطن معهم وابتنى بين أظهرهم، لما يرى من رخاء البلد وحسن سيرة إمامه وعدله في رعيته وأمنه على نفسه وماله، حتّى لا ترى دارا إلّا قيل هذه لفلان الكوفي، وهذه لفلان البصري، وهذه لفلان القروي، وهذا مسجد القرويين ورحبتهم، وهذا مسجد البصريين، وهذا مسجد الكوفيين، واستعملت السُبل إلى بلد السودان وإلى جميع البلدان من مشرق ومغرب "[2].

ب . حاضرة وارجلان : وهي مدينة قديمة ذكرها الوزان فقال : " وركلة مدينة أزلية بناها النوميديون في صحراء نوميديا "[3]، ولها أسماء عديدة متقاربة في النطق : (وركلة، ورقلة، وارقلان، وارجلان) كما ذكر أعزام في كتابه غصن البان في تاريخ وارجلان حيث قال : " إنّ لها أسماء عديدة ولكن الأصحّ هو اسم وارجلان "[4]، هاجر إليها الإباضية بعد سقوط الدولة الرستمية بقيادة الإمام يعقوب بن أفلح بن عبد الوهاب (ت : 310هـ) الذي استقرّ بوارجلان وهو من خواصّ علماء الإباضية آنذاك وصفه الدرجيني بقوله : " وكان يعقوب يحمل أنواعا من العلم، بلغنا أنّ سائلا سأله ذات يوم : أتحفظ القرآن ؟ فقال : أستعيذ بالله من أن ينزل على موسى وعيسى عليهما السلام ما لم أحفظ وأعرف معناه فكيف بالكتاب المنزّل على نبينا محمد صلى الله عليه وسلم "[5]، فنزلوا وارجلان حيث " كانت وارجلان محطّ رجال الإباضية عندما تشتّتت الدولة الرستمية "[6]، وأسّسوا مدينة سدراتة التي أنجبت الكثير من العلماء منهم :

---

[1] ابن الصغير : أخبار الأئمة الرستميين ، ت : محمد ناصر و ابراهيم بحاز ، دط ، دت ، دار الغرب الإسلامي بيروت . لبنان . ص 102

[2] المرجع نفسه : ص 31 ، 32

[3] الوزّان : الحسن بن محمد الفاسي (المعروف بليون الإفريقي) ، وصف إفريقيا ، ط 2 (1983م)دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، لبنان ، ج 2 ، ص 136

[4] إبراهيم بن صالح بابا حمو أعزام : غصن البان في تاريخ وارجلان ، ت : إبراهيم بن بكير بحاز وسليمان بن محمد بومعقل ، المطبعة العالمية ، غرداية ، الجزائر ، ص 49

[5] الدرجيني : طبقات المشايخ بالمغرب ، ص 105

[6] أحمد توفيق المدني : كتاب الجزائر ، دط ، دت ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، ص 244

. أبو نوح سعيد بن زنغيل الذي : " كانت جماعة أهل وارجلان تجتمع عند مسجد الشيخ جنون فمنهم المستفيد منه علما، ومنهم المستبرك بمشاهدته والمشارك فيما يعرض من أمور دنياه ودينه، والمقتني منه خلقا يتحلّى به "[1].

. أبو يعقوب يوسف الوارجلاني المؤرخ والمفسّر الذي سنتكلم عنه فيما يأتي.

. الشيخ أبو عمار عبد الكافي بن أبي يعقوب التناوتي الذي كان سببا في بعث الحركة العلمية الإباضية وإحيائها وتصدر بوارجلان للتدريس والفتوى وحلّ ما يرد عليه من المعضلات "[2].

وازدادت الحركة العلمية نشاطا بظهور حلقة العزابة سنة 409هـ على يد أبي عبد الله محمد بن عبد الله بن بكر الفرسطائي (ت 440هـ) التي حملت على عاتقها لواء الإشراف والإنفاق على دور العلم والعلماء أمّا العلوم التي كانت تدرسها فهي سير السلف الصالح، علم الأخلاق، اللغة العربية، الوعظ والإرشاد، تفسير القرآن الكريم، علم الحديث، الفقه)[3].

وعرفت الحركة العلمية بهذه البلاد صورة جديدة من التأليف المشترك، وهو ما يشبه إلى حدّ كبير ما يعرف اليوم بالموسوعات العلمية، حيث يساهم العلماء كلّ في تخصصه الذي يحسنه في كتابة كتاب متكامل، ومن هذا اللون كتاب الديوان الذي ألّفه ثمانية شيوخ وجعلوه خمسة وعشرين جزءا "[4].

ج . بجاية : أسّسها الناصر بن علناس كعاصمة ثانية للدولة الحمّادية سنة 460هـ . 1057م، وسمّاها الناصرية، ولكن لم يُقدّر لهذا الإسم أن يحظى بالاستعمال فغلب عليها اسمها القديم المنتسب لأشهر قبيلة سكنتها هي قبيلة بجاية [5]، وأصبحت بجاية كعبة الشعراء، ومقصد طلاب العلم، وبرز فيها الفقهاء

---

[1] الدرجيني : طبقات المشايخ بالمغرب ،ج 1 ، ص 126

[2] المصدر نفسه : ج 2 ، ص 485

[3] ينظر : الوسياني ، أبو الربيع سليمان بن عبد السلام ، سير الوسياني ، ت ودراسة: عمر بن لقمان حمو سليمان بوعصبانة ، ط 1(1430هـ . 2009م) وزارة التراث والثقافة ، مسقط ، سلطنة عمان ، ج 1 ، ص 77

[4] عمرو خليفة الشامي : ملامح عن الحركة العلمية بورجلان ونواحيها منذ انتهاء الدولة الرستمية حتى أواخر القرن السادس الهجري ، الأصالة ، العدد 42 . 43 ، الجزائر (مارس 1977م) ، ص 14 . 33

[5] عبد الرحمن الجيلالي : تاريخ الجزائر العام ، ج1 ، ص 371

والعلماء والشعراء والمؤرخون والأطباء والرياضيون وغيرهم ظهورا لا عهد للجزائر به[1]، وذلك لأنّ أمراءها شجّعوا العلم وسهلوا سبيله وأكرموا أهله، وذلك بشهادة الغبريني صاحب . عنوان الدراية في علماء المائة السادسة ببجاية . الذي أورد فيه ما ينيف على مائة وثلاثين ترجمة وقال في ختامه : " وقد بقي خلق كثير من أهل المائة السادسة ممّن لهم جلال وكمال ولكن شرط الكتاب منع من ذكرهم "[2].

ويسجّل الغبريني شهادته فيقول : "... وقد مضى من قول الشيخ أبي علي المسيلي قوله أدركت ببجاية ما ينيف على تسعين مفتيا ما منهم من يعرف أبا علي الحسن بن علي المسيلي من يكون، وإذا كان من المفتين تسعون فكم يكون من المحدّثين ومن النحاة والأدباء وغيرهم ممن تقدّم عصرهم ممّن لم يدركه، لقد كان الناس على اجتهاد وكان الأمراء لأهل العلم على ما يراد..."[3].

ثمّ تأتي شهادة الثعالبي وهو يذكر رحلته فيقول : " رحلت في طلب العلم من ناحية الجزائر في آخر القرن الثامن، فدخلت بجاية عام اثنين وثمانمائة، فلقيت بها الأئمة المقتدى بهم في العلم والدين والورع، أصحاب الفقيه الزاهد الورع عبد الرحمن الوغليسي، وأصحاب الشيخ أبي العباس أحمد بن ادريس متوافرون يومئذ، أصحاب ورع ووقوف مع الحدّ، لا يعرفون الأمراء ولا يخالطونهم، وسلك أتباعهم مسلكهم كشيخنا الإمام الحافظ أبي الحسن علي بن عثمان المكلاتي، وشيخنا الوليّ المحقّق أبي الربيع سليمان بن الحسن، وأبي الحسن علي بن محمد البليليتي، وعلي بن موسى، والإمام العلامة أبي العباس النقاوسي، حضرت مجالسهم وعمدتي على الأوّلين "[4].

وتأتي شهادة ياقوت الحموي لتصف النشاط الفكري والعلمي الذي بلغته بجاية، بحيث يصير العلم شائعا ومنتشرا سهل السبيل والتحصيل، متوافرا حتى بين العامّة، خاصّة العلوم الدينية فيقول : "...حضرت هارون بن النضر الريغي بالريغ في قراءة كتاب البخاري والموطأ وغيرهما عليه وكان يتكلّم على معاني الحديث وهو أمّي لا يقرأ ولا يكتب ورأيته يقرأ كتاب التلقين لعبد الوهاب البغدادي في

---

[1] ينظر الميلي : تاريخ الجزائر ، ص 265 /266

[2] الغبريني : عنوان الدراية ، ص 55

[3] المصدر نفسه : ص 55

[4] الثعالبي : أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف ، الجواهر الحسان ، ت : محمد علي معوض ، ط1 ، 1418هـ ، دار إحياء التراث ، بيروت ، ج 1 ، ص 11

مذهب مالك من حفظه كما يقرأ الإنسان فاتحة الكتاب ويحضر عنده دُوَيْنَ مائة طالب لقراءة المدونة وغيرها من كتب المذهب عليه "[1].

ويلخّص عبد الرحمن الجيلالي هذه الشهادات فيقول : " فقد كانت المدارس والمعاهد العلمية والمساجد حافلة بدروس العلم والمجالس العلمية، وكانت المنح والجوائز الدولية توزّع على العباقرة وأرباب القرائح المبرزين في كل علم وفنّ على مثال ما تصنعه الدول الراقية المعاصرة اليوم، فازدحم يومئذ على معاهدها الكثير من العلماء والحكماء والأطباء والشعراء وأهل الفنون الرياضية والهندسية، وأمّ عواصمها الكثير من جلّة علماء الأندلس والشام ومصر والحجاز والعراق والعجم رغبة منهم في الاطلاع على تبحّر عمرانها، والاستيفاء من حضارتها، كما استفادت الجزائر منهم بدورها علمهم وثقافتهم الشرقية اللّامعة..."[2].

كما عرفت بجاية والدولة الحمّادية بصفة عامّة الاستقرار الفكري نتيجة اعتناقها للمذهب المالكي، وتحقّق نوع من الوحدة على المستوى العقائدي لم يتوفّر لبلدان المشرق المعاصرة التي كان الصراع فيها قائما بين السنّة والروافض[3]، ممّا أدّى إلى إنجاب بجاية فطاحل من العلماء أمثال : أبو العباس الغبريني (ت 704هـ) صاحب عنوان الدراية، منصور الزواوي (ت 770هـ) شيخ يحيى بن خلدون ولسان الدين الخطيب والمقرّي، والشيخ عبد الرحمن الوغليسي (ت 780هـ) أحد شيوخ عبد الرحمن الثعالبي وآخرون، وكلّهم لهم مشاركات في علم التفسير كما سنرى ذلك في محلّه.

د . تلمسان :كانت تسمّى في العهد الروماني pomaria، وبعد الفتح الإسلامي قامت بها دولة خارجية هي دولة أبي قرة اليفرني، التي استمرّت حتى قضى عليها المرابطون في حركتهم العامّة للقضاء على المذاهب غير السنية في المغربين الأقصى والأوسط [4]، ثمّ جاءت دولة الموحّدين، التي استطاعت أن تسترجع الأندلس وتوحّد المغرب، وسعت إلى نشر العلم، وتصحيح الدين وإصلاحه ممّا علق به أو شابه من انحرافات التيارات الفكرية التي عرفتها المنطقة، ولذلك أولت العناية في المقام الأوّل للعلوم الدينية،

---

[1] الحموي : معجم البلدان ، ج 3 ، ص 113

[2] عبد الرحمن الجيلالي : تاريخ الجزائر العام ، ج1 ، ص 383

[3] المصدر نفسه : ج1 ، ص 383

[4] ابن الأحمر : تاريخ الدولة الزيانية بتلمسان ، ت : هاني سلامة ، ط 1 (1421هـ . 2001م) ، مكتبة الثقافة الدينية للنشر والتوزيع ، القاهرة ، ص 10

خاصّة المتعلّقة بالأصلين الكتاب والسنّة، ودعت إلى ترك الفروع، فمعظم علماء هذه الفترة يولون علوم القرآن والحديث أهمية كبرى، ويخصّصون لها معظم إنتاجهم [1]، ومن أشهرهم : أبو جعفر أحمد بن نصر الداودي المتوفي سنة 402هـ، والولي أبو مدين شعيب بن الحسين المتوفي سنة 594هـ، ثمّ جاء عهد بنو زيان الذين اشتهروا بنسبة تلمسان إليهم، إذ يعرف بنو زيان في مختلف كتب التاريخ بأنهم ملوك تلمسان، لأنّ دولتهم حكمت تلمسان ومعظم بلاد الجزائر الحالية إلى القطاع القسنطيني بخلاف الدول التي قبلها ابتداء من دولة الأدارسة ثمّ المرابطون ثمّ الموحّدون فقد كانوا يحكمون تلمسان بالتبعية لبلاد المغرب الأقصى [2]، ولأنّ ملكهم دام أكثر من ثلاثة قرون (حوالي 327 سنة) من سنة 637هـ إلى 956هـ على أصحّ الروايات وأشهر ملوكهم يغمراسن بن زيان بن ثابت الذي يُعدُّ بحقّ مؤسّس دولة بني زيان [3]، والذين عرفت تلمسان في عهدهم حركة علمية واسعة وصفها ابن خلدون بقوله : "...فأصبحت أعظم أمصار المغرب، ورحل إليها الناس من القاصية، ونفقت بها أسواق العلوم والصنائع، فنشأ بها العلماء واشتهر بها الأعلام، وضاهت أمصار الدول الإسلامية "[4].

ويحدّثنا عنها البكري فيقول : "... ولم تزل تلمسان دارا للعلماء والمحدثين وحملة الرأي على مذهب مالك بن أنس رحمه الله..."[5]، وأشهرهم ابنا الإمام : أبو زيد عبد الرحمن المتوفي سنة741هـ وأبو موسى عيسى المتوفي سنة 749هـ اللّذان ذاع صيتهما في الآفاق واشتهرا بالتبحّر في العلم والاجتهاد المطلق، فانهال عليهما الطلبة من كلّ حدب وصوب وغصّت مجالسهما العلمية بالطلبة فتخرج عليهما أعلام كثر منهم : الشريف التلمساني، والعلامة الخطيب بن مرزوق الجد، والإمام المقرّي جدّ صاحب النفح وأبو عثمان العقباني... وغيرهم ممن اخترقت شهرتهم الآفاق [6].

---

[1] عثمان الكعاك : تلمسان ونشأة الدولة الموحدية ، الأصالة ، العدد 26 ، الجزائر (أوت 1975م) ، ص 120 . 123

[2] ينظر : الأعمال الكاملة للمهدي بوعبدلي ، جمع وإعداد : عبد الرحمن دويب ،ط 3 سنة 2013م ، عالم المعرفة للنشر والتوزيع ، المحمدية . الجزائر . ج 2 (تاريخ المدن) ، ص565 . 566

[3] ينظر : تاريخ الجزائر العام ، ج2 ، ص 129

[4] ابن خلدون : العبر ، ج 7 ، ص 105

[5] البكري : أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز بن محمد ، المسالك والممالك ، دط ، سنة 1992م ، دار الغرب الإسلامي ، ج 2 ، ص 746

[6] ينظر : عبد الرحمن الجيلالي ، تاريخ الجزائر العام ، ج2 ، ص 153 . 154

هذه الحركة العلمية الواسعة كانت ثمرة لجهود بني زيان المتمثلة في بناء المدارس، واستقدام العلماء والمبالغة في إكرامهم، وخاصة علماء الأندلس الذين هجروا من بلدانهم بعد سقوطها في يد النصارى الإسبان، وكانت تلمسان مقصدهم المفضّل، يذكر التنسي محمد بن عبد الله المتوفي سنة 899هـ أنّ يغمراسن بن زيان الذي شهد عهده هجرة الكثير من الأندلسيين، قام بترتيب أحوال دولته واشتهر اعتناؤه بالعلم وأهله [1]، ويُحدّثنا المؤرّخ يحي بن خلدون عن إكرام السلطان أبي حمّو لابني الإمام حينما نزلا تلمسان فيقول :... فأكرم مثواهما وابتنى لهما المدرسة المسمّاة بهما الآن...، ولهما بتلمسان خلف كثير ينتحلون العلم كبيرا وصغيرا بلغ كثير منهم مقام التدريس والفتيا نجابة درس ونظر..."[2].

كلّ هذه العوامل والمؤثّرات والجهود ساهمت في أن تكون تلمسان حاضرة علمية بامتياز في هذه الفترة، وسنرى كيف كانت سببا في ازدهار حركة التفسير وشيوع الدرس التفسيري في المدارس المذكورة والمساجد، بل حتى في مجالس السلاطين والأمراء.

---

[1] التنسي : محمد بن عبد الله ، نظم الدرر والعقبان في بيان شرف بني زيان ، ت : محمود بوعياد ، دط (2010) ، منشورات ANEP ، رويبة ، الجزائر ، ص 135

[2] ابن خلدون : أبو زكريا يحيى بن أبي بكر ، بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد ،(1323هـ . 1903م) مطبعة بيير فونطانا الشرفية . الجزائر . المجلد الأول ، ص 72

الفصل الأول

الجذور التاريخية لعلم التفسير بالجزائر

تمهيد : التفسيـر ونشأتـه

المبحث الأول : جذور حركة التفسير في الجزائر

المبحث الثاني : أعلام التأسيس : تفاسيرهم ومناهجهم

أولا : تفسير يحيى بن سلام

ثانيا : تفسير عبد الرحمن بن رستم

ثالثا : تفسير هود بن محكم الهواري

رابعا : تفسير الباغائي

خامسا : تفسير الداودي

الفصل الأول : الجذور التاريخية لعلم التفسير بالجزائر (مرحلة التأسيس)

قبل أن نتحدّث عن الجذور التاريخية لعلم التفسير بالجزائر وتأسيسه في هذه البلاد، وذكر أعلام التأسيس ومشاركاتهم وإنتاجهم التفسيري، يحسن بنا أن نقف باختصار على تعريف التفسير ونشأته.

1 . تعريف التفسير :

أ . التفسير لغة : جاء في لسان العرب : " الفَسْرُ : البيان، وفَسَرَ الشيء يفْسِره بالكسر ويفْسُرُه بالضمّ فَسْرا، وفسَّره أبانه، والتفسير مثله "[1]، ثمّ قال : " الفَسْرُ : كشف المغطّى، والتفسير : كشف المراد عن اللّفظ المشكَل "[2].

وفي القاموس للفيروزابادي : " الفسر : الإبانة وكشف المغطى، كالتفسير، والفعل : كضرب ونصر "[3]، وكلّها أقوال تدلّ على أنّ مادّة : (ف، س، ر) يدور معناها على الكشف والبيان والإيضاح ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا﴾[الفرقان :33]

وذكر الذهبي في كتابه : التفسير والمفسّرون أنّ التفسير يستعمل لغة في الكشف الحسّي وفي الكشف عن المعاني المعقولة، واستعماله في الثاني أكثر من استعماله في الأول "[4]، فمثال الاستعمال الأول : قول أبي حيّان في البحر المحيط : "...ويُطلق أيضا التفسير على التعرية للانطلاق، قال ثعلب : تقول : فَسَّرْتُ الفرس : عرّيته لينطلق في حصره، وهو راجع لمعنى الكشف، فكأنّه كشف ظهره لهذا الذي يريده منه من الجري "[5]، ومثال الاستعمال الثاني : قولهم : تفسير الآية كذا وكذا أي : معانيها.

وجمع الدمنهوري ببراعة بين الاستعمالين وهو يشرح قول الأخضري في الجوهر المكنون :

---

[1] ابن منظور : أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن علي ، لسان العرب ، ط 3 (1414ه) دار صادر ، بيروت ، مادة (فسر)ج 5 ، ص 55

[2] المرجع نفسه : ج 5 ، ص 55

[3] الفيروزآبادي : أبو طاهر محمد بن يعقوب ، القاموس المحيط ، ت : مؤسسة الرسالة ، ط 8 (1426ه . 2005م) مؤسسة الرسالة ، بيروت ، لبنان ، ص 456

[4] الذهبي : محمد السيد حسين ، التفسير والمفسرون ، دط ، دت ، مكتبة وهبة القاهرة ، ج 1 ، ص 12

[5] أبو حيّان : محمد بن يوسف أثير الدين الأندلسي ، البحر المحيط في التفسير ، ت : صدقي محمد جميل ، دط (1420ه) ، دار الفكر ، بيروت ، ج 1 ، ص 26

وشاهدوا مطالع الأنوار وما احتوت عليه من أسرار

فقال : " معنى البيت أنّهم بواسطة إمعان النظر الناشئ عمّا رسم في قلوبهم، شاهدوا معاني كلمات القرآن التي هي كمطالع الأنوار الحسّية، بجامع ما ينشأ عن كلّ من النّور وإن كان محسوسا في الأوّل معقولا في الثاني "[1].

لكن الراغب الأصفهاني يرى أنّ الفسر والسفر يتقارب معناهما كتقارب لفظيهما لكن جُعل " الفَسْرُ لإظهار المعنى المعقول، ومنه قيل لما يُنبئ عنه البول : تَفْسِرَةٌ، وسُمِّي بها قارورة الماء "[2]، و " السَّفْرُ :كشف الغطاء، ويختصّ ذلك بالأعيان، نحو : سَفَرَ العمامة عن الرأس، والخمار عن الوجه،... والإسفار يختصّ باللّون نحو : ﴿وَٱلصُّبۡحِ إِذَآ أَسۡفَرَ﴾ [المدثر : 34]، أي : أشرق لونه "[3].

فأصل مادّة التفسير في كلّ الأحوال يدور على معاني الكشف والبيان والإيضاح والاظهار.

ب . التفسير اصطلاحا : عرّفه البسيلي في التقييد الكبير بقوله : " علم يُبحث فيه عن كيفية النّطق بألفاظ القرآن، ومدلولاتها، وأحكامه الإفرادية، والتركيبية، ومعانيها التي تُحمل عليها حال التركيب، وتتِمّات ذلك "[4].

وهو تعريف يشتمل على تفصيل وبيان المواضيع التي يتطرق إليها المفسّر، أو العلوم التي يستعملها كأداة للتفسير، وحصرها البسيلي في : القراءات، اللّغة، التصريف، الإعراب، البيان،الحقيقة والمجاز،الناسخ والمنسوخ وأسباب النزول، لكن البعض اعتبر هذه العلوم مقدّمات لدرك التفسير لا منه.

ولذلك اختار الزركشي تعريفه بقوله : " علم يُفهم به كتاب الله المنزّل على نبيّه محمّد صلّى الله عليه وسلم، وبيان معانيه، واستخراج أحكامه وحكمه "[5].

---

[1] الدمنهوري : أحمد ، حلية اللب المصون على الجوهر المكنون ، دط (1994م) ، ص 7 . 8

[2] الراغب الأصفهاني : أبو القاسم الحسين بن محمد ، المفردات في غريب القرآن ، ت : صفوان عدنان الداودي ، ط 1 (1412هـ) دار القلم ، دمشق ، ص 636

[3] المرجع نفسه : ص 412

[4] البسيلي : التقييد الكبير للبسيلي ، نسخة إلكترونية بالمكتبة الشاملة ، ص 200

[5] السيوطي : جلال الدين ، عبد الرحمن بن أبي بكر ، الإتقان في علوم القرآن ، ت : محمد أبو الفضل إبراهيم ، دط (1394هـ . 1974م) الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ج 4 ، ص 195

ثمّ قال : " واستمداد ذلك من علم اللّغة والنحو والتصريف وعلم البيان وأصول الفقه والقراءات، ويحتاج لمعرفة أسباب النزول والناسخ والمنسوخ "[1].

وهو تعريف فيه تطابق إلى حدّ بعيد بين المعنيين اللّغوي والاصطلاحي.

2 . نشأة التفسير : تنبع الحاجة إلى تفسير القرآن من ضرورة أن يفهم الأفراد والجماعات ما يدلّ عليه كلام الله تعالى المنزّل على نبيّه من حقائق العقيدة، وأحكام الشرائع، وما تخلّل ذلك من أنباء الأمم وقصص الأنبياء الماضين، لأجل التصديق والاعتبار والعمل والمتابعة في تفاصيل الحياة الإسلامية،كلّ ذلك على وفق ما تقتضيه قوانين الكلام العربي إذ أنّ القرآن " قد استعمل الحقيقة والمجاز، والتصريح والكناية، والإيجاز والإطناب، وعلى نمط العرب في كلامهم، غير أنّ القرآن يعلو على غيره من الكلام العربي بمعانيه الرائعة التي افتن بها في غير مذاهبهم، ونزع منها إلى غير فنونهم، تحقيقا لإعجازه ولكونه من لدُن حكيم عليم "[2].

ولما كان عموم العرب على قدر واسع من جودة البيان، وسلامة الأداء، بسبب ما حصل للسانهم من الاتّساع، ومفردات لغتهم من الوفرة،فما كان منهم من تعذّر عليه فهمه، ولا خفيت عليه مقاصده ومعانيه، بل كان وضوح معانيه ويُسْر فهمه، هو الأصل فيما قام حوله من صراع، بين مؤمن يجد فيه شفاء نفسه وانشراح صدره، وكافر ينقبض لقوارع آياته فلا يزال يدفعها بالاعراض والمعارضة والدفاع والمقارعة، وكان ذلك هو الأصل أيضا في تكوُّن الأمّة المحمّدية وتولُّد التاريخ الإسلامي "[3].

ولذلك لم يُؤثر عن النّبي صلّى الله عليه وسلم ما يدُلّ على أنّه فسّر القرآن باستيفاء المفردات والتراكيب، ممّا لم تكن الحاجة داعية إليه، وهو ما يُفهم ممّا روته أمُّ المؤمنين عائشة رضي الله عنها : " ما كان رسول الله صلى الله عليه وسلّم يُفسّر من القرآن إلّا آيا علّمه إيّاهنّ جبريل "[4]، ولذلك علّق عليه ابن جرير الطبري في مقدّمة تفسيره بقوله : " أمّا الخبر الذي رُوي عن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم أنّه لم يكن يُفسِّر من القرآن شيئا إلّا آيَا بعدَدٍ، فإنّ ذلك مُصحِّحٌ ما قلنا من القول في الباب الماضي قبل

[1] السيوطي : الإتقان ، ج 4 ، ص 195
[2] الذهبي : التفسير والمفسرون ، ج 1 ، ص 29
[3] محمد الفاضل بن عاشور : التفسير ورجاله ، مجمع البحوث الإسلامية ، دط(1390هـ . 1970م) ، ص 09
[4] أخرجه ابن جرير في تفسيره ، باب ذكر الأخبار التي غلط في تأويلها ، رقم : 90 ، ج 1 ، ص 84

وهو : أنّ من تأويل القرآن ما لا يُدرك علمُه إلّا ببيان الرسول صلّى الله عليه وسلم، وذلك تفصيل جُمَلِ ما في آيِه من أمر الله ونهيه، وحلاله وحرامه، وحدوده وفرائضه، وسائر معاني شرائع دينه، الذي هو مُجْمَلٌ في ظاهر التنزيل، وبالعباد إلى تفسيره الحاجة، لا يدرك علم تأويله إلّا ببيان من عند الله على لسان رسوله صلّى الله عليه وسلّم، وما أشبه ذلك ممّا تحويه آيُ القرآن، من سائر حُكْمِهِ الذي جعل الله بيانَه لخلقه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلّم، فلا يعلم أحد من خلق الله تأويل ذلك إلّا ببيان الرّسول صلّى الله عليه وسلم، ولا يعلمه رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم إلّا بتعليم الله إيّاه ذلك بوحيه إليه، إمّا مع جبريل، أو مع من شاء من رسله إليه، فذلك هو الآيُ التي كان رسول الله صلّى الله عليه وسلّم يُفسِّرها لأصحابه بتعليم جبريل إيّاه، وهنّ لا شكّ آيٌ ذواتُ عدَدٍ "[1].

وبهذا أيضا يمكن أن نفهم كلام ابن تيمية رحمه الله : " يجب أن يُعلم أنّ النّبي صلّى الله عليه وسلّم بيَّن لأصحابه معاني القرآن، كما بيَّن لهم ألفاظه، فقوله تعالى : لتبيّن للنّاس ما نُزِّل إليهم يتناول هذا وهذا "[2]، أي إذا نظرنا إلى سائر أبواب الدّين خصوصا الفقهية، وما تمثله السنّة العملية، وتفاصيل السيرة النبوية، وكذا ما أُثِر عنه صلّى الله عليه وسلّم من أحاديث تتعلّق بمختلف حقائق الدّين من عقيدة وأخلاق وقصص كتفسير للقرآن " ألا وإنّي أوتيت القرآن ومثله معه "[3]، يمكن القول أنّه عليه الصلاة السلام بيَّن وفسَّر كلَّ القرآن.

ثمّ جاء عهد الصحابة، فلم تكن حاجتهم إلى التفسير كحاجة من جاء بعدهم، لوضوح دلالة القرآن على مقاصده، ولكونهم عاصروا التنزيل وشهدوا ظروفه وملابسات تنزيله، ولذلك " كان النزاع بين الصحابة في تفسير القرآن قليلا جدّا، وهو وإن كان في التابعين أكثر منه في الصحابة فهو قليل بالنسبة إلى من بعدهم، وكلما كان العصر أشرف كان الاجتماع والائتلاف والعلم والبيان فيه أكثر "[4].

---

[1] الطبري : محمد بن جرير ، جامع البيان في تأويل القرآن ، ت : أحمد محمد شاكر ، ط 1 (1420هـ . 2000م) مؤسسة الرسالة ، ج 1 ، ص 87. 88

[2] ابن تيمية : أبو العباس أحمد بن عبد الحليم ، مقدمة في أصول التفسير ، دط (1400هـ . 1980م) دار مكتبة الحياة ، بيروت ، لبنان ، ص 09

[3] أحمد بن حنبل : مسند الإمام أحمد بن حنبل ، ت : شعيب الأرنؤوط ، ط 1 (1421هـ . 2001م) مؤسسة الرسالة ، باب حديث المقدام بن معدي كرب الكندي ، رقم : 17174 ، ج 28 ، ص 410 .

[4] ابن تيمية : أبو العباس أحمد بن عبد الحليم ، محموع الفتاوى ، ت : عبد الرحمن بن محمد بن قاسم ، دط (1416هـ . 1995م) مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف ، المدينة ، م.ع .س ، ج 13 ، ص 332

فاشتهر بالتفسير من الصحابة عدَدٌ قليلٌ، قالوا في القرآن بما سمعوه من رسول الله صلّى الله عليه وسلّم مباشرة، أو بالواسطة، وبما شاهدوه من أسباب النزول، وبما فتح الله به عليهم من طريق الرأي والاجتهاد [1].

ولذلك استطاع السيوطي أن يَعُدَّهُم ويذكر أسماءهم فقال : " اشتهر بالتفسير من الصحابة عشرة : الخلفاء الأربعة، وابن مسعود، وابن عباس، وأُبيّ بن كعب، وزيد بن ثابت، وأبو موسى الأشعري، وعبد الله بن الزبير "[2].

وفي عهد التابعين كثرت الأقوال في التفسير، نتيجة لتشتت الصحابة في الأمصار التي فتحت، وتعدد مدارس التفسير : مدرسة عبد الله بن عباس بمكة، مدرسة أبي بن كعب بالمدينة، مدرسة عبد الله بن مسعود بالعراق، ولكل مدرسة تلامذة وأتباع ومصادر، ودخلت الإسرائيليات في التفسير بدخول الكثير من أهل الكتاب في الإسلام وكان لا يزال عالقا بأذهانهم من الأخبار ما لا يتّصل بالأحكام الشرعية، وظهرت نواة الخلاف المذهبي، وكثر الخلاف بين التابعين في التفسير عمّا كان بين الصحابة رضوان الله عليهم [3].

ثمّ جاء عهد التدوين " وذلك حيث ابتدأ تدوين حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم، فكانت أبوابه متنوّعة، وكان التفسير بابا من هذه الأبواب التي اشتمل عليها الحديث، فلم يُفرَد له تأليفٌ خاص يُفسِّر القرآن سورة سورة وآية آية "[4].

ثمّ انفصل التفسير عن الحديث " وصار علما قائما بنفسه، ووضع التفسير لكلّ آية من القرآن، ورتّب ذلك على حسب ترتّب المصحف، وتمّ ذلك على أيدي طائفة من العلماء منهم ابن ماجة المتوفى سنة 273هـ، وابن جرير الطبري المتوفى سنة 310هـ،... وغيرهم من أئمة هذا الشأن "[5].

---

[1] الذهبي : التفسير والمفسرون ، ج 1 ، ص 49

[2] السيوطي : الإتقان في علوم القرآن ، ج 4 ، ص 233

[3] ينظر : المرجع السابق ، ج 1 ، ص 77. 97

[4] الذهبي : التفسير والمفسرون ، ج 1 ، ص 104

[5] المرجع نفسه : ج 1 ، ص 105

وهذه الأدوار كما سنرى كان لحركة التفسير في الجزائر نصيب منها، بداية من تلقّي بعض روايات التفسير من الصحابة والتابعين الفاتحين، مرورا ببعض المرويات التي اشتملت على التفسير كباب من أبواب الحديث وتدريس بعض مؤلّفات التفسير المشهورة، وانتهاء بالتأليف في علم التفسير.

المبحث الأول : جذور حركة التفسير في الجزائر

إنّ للتفسير ببلاد المغرب جذورا تصل إلى الفاتحين من الصحابة والتابعين، الذين دخلوا إلى هذه البلاد وهم يحملون رسالة واجب تبليغها عملا بقوله تعالى : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ ﴾ [المائدة 67]، وعملا بقوله صلّى الله عليه وسلّم : " ليبلّغ الشاهد منكم الغائب "[1]، وعملا بوصية النبي صلى الله عليه وسلم لعمرو بن حزم لما وجّهه إلى اليمن بأن : "يُعلِّم النّاس القرآن ويفقِّهَهُم فيه "[2]، فاقتضى هذا الواجب بيان الأحكام من مصدريها الكتاب والسنّة إذ لا مذهب في تلك الفترة، خصوصا وقد علمنا أنّ عملية الفتح استمرت مدّة طويلة، وشهدت حملات متكررة، اضطرّت الصحابة والتابعون للمكوث في هذه البلاد، فبنو المساجد والكتاتيب، وعقدوا مجالسهم التعبّدية والعلمية فيها، لاسيّما المبرَّزين منهم في التفسير على رأسهم ابن عباس وتلميذه عكرمة، هذا ما يمكن اعتباره حجر الأساس لعلم التفسير ببلاد المغرب، والذي تعزّز بالبعثات العلمية الموفدة من قبل الخلفاء وغيرها من وفود الصحابة والتابعين الذين قصدوا المغرب رغبة في الدعوة ونشر العلم، ثمّ رحل إلى المشرق من أراد الاستزادة من العلم ليعود ويبُثَّه، ثمّ جاء دور المذاهب الفقهية فعرفت البلاد تنوّعا فكريا ومذهبيا، على رأسه المالكية والإباضية، فاجتهد كلٌّ منهم في التركيز على القرآن الكريم خدمة لمعتقده ومذهبه، فعُقِدت مجالسٌ وحلقاتٌ لتدريس التفسير وتوالت التآليف فيه.

أولا : دخول التفسير مع الفاتحين

رصدت لنا كتب التراجم أنّ جُلَّ الفاتحين كانوا من الصحابة والتابعين، فيذكر المالكي أنّ الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه لما دعا الناس إلى غزو إفريقية وأجابوه، خطب وندب الناس إلى الغزو فخرج جماعة من الصحابة منهم عبد الله بن الزبير، وأبو ذر الغفاري، وعبد الله بن عباس، وعبد الرحمن بن أبي بكر، وعبد الرحمن بن صبيحة، وعبد الله بن عمر بن الخطاب وأخواه، وعبد الله بن عمرو بن

[1] مسلم : أبو الحسن بن الحجاج القشيري النيسابوري ، صحيح مسلم ، ت : محمد فؤاد عبد الباقي ، دط ، دت ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، باب حجة النبي صلى الله عليه وسلم ج2 ، ص 882

[2] ابن هشام : أبو محمد عبد الملك بن هشام ، السيرة النبوية ، ت : مصطفى السقا ، ط2 (1375هـ . 1955م) شركة مصطفى البابي الحلبي وأولاده ، مصر ، ج2 ، ص 595

العاص وغيرهم من قبائل شتى، خرج جميعهم مع عبد الله بن أبي السرح العامري سنة سبع وعشرين من الهجرة [1].

ويذكر صاحب المعالم أنّ عقبة بن نافع كان معه في عسكره خمسة وعشرون من الصحابة [2]، فإذا علمنا دخول هذا العدد من الصحابة والتابعين، وعرفنا تفوّق الكثير منهم وبراعته في التفسير كابن عباس ترجمان القرآن، ومولاه عكرمة، وأدركنا أنّ الفتح الإسلامي كان فتحا دينيا محضا أساسه القرآن الكريم والسنة النّبوية، والفاتحين كانوا دعاة يُبيِّنون الأحكام، كلُّ ذلك يتطلَّب التفسير ويستلزمه.

ثمّ جاءت مرحلة اختطاط القيروان، وكان أوّل شيء اختط منها الجامع، وقد أفصح عقبة بن نافع عن أهدافه فذكر منها "... اللّهم املأها علما وفقها..."[3]، وفعلا أصبحت القيروان ومسجدها مركز إشعاع علمي وحضاري، وأمَّها طلّاب العلم من كلّ أنحاء المغرب، باعتبارها العاصمة السياسية ومحطَّ رِحال الفاتحين من صحابة وتابعين، ومقصد العلماء والصالحين، ممّا أكسبها مهابة وجلالة، وجعلها تتبّوأ الرّيادة من الناحية العلمية والثقافية قال الدباغ : " وأمّا فضل القيروان عموما فمعلوم على تعاقب الزمان، متداول بين الأمم لا يختلف فيه اثنان، ناهيك من قوم سلفهم الأوّل أفاضل الصحابة والتابعين الذين فتح الله بهم أقطار المغارب وجالت في أرجائه منهم أفضل الجيوش والكتائب، وعلى أيديهم أسلم سائره، وانتصفت من طائفة الكفر جنود الحق وعساكره، وأمّا من جاء بعدهم فعلماء الدّين والقدوة لسائر المسلمين، مصابيح الظلام وأئمة الاقتداء وهم الذين كانت تشدُّ إليهم الإبل..."[4].

فمن القيروان ومسجدها انطلقت الدعوة وبُثَّ العلم، وعُقدت حلقات التدريس، ومنها حلقة لعكرمة مولى ابن عباس الذي قدم المغرب لنشر العلم [5]، ونزل بها ومكث برهة في القيروان، قال أبو

---

[1] المالكي : رياض النفوس ، ج 1 ، ص 15. 16

[2] الدباغ : معالم الإيمان ، ص 7

[3] المصدر نفسه : ص 7

[4] المصدر نفسه : ص 24

[5] المالكي : رياض النفوس ، ج 1 ، ص 92

العرب :"وقد دخلها في زمن بني أمية عكرمة مولى ابن عباس وكان مجلسه في مؤخر المسجد الجامع في غربي المنارة الموضع الذي يُسمّى بالركيبية ولم يكن عكرمة دخلها غازيا" [1].

ولا شك أنّ حلقته كانت في التفسير العلم الذي برع فيه فهو من قال عنه الثوري : "خذوا تفسير القرآن عن أربعة عكرمة وسعيد بن جبير ومجاهد والضحاك "[2].

ولأنّ هدف الفاتحين هو نشر الإسلام، وتلقين المسلمين الجدُد تعاليمه، انتشرت الكتاتيب في المراحل الأولى للفتح، فلم يمض ربع قرن من بناء القيروان حتّى وُجدت فيها كتاتيب لتعليم القرآن، "حكى غياث بن أبي شبيب قال : كان سفيان بن وهب صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم يمرُّ علينا ونحن غلمة بالقيروان يسلم علينا في الكُتّاب وعليه عمامة قد أرخاها من خلفه"[3]، وسفيان بن وهب كان وجوده بالقيروان مابين سنتي 60هـ و78هـ"[4]، وأورد المالكي أنّ ابن سحنون في تاريخه ذكر أنّ سفيان بن وهب هذا غزا إفريقية سنة ستين [5].

فهذا النص يشير إلى أنّ تعليم القرآن كان شائعا في بلاد المغرب في هذه الفترة المبكرة، ولاشك أنّ هذا التعليم صاحبه تفسير بسيط لبعض معاني القرآن، ولو عن طريق الترجمة التفسيرية بلُغة أهل البلاد، ثمّ تعزَّز هذا بالبعثات العلمية الرسمية منها وغير الرسمية، ولم تحفظ لنا كتب التراجم والسير أيَّ نصٍّ في تفسير القرآن من هذه الحلقات العلمية إلّا ما رواه أبو الوليد ابن الفرضي بسنده المتصل إلى قيس بن الحجاج، أنّه سمع حنشا الصنعاني وهو من جلّة التابعين الذين دخلوا المغرب، وهو ممّن يروي عن ابن عباس، وكان متواجدا بإفريقية سنة خمسين ذكر ذلك صاحب تاريخ دمشق فقال : " وكان عبد الملك

---

[1] أبو العرب : محمد بن أحمد بن تميم المغربي الإفريقي ، طبقات علماء إفريقية ، دط ، دت ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت ـ لبنان . ج 1 ، ص19

[2] ابن عبد البر : أبو عمر يوسف بن عبد الله القرطبي ، التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد ، ت : محمد بن مصطفى العلوي ، دط ، سنة 1387هـ ، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية ، المغرب ، ج 2 ، ص 28

[3] الدباغ : معالم الإيمان ، ص 151 ، المالكي : رياض النفوس ، ج 1 ، ص 59

[4] المصدر نفسه : ص 151

[5] المالكي : رياض النفوس ، ج 1 ، ص 91

بن مروان حين غزا المغرب مع معاوية بن حديج نزل عليه بإفريقية سنة خمسين"[1]، يقول في هذه الآية : ﴿ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ ﴾ [البقرة : 274] قال : أي في علف الخيل.[2]

ثانيا : البعثات العلمية : وفد إلى بلاد المغرب جملة من علماء التابعين، إمّا على شكل غير رسمي بحيث يقوم بها من وجد في نفسه رغبة في الدعوة ونشر العلم، ومثاله قدوم عكرمة وسلمة بن سعد لبلاد المغرب، وقد ذكرت المصادر الإباضيه أنّهما قدما معا، عكرمة يدعوا إلى مذهب الصفرية، وسلمة يدعوا إلى مذهب الإباضية[3]، وإمّا على شكل رسمي بحيث يختار الخليفة أو الوالي أو القائد من يقوم بهذه المهمّة التعليمية، ومثاله البعثات التالية :

. بعثة عقبة بن نافع : تجلّى حرص عقبة على تعليم القرآن من خلال وصيته لأبنائه فقد " أوصى أولاده أن لا يقبلوا الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم إلّا من ثقة، ولا يكتبوا ما يشغلهم عن القرآن "[4]، وترك بعض أصحابه بالمغرب الأقصى منهم شاكر صاحب الرباط وغيره يُعلِّمون أهل طنجة وضواحيها القرآن ويفقّهونهم في الدّين[5]، فيمكن اعتبار هذا الصنيع أوّل بعثة علمية لأهل المغرب.

. بعثة عقبة بن عامر : يذكر الواقدي في فتوح إفريقية أنّه لما فتح مدينة قسطل (موجودة اليوم في تبسة) أقام فيها ثلاثة أيام وبنى فيها جامعا، وأمّر على أهلها أميرهم، وجعل فيها قاضيا ليعلّمهم فرائض الصلاة والسنن والقرآن وأمور الدين "[6].

---

[1] ابن منظور : أبو الفضل جمال الدين ، مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر ، ت : روحية النحاس و عبد الحميد مراد ومحمد مطيع ، ط1 (1402هـ . 1984م) ، دار الفكر ، دمشق . سوريا . ج7 ، ص 280

[2] ابن الفرضي : أبو الوليد عبد الله بن محمد بن يوسف بن نصر ، تاريخ علماء الأندلس ، ت : السيد عزت العطار ، ط 2 (1408هـ . 1988م) ، مكتبة الخانجي . القاهرة . ج 1 ، ص 150

[3] ينظر : محمود اسماعيل عبد الرزاق ، الخوارج في بلاد المغرب حتى منتصف القرن الرابع الهجري ، ط 2 (1406هـ . 1985م) ، دار الثقافة ، الدار البيضاء . المغرب . ص 46

[4] ابن مخلوف : محمد بن محمد بن عمر ، شجرة النور الزكية في طبقات المالكية ، ت : عبد المجيد خيالي ، ط 1 (1424هـ . 2003م) ، دار الكتب العلمية ، لبنان ، ج 2 ، ص 118

[5] ينظر : ابن عذاري : البيان المغرب ، ج 1 ، ص 42

[6] الواقدي : أبو محمد عبد الله بن عمر ، فتوح إفريقية ، دط ، سنة 1896م ، ص 106

. **بعثة حسان بن النعمان** : بعدما استقرّ الأمر في إفريقية والمغرب لحسان بن النعمان، وذلك بعد مقتل الكاهنة سنة 82هـ، وتوقّفت حركات التمرّد، وضمن ولاء البربر بخروجهم مع موسى بن نصير لفتح الأندلس، اتّجه حسان إلى توطين دعائم الإسلام بواسطة تعليم البربر، فترك في المغرب الأوسط (بلاد الأوراس) بعثة علمية تُلقِّنُهم القرآن ومبادئ الإسلام، ذكر هذه البعثة الثعالبي فقال :" ونَدَبَ ولدَيْ الكاهنة فعقد لكلٍّ واحدٍ منهما على ستة آلاف من أولئك المواطنين، وخوَّلهما أسمى رُتب الجيش، ناهيك برتبة القيادة في صدر الإسلام، فأخرجهم وسيَّر معهم ستة آلاف من العرب لاكتساح المرتدّين في موروطانيا...، وأقام لهم المعلّمين يعلّمونهم العربية والدين"[1].

ولا شك أنّ تعليم الدّين لا يكون إلّا بتفسير معاني القرآن، وشرح بسيط لألفاظه، فهو الجسر الموصل لذلك، ولا شكّ أن التفسير في هذه المرحلة يتطلّب الاستعانة بلغة البربر لترجمة المعاني المراد ترسيخها في أذهان المتلقّين، فالأمر شبيه بالترجمة التفسيرية لمعاني القرآن الموجودة اليوم.

. **بعثة موسى بن نصير** : لما فتح طنجة من المغرب الأقصى سنة 92هـ، أراد أن يتأسَّى بمن قبله من القادة الفاتحين، فترك من يُعلِّم أهلها القرآن والإسلام يقول ابن عذاري :" ولما حمل أبو مدرك زرعة بن أبي زرعة رهائن المصامدة، جمعهم موسى مع رهائن البربر الذين أخذهم إلى إفريقية والمغرب وكانوا على طنجة، وجعل عليهم مولاه طارقا، ودخل بهم جزيرة الأندلس، وترك موسى بن نصير سبعة عشر رجلا من العرب يعلِّمونهم القرآن وشرائع الإسلام "[2].

فقد نصّت هذه الرواية على أنّ من جملة الرهائن بربر المغرب وإفريقية، ولاشكّ أنّهم لُقّنوا على أيدي معلِّميهم شيئا من القرآن وتفسيره.

. **بعثة عمر بن عبد العزيز** : وهي أشهر بعثة علمية وفدت لبلاد المغرب، وعُرفت ببعثة الفقهاء العشرة، وذاع صيتُ هذه البعثة عند المؤرّخين لما تركته من آثار جليلة تمثّلت في ترسيخ تعاليم الإسلام عن طريق الفقه والتفسير وبيان الأحكام، وهي بعثة معلوم عدَدُها وأسماء مبعوثيها وكفاءتهم العلمية، لاسيما في الفقه والتفسير وهي بعثة واضحة الهدف والمقصد، فعدد هؤلاء التابعين عشرة وهم :

[1] عبد العزيز الثعالبي : تاريخ شمال إفريقيا من الفتح الإسلامي إلى نهاية الدولة الأغلبية ، ت : أحمد بن ميلاد و محمد إدريس ، ط 1 (1407هـ . 1987م) ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت . لبنان . ، ص 77

[2] ابن عذاري : البيان المغرب ، ج 1 ، ص 42

. أبو عبد الرحمن الحبلي واسمه عبد الله بن يزيد المعافري : قال المالكي :" بعثه عمر بن عبد العزيز رضي الله تعالى عنه إلى إفريقية ليفقههم في الدين فانتفع به أهل إفريقية وبثّ فيها علما كثيرا، وتوفي بالقيروان سنة مائة من الهجرة ودفن بباب تونس"[1].

. أبو مسعود سعد بن مسعود التجيبي :قال صاحب المعالم :" وهو من العشرة الذين بعثهم عمر ببن عبد العزيز رضي الله تعالى عنه ليفقّهوا أهل القيروان"[2].

. اسماعيل بن عبيد الأنصاري المعروف بتاجر الله : قال المالكي :"... وكان من سكان القيروان، انتفع به خلق كثير من أهلها وغيرهم، وبثّ فيها علما كثيرا، وهو أحد العشرة التابعين، وكان رجلا صالحا يقال له تاجر الله، وهو الذي بنى المسجد الكبير بالقيروان الذي يُعرف الآن بمسجد الزيتونة، وكان يُصلّي به ويعمُره...وختم الله عزّ وجلّ أعماله بالشهادة وكان ذلك سنة سبع ومائة"[3].

. أبو الجهم عبد الرحمن بن رافع التنوخي : قال المالكي :" سكن القيروان وانتفع به خلق كثير، وهو أوّل من أُستُقْضِي فيها بعد فتحها...، وهو أحد العشرة التابعين، تُوفي بالقيروان سنة ثلاث عشرة ومائة رحمه الله تعالى"[4].

. موهب بن حي المعافري : قال المالكي :" وموهب أحد العشرة التابعين رحمه الله تعالى، سكن القيروان وبثّ فيها العلم وفيها كانت وفاته "[5].

. حبان بن أبي جبلة القرشي : قال المالكي : " سكن القيروان وانتفع به أهلها، تُوفي سنة خمس وعشرين ومائة وهو أحد العشرة التابعين "[6].

. أبو ثمامة بكر بن سوادة الجذامي :قال المالكي :" قال أبو سعيد بن يونس : كان فقيها مفتيا، سكن القيروان وكانت وفاته بها سنة ثمان وعشرين ومائة رحمه الله تعالى...، وكان أحد العشرة التابعين"[1].

---

[1] المالكي : رياض النفوس ، ج 1 ، ص 100

[2] الدباغ : معالم الإيمان ، ص 184

[3] المصدر نفسه : ص 106 . 107

[4] المالكي : رياض النفوس ، ج 1 ، ص 110

[5] المصدر نفسه : ج 1 ، ص 111

[6] المصدر نفسه : ج 1 ، ص 112

. أبو سعيد جعثل بن هاعان بن عمير بن اليثوب : قال المالكي : " وهو أحد العشرة الذين أرسلهم عمر بن عبد العزيز من التابعين...، ذكر ابن يونس قال : كان أحد القراء الفقهاء تُوفّي أوّل خلافة هشام"[2].

. أبو عبد الحميد إسماعيل بن عبيد الله بن أبي المهاجر القرشي المخزومي مولى لهم : قال المالكي :" استعمله عمر بن عبد العزيز على أهل إفريقية ليحكم بينهم بكتاب الله عزّ وجلّ وسنّة نبيّه صلى الله عليه وسلّم، ويفقّههم في الدين، وهو أحد العشرة التابعين، سكن القيروان وسار في المسلمين بالحقّ والعدل، وعلَّمهم السُنن و، كانت وفاته بالقيروان، تُوفّي سنة اثنتين وثلاثين ومائة وأسلم على يديه خلق كثير من البربر"[3].

. طلق بن جابان الفارسي : عَدَّه أبو العرب من العشرة التابعين[4].

أمّا كفاءتهم العلمية وأهليتهم للتعليم، فنستشِفُّها من تراجمهم، فقد اتفقت كلمة كلّ من ترجم لهم أنّهم من الفقهاء، والفقه في تلك الفترة ليس هو علم الفروع، وإنما هو العلم بالكتاب والسنّة وبمعانيهما وأحكامهما، لاسيما وأنّهم تتلمذوا على من برع في التفسير كابن عباس، ممّا سيدعم مدرسته في التفسير التي أسّسها عكرمة لما قدم إلى القيروان، وهي مدرسة رائدة في هذا المجال أشار إلى ذلك ابن تيمية بقوله :" وأمّا التفسير فأَعْلَمُ النّاس به أهل مكة لأنهم أصحاب ابن عباس "[5]، وهي مدرسة التفسير بالمأثور، وسيتجلّى ذلك واضحا في تفاسير المغاربة كتفسير يحيى بن سلام، هذا المنهج الذي ظهرت معالمه من خلال الرسالة التي كتبها هؤلاء الفقهاء لحنظلة بن صفوان من أجل حمل المسلمين في طنجة على اعتقاد ما فيها والعمل به ونصّها :" بسم الله الرحمن الرحيم من حنظلة بن صفوان إلى جميع أهل طنجة أمّا بعد : فإنّ أهل العلم بالله وبكتابه وسنّة نبيه محمّد صلى الله عليه وسلم يعلمون أنّه يرجع جميع ما أنزل الله عزّ وجلّ إلى عشر آيات : آمرة وزاجرة، ومُبشِّرة ومُنذِرة ومخبرة، ومُحكمة ومُتشابهة، وحلال وحرام، وأمثال، فآمرة بالمعروف وزاجرة عن المنكر، ومبشرة بالجنّة ومنذرة بالنار، ومخبرة بخبر الأولين والآخرين،

---

[1] المالكي : رياض النفوس ، ج 1 ، ص 112
[2] المصدر نفسه : ج 1 ، ص 114
[3] المصدر نفسه : ج 1 ، ص 116
[4] المصدر نفسه : ج 1 ، ص 118
[5] ابن تيمية : مجموع الفتاوى ، ج 13 ، ص 347

ومُحكمة يعمل بها، ومتشابهة يؤمن بها، وحلال أَمَر أن يُؤتى، وحرام أَمَر أن يجُتنب، وأمثال واعظة، فمن يُطع الآمرة، وتَزْجُره الزاجرة، فقد استبشر بالمبشِّرة وأنذرته المنذرة، ومن يُحلِّل الحلال ويُحرِّم الحرام، ويَرُدَّ العلم في ما اختلف فيه الناس إلى الله، مع طاعة واضحة ونية صالحة فقد فاز وافلح وأنجح، وحيا حياة الدنيا والآخرة والسّلام عليكم ورحمة الله وبركاته"[1].

فقد تضمّنت هذه الرسالة المحاور التي يدور عليها علم التفسير بداية بما ينبغي توفُّره في المفسّر من شرط الورع وعدم القول على الله بغير علم، مع مراعاة ما نصّ عليه القرآن وبيّنته السنّة، والوقوف عند المتشابه، كما حصرت مواضيع القرآن في عشرة تتنوّع بين الترغيب والترهيب، وبيّنت أنّ الهدف من التفسير هو تصحيح العقيدة وبيان الأحكام وتهذيب السلوك.

كما نستشفّ من هذه الرسالة أنّ جهود هؤلاء التابعين كانت موجهة خصوصا لتعليم القرآن وتفسيره وبيان مقاصده، لكن مع ذلك لم تحفظ لنا كتب التاريخ والتراجم أي نصّ تفسيريّ عنهم، لأن التفسير في هذه الفترة كان جزءا من الحديث يعتمد على الرواية والمشافهة، مع عدم التكلُّف والتعمُّق، والحرص على تمثُّل القرآن في الواقع العملي، وهو منهج النّبي صلّى الله عليه وسلّم ومنهج الصحابة الكرام.

ثالثا :الرحلات العلمية : بعدما أخذ علماء المغرب مبادئ العلم عن الفاتحين من الصحابة والتابعين، وذاقوا حلاوته في حِلَق ومجالِس الفقهاء، تطلّعوا إلى الزيادة، فرحلوا إلى المشرق للتلقّي عن العلماء والمحَدِّثين ومنهم : عبد الرحمن بن زياد بن أنعم المعافري المتوفي سنة 161هـ الذي رحل إلى المشرق، وسمع من جِلّة التابعين كسفيان الثوري، وعبد الله بن وهب، وبلغ مبلغ التدريس بمكة، ثمّ رحل إلى العراق فسمع من كبار أصحاب أبي حنيفة وابن أبي زائدة[2]، ثم رجع إلى القيروان وبثّ فيها العلم، وترك كتابان رواهما عبد الله بن غانم [3].

ومنهم عبد الله بن فروخ الفارسي المتوفي سنة 176هـ، الذي رحل إلى المشرق لطلب العلم، فلقي التابعي ابن أبي زائدة، ولقي مالكا وسفيان الثوري وسمع منهم، كما لقي عبد الملك بن جريج صاحب

[1] المالكي : رياض النفوس ، ج 1 ، ص 103

[2] ينظر: المالكي ، رياض النفوس ، ج 1 ، ص 152 . 161

[3] أبو العرب : طبقات علماء إفريقية ، ج 1 ، ص 30

تصنيف أوّل تفسير على أشهر الروايات، ورحل إلى الكوفة فسمع من الأعمش، ثمّ رجع إلى إفريقية فأقام بها يُعلِّم الناس العلم ويحدِّثهم بسنّة رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، فتتلمذ عليه خلق كثير أشهرهم يحيى بن سلام [1]، صاحب أوّل تفسير مغربي باق إلى اليوم.

كما حفظت كتب السير والتراجم الرحلة المشهورة لعلماء الإباضية الذين عرفوا بحملة العلم الخمسة، وهم الذين اختارهم سلمة بن سعد داعية المذهب الإباضي ببلاد المغرب، لما أحسّ أنّ المذهب بحاجة ماسة لمزيد من التبصير بتعاليمه وأصوله الفقهية، لذلك اختار ممثِّلين عن كلّ الجهات التي انتشر فيها المذهب، للتوجُّه للبصرة لمزيد من الدّرس، فاختير عاصم السدراتي من غرب الأوراس، وأبو داود القبلي من نفزاوة جنوبي إفريقية، واسماعيل بن درار من غدامس جنوبي طرابلس، وانضم إليهم عبد الرحمن بن رستم من القيروان، وتوجّه هؤلاء إلى البصرة، وظلّوا في صحبة أبي عبيدة مسلم بن كريمة خمس سنوات يتلقّون العلم على يديه، ثمّ عادوا لبلاد المغرب سنة 140هـ، لِبَثِّ العلم ونشر المذهب [2]، ومنهم من برع في التفسير وألف فيه كعبد الرحمن بن رستم، ومن تلامذتهم محمد بن يانس أبو المنيب(ط5: 200. 250هـ) الذي كان عالما في التفسير، جاء في كتاب السير للشماخي أنّ الإمام عبد الوهاب طلب من جبل نفوسة أن يبعثوا له جيشا يتضمن مائة فقيه، ومائة مُفسِّر، ومائة مُبارِز، ومائة مُتكلِّم، لمناظرة الواصلية (المعتزلة)، فساروا بأربعة كلُّ واحدٍ تكفّل ما تفعله المائة، فتكفَّل أبو المنيب محمد بن يانس خصوصا بعلم تفسير كتاب الله وعلَّل ذلك بأنّه أخذه عن الثقات[3]، وأُثِر عنه قوله : " أخذت تفسير القرآن كلَّه من الثقات، وتعلَّمتُه عنهم، إلّا حرفا أو حرفين "[4].

فالظاهر أنّ هذه البعثة قد أعطت دفعا قويا لعلم التفسير خصوصا ببلاد المغرب الأوسط، فقد كان حظها وافرا من هذه البعثة، عاصم السدراتي وعبد الرحمن بن رستم، كما أنّ عدد المفسّرين الذي طلبه الإمام يُشعِر بكثرة المهتمّين بهذا العلم في تلك الفترة،كما يُنبئ هذا النص عن شيوع جوّ المناظرات العلمية بين التيارات الفكرية المختلفة، والتي كانت تستند في البرهنة على صحّة اتجاهاتها بالقرآن الكريم عن طريق تفسيره وتأويله بما يخدمها ويوافقها، إضافة إلى بروز مختصّين في التفسير.

[1] الدباغ : معالم الإيمان ، ص 238 وما بعدها . أبو العرب : طبقات علماء إفريقية ، ج 1 ، ص 34
[2] محمود إسماعيل عبد الرزاق : الخوارج في بلاد المغرب الإسلامي ، ص 55
[3] ينظر : الشماخي :كتاب السير ، ج 1 ، ص 145
[4] مج من المؤلفين : معجم أعلام الإباضية ، ج 2 ، ص 396

رابعا : تدريس مرويات علماء المشرق في التفسير :

قلنا سابقا بأنّ كثيراً من الأعلام رحلوا إلى المشرق للاستزادة من العلم، ثمّ رجعوا إلى بلدانهم ليبثّوا العلم فيها، فكان مما حملوه معهم مرويات التابعين في التفسير، ذكر المالكي أنّ أسد بن الفرات وهو ممّن رحل إلى المشرق ولقي مالكا وصاحبي أبي حنيفة أبا يوسف يعقوب الكوفي ومحمد بن الحسن الشيباني، سأل محمد بن الحسن عن تعيين الذبيح قال : قلت يوما لمحمد بن الحسن اختلفت الروايات في الذبيح من هو ؟ فقال قوم : هو إسحاق، وقال قوم : هو إسماعيل، وقال محمد : أصح الروايات عندنا أنّه إسماعيل لأنّ الله عزّ وجلّ يقول في كتابه الكريم : ﴿ فَبَشَّرْنَـٰهَا بِإِسْحَـٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسْحَـٰقَ يَعْقُوبَ ﴾ [هود : 71]، فكيف يُختبَر إبراهيم بذبح ابنه إسحاق وقد أعلمه الله أنّه سيولد له إسحاق ويولد لإسحاق يعقوب ؟ وإنّما الاختبار فيما لم يعرف عاقبته وهو اسماعيل[1].

فالنصّ يدلّ على أنّ التفسير المروي عن التابعين كان حاضرا في حلقات التدريس ببلاد المغرب، فأسد بن الفرات سُئِل عن تفسير الآية فأجاب بما سمعه فيها، وهو من تفسير القرآن بالقرآن.

ويورد المالكي نصّا آخر فيما كان شائعا من رواية كتب التفسير فيقول : عن أبي الحداد قال : حدثت عن أسد أن أصحابه كانوا يقرأون عليه يوما في تفسير المسيب بن شريك [2] إلى أن قرأ القارئ : ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾ [القيامة : 22 ـ 23]، ... فقال : نعم ننظره "[3].

فالنصّ يدلّ على وجود روايات تفسير لرواة معروفين كانت متداولة في هذه الفترة، يعرضها الطلبة على شيوخهم، وفيه حرص هؤلاء الأعلام على عقيدة السلف، والشدّة والقسوة على من حاول الطعن فيها، لأنّ سليمان بن حفص كان من رؤوس المعتزلة بالقيروان، وكان يحضر دروس ابن الفرات لبثّ الفتنة، والدعوة إلى أفكار نِحلتِه المتمثلة في إنكار رؤية الله يوم القيامة، والقول بخلق القرآن [4] .

---

[1] المالكي : رياض النفوس ، ج 1 ، ص 255 وص 260

[2] المسيب بن شريك : هو أبو سعيد التميمي الكوفي ضعفه علماء الحديث ينظر : ابن حجر العسقلاني : أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد ، لسان الميزان ت : دائرة المعارف النظامية بالهند ، ط2 (1390هـ ـ 1971م) ، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ، بيروت ـ لبنان ـ ، ج 6 ، ص 38

[3] المالكي : رياض النفوس ، ج 1 ، ص 265

[4] ينظر : ابن عذاري ، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب ، ج 1 ، ص 119

ونجد نصّا آخر عند أبي العرب قال : وحدثني جبلة بن حمود قال : أخبرنا أبو سليمان داود بن يحي قال : رأيت أسد بن الفرات يعرض التفسير فتلا هذه الآية :﴿ فَٱسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰٓ ﴿١٣﴾ إِنَّنِىٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدْنِى ﴾ [طه : 14]، فقال عند ذلك أسد : ويحٌ لأهل البدع هلكت هوالكهم يزعمون أنّ الله جلّ وعزّ خلق كلاما يقول ذلك الكلام المخلوق : " أنا الله لا إله إلا أنا "[1].

فعبارة . يعرض التفسير . توحي بوجود تفسير مخصوص كان ابن الفرات يخصِّص له حلقة لتدريسه وشرحه وإظهار معانيه، ويصاحب ذلك نقاشا في المسائل المتكلّم فيها.

وذكرت كتب التراجم أنّ تفسير ابن وهب المصري كان ممّا يروى في القيروان " وكان عيسى بن مسكين يُحدِّث بكُتب ابن وهب في منزله "[2].

وبدخول المذهب المالكي لبلاد المغرب عن طريق تلامذته، أشهرهم علي بن زياد الذي تذكر بعض كتب التراجم أنّه أوّل من نقل الفقه المالكي والموطأ للمغرب [3]، وتداول الناس كتبه التي على رأسها الموطّأ الذي احتوى على تفسير بعض الآيات مثل قوله : " عن مالك أنّه سأل ابن هشام عن قول الله عزّ وجلّ :﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا نُودِىَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوْمِ ٱلْجُمُعَةِ فَٱسْعَوْا۟ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ ﴾ [الجمعة : 09]، فقال ابن شهاب كان عمر بن الخطاب يقرؤها : ... فامضوا إلى ذكر الله، قال مالك : وإنما السعي في كتاب الله العمل والفعل، قال الله تبارك وتعالى :﴿ وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا ﴾ [البقرة : 205]، وقال تعالى : ﴿ وَأَمَّا مَن جَآءَكَ يَسْعَىٰ ﴿٨﴾ وَهُوَ يَخْشَىٰ ﴾ [عبس : 09 . 10]... قال مالك : ليس السعي الذي ذكره الله في كتابه بالسعي على الأقدام ولا الاشتداد وإنّما عنى

---

1 أبو العرب : طبقات علماء إفريقية ، ج 1 ، ص 82

2 القاضي عياض : أبو الفضل بن موسى اليحصبي ، ترتيب المدارك وتقريب المسالك ، ت : عبد القادر الصحراوي ، ط1 1970م ، مطبعة فضالة ، المحمدية . المغرب . ج 3 ، ص 335

3 ينظر : المالكي : رياض النفوس ، ج 1 ص 134 . ابن مخلوف : شجرة النور الزكية ، ج 1 ص 91 . القاضي عياض : ترتيب المدارك ، ج 3 ، ص 80

العمل والفعل "[1]، وقوله في قوله تعالى :﴿ وَءَاتُواْ حَقَّهُۥ يَوْمَ حَصَادِهِۦ ﴾ [الأنعام : 141] أنّ ذلك الزكاة[2].

إضافة إلى أقوال مالك التي نقلها عنه تلامذته وحدّثوا بها في مجالسهم قال الذهبي في ترجمة الإمام مالك : " وله جزء في التفسير يرويه خالد بن عبد الرحمن المخزومي، يرويه القاضي عياض عن أبي جعفر أحمد بن سعيد عن أبي عبد الله محمد بن الحسن المقرئ عن محمد بن علي المصيصي عن أبيه بإسناده "[3]، منها : "سئل مالك عن تفسير مكّة وبكّة، فقال : بكّة موضع البيت، ومكّة غيره من المواضع يريد القرية "[4]، وسئل مالك عن تفسير :﴿إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا ﴾ [الأنفال : 29]، فقال : مخرجا، لأنّ الله تبارك وتعالى يقول : ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ﴾ [الطلاق : 02]، قال محمد بن رشد : فسّر مالك رحمه الله إحدى الآيتين بالأخرى "[5].

وليس ذلك فحسب بل شهدت حركة التفسير في الجزائر في هذا العهد المتقدّم التأليف في التفسير، فألّف عبد الرحمن بن رستم (ت 171هـ) كتابا في التفسير على اتّفاق جميع من ترجم له[6]، وتفسير آخر لابنه عبد الوهاب بن عبد الرحمن، ذكره بلحاج شريفي في مقدّمة تحقيقه لتفسير هود بن مُحكّم الهواري، ولم يستبعد اطّلاع ابن محكّم عليهما والنقل منهما [7].

---

[1] مالك بن أنس : موطأ الإمام مالك ، ت : محمد فؤاد عبد الباقي ، دط (1406هـ . 1985م) ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت . لبنان . ج 1 ، ص 106

[2] المصدر نفسه : ج 1 ، ص 272

[3] الذهبي : سير أعلام النبلاء ، ج 8 ص 89 ، القاضي عياض : ترتيب المدارك ، ج 2 ، ص 93

[4] ابن رشد : أبو الوليد محمد بن أحمد القرطبي ، البيان والتحصيل والشرح والتوجيه والتعليل لمسائل المستخرجة ، ت : محمد حجي ، ط 2 (1408هـ . 1988م) دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، لبنان ، ج 3 ، ص464

[5] المصدر نفسه : ج 17 ، ص 394

[6] معجم أعلام الإباضية : ج 2 ، ص 247 . عادل نويهض : معجم المفسرين ، ط 3 (1409هـ . 1988م) ، مؤسسة نويهض الثقافية ، بيروت . لبنان . ج 1 ، ص 266 . عبد الرحمن الجيلالي : تاريخ الجزائر العام ج 1 ، ص 222

[7] هود بن محكم الهواري : تفسير كتاب الله العزيز ، ت : بالحاج بن سعيد شريفي ، ط1(1990م) ، دار الغرب الإسلامي ، ج 1 ، هامش ص 85

كما انتشر في بلاد المغرب أثناء هذه الفترة تفسير يحيى بن سلّام البصري ت 200هـ، وتذكر أيضا كتب التراجم أنّ الفقيه المالكي أبو عبد الله محمد بن سحنون المتوفي سنة 256هـ، صنف عدّة كتب منها : أحكام القرآن[1].

وفي التراث الإباضي أيضا نجد للوّاب بن سلام بن عمرو اللواتي التوزري المزاتي المتوفي نحو 273هـ الكثير من الكلام في التفسير في كتابه " كتاب فيه بدء الإسلام وشرائع الدين " كقوله : " وقال الله تعالى : ﴿ إِن تَجۡتَنِبُواْ كَبَآئِرَ مَا تُنۡهَوۡنَ عَنۡهُ نُكَفِّرۡ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُم ﴾ [النساء : 31]، فأخبر تعالى أنّ من الذنوب كبائر وهي التي على أهلها عقاب في الدنيا، وهي الزنا والربا والقذف وأكل مال اليتيم وقتل الصيد في الحرم وغلّ الغنيمة في السبي والفرار من الزحف... " وقال أيضا : ﴿ ٱلَّذِينَ يَجۡتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡفَوَٰحِشَ ﴾ [النجم : 32] وهي الموجبات التي جاء عليها الوعيد...ثمّ استثنى " إِلَّا ٱللَّمَمَ "، وقال الحسن : إلّا اللّمم : يَلِمُّ بها العبد من الزنا والسرقة وشرب الخمر وأشباه ذلك من الذنوب الكبائر ثمّ يندم ويتوب ويرجع، فيغفر الله لهم إذا تابوا منها، فقد استثناها الله وتفضل عليهم بالتوبة إذا تابوا، ولولا أنّه استثنى لهلك الناس إلا قليلا وكقوله : ﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً ﴾ [آل عمران : 135] يعني بها الكبائر التي جاء فيها الوعيد من الله، ثمّ قال : ﴿ أَوۡ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ ﴾ يعني في ما دون الكبائر من الذنوب ﴿ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ ﴾ فتابوا إلى الله و" استغفروا لذنوبهم " قال : والصغائر من الذنوب التي لا عقاب عليها في الحكم في الدنيا، نحو دخول البيت بغير إذن، وقال بعض المفسّرين : إنّما اللّمم الذنوب الصغائر التي لا عقاب عليها في الدنيا وفي حكم الله في الدنيا..."[2].

وغيرها من النصوص التفسيرية التي ضمّنها كتابه، وكلها توحي بأنّه تلقين بسيط وبأسلوب سهل لمبادئ الإباضية وعقائدهم، من خلال توضيح معاني الآيات وشرحها بلا عزو للأقوال لأصحابها.

---

[1] القاضي عياض : ترتيب المدارك ، ج 4 ، ص 204

[2] ابن سلّام الأباضي (1406هـ . 1986م) : كتاب فيه بدء الإسلام وشرائع الدين ، ت : قيرز شقارتس و الشيخ سام بن يعقوب ، دار النشر فرانز شتايز بقيسبادن ،ص 67 . 66

وسنخصّ تفسير عبد الرحمن بن رستم وتفسير يحيى بن سلّام بالكلام لأنّهما وضعا الأساس للتأليف في هذا العلم ببلاد المغرب الأوسط، إضافة إلى تفسير هود بن محكم الهواري وتفسير أحمد الباغاني وتفسير أحمد بن نصر الداودي.

المبحث الثاني : أعلام التأسيس تفاسيرهم ومناهجهم

لم يمرّ على الفتح الإسلامي إلّا فترة وجيزة، حتى وُجدت قاعدة متينة لعلم التفسير ببلاد المغرب الأوسط، فعُقدت فيه المجالس وظهرت فيه المؤلّفات، وبرز فيه أعلام تركوا بصمتهم وسجّلوا حضورهم في مضمار التفسير رواية ودراية، بداية من انتشار تفسير يحي بن سلّام وتناوله من طرف العلماء بالدرس والاختصار، أثمرت بعد ذلك تلك الجهود مؤلّفات بارزة لها قيمتها العلمية المتمثّلة في حفظ الكثير من التراث التفسيري، لولا أنّ جُلّها في حكم المفقود .

أولا : تفسير يحيى بن سلام ودخوله لبلاد المغرب:

أ . ترجمة يحيى بن سلّام : هو يحي بن سلّام بن أبي ثعلبة التيمي البصري ثمّ الإفريقي : مُفسِّر، فقيه، عالم بالحديث واللغة، أدرك نحو عشرين من التابعين وروى عنهم، ولد بالكوفة سنة 124هـ، وانتقل مع أبيه إلى البصرة فنشأ بها ونُسب إليها، ورحل إلى مصر ومنها إلى إفريقية واستوطنها...من كتبه تفسير القرآن[1]، الذي ألّفه بالقيروان وسمعه الناس منه ودرسه تلامذته في حياته، فأبو العرب عند ترجمته لشيخه يحي محمد بن يحي بن سلام قال :"... وعنه روى الناس بعد أبيه تفسير جدّه يحي، وقد أقرأه في جامع عقبة بالقيروان، فأخذه عنه القاصي والداني"[2].

فعبارة أبي العرب تدلّ صراحة على أنّ تفسير ابن سلّام سُمع في القيروان، ومنها انتقل عن طريق الطلبة الذين كانوا يؤُمُّونها من البلاد القريبة والبعيدة .

وقال ابن الجزري في طبقات القراء : "... نزل المغرب وسكن إفريقية دهرا، وسمع الناس بها كتابه في تفسير القرآن، وليس لأحد من المتقدّمين مثله..."[3].

---

[1] ينظر: الزركلي : خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس ، الأعلام ، ط 15 سنة 2002م ، دار العلم للملايين ، ج 8 ، ص 148

[2] أبو العرب : طبقات علماء إفريقية ، ج 1 ، ص 38

[3] ابن الجزري : أبو الخير شمس الدين ، غاية النهاية في طبقات القراء ، ط1 سنة 1351هـ ، مكتبة ابن تيمية ،ج 2 ، ص 373

وابن الفرضي في ترجمة محمد بن وضّاح قال :"... ورحل إلى المشرق فروى بالقيروان تفسير القرآن ليحيى بن سلام..."[1].

وفي ترجمة علي بن الحسن المرّي قال :"... ورحل فسمع بإفريقية من أبي داود أحمد بن موسى بن جرير روى عنه تفسير القرآن ليحيى بن سلام..."[2].

وتتجلّى أهمّية هذا التفسير في كونه أقدم تفسير وصل إلينا وهو باق إلى اليوم، ممّا يؤكّد اهتمام أهل المغرب بالتفسير منذ البدايات الأولى، فابن سلّام وإن كان بصريا تتلمذ عل لُغوييها ونُحاتها ومُفسّريها، فقد تتلمذ أيضا على المغاربة قال أبو العرب في ترجمة عبد الله بن فروخ : "...وقد سمع عنه يحيى بن سلام "[3]، وذكر المالكي أنّه سمع من البهلول بن راشد[4].

فقد تفتَّقت موهبة ابن سلّام في التفسير بالقيروان وانتفع أهل المغرب بتفسيره، وهو يمثّل مرحلة الانتقال بالتفسير من روايته كباب من أبواب الحديث إلى استقلاليته كعلم له قواعده وأسسه.

فتفسير ابن سلام في نظر الفاضل بن عاشور هو حلقة الوصل بين تفسير مأثور سنده الرواية وفقط، وبين تفسير مأثور يستند إضافة إلى الرواية على قواعد من اللّغة وإعرابها وتراكيبها وأصول الأحكام ومقاصدها، و سمّاه بالتفسير النقدي أو التفسير الأثري النظري، وخطّأ ابن عاشور من نسب هذه الطريقة لابن جرير الطبري وغفل عن ابن سلام فقال : " وإنّه لممّا يجدر التنبيه إليه في هذا المقام : أنّ الذين يشيرون إلى هذه الطريقة وخصائصها من الكاتبين حديثا في تاريخ التفسير، يبادرون إلى ضرب المثل بتفسير محمد بن جرير الطبري فيقطعون بذلك سلسلة التطور في الأوضاع بين القرن الأول والقرن الثالث، بإضاعة الحلقة من تلك السلسلة التي تمثل منهج التفسير في القرن الثاني... وبالوقوف عليها يتضح كيف تطور فهم التفسير عما كان عليه في عهد ابن جريج إلى ما أصبح عليه في تفسير الطبري، ويتضح لمن كان الطبري مدينا له بذلك المنهج الأثري النظري الذي درج عليه في تفسيره العظيم، وإنما نعني بهذا تفسيرا جليلا من آثار القرن الثاني...، وهو الذي يعتبر مؤسّس طريقة التفسير النقدي أو

---

[1] ابن الفرضي : تاريخ علماء الأندلس ، ج 2 ، ص 32

[2] المرجع نفسه : ج 1 ، ص 357

[3] أبو العرب : طبقات علماء إفريقية ، ج 1 ، ص 36

[4] المالكي : رياض النفوس ، ج 1 ، ص 132

الأثري النظري، التي سار عليها بعده ابن جرير الطبري واشتهر بها، ذلك هو تفسير يحيى بن سلام التميمي البصري الإفريقي المتوفي سنة 200هـ..."[1] .

بل تذكر هند شلبي أنّ الطبري استفاد ونقل عن ابن سلام فتقول : " والذي يمكن تأكيده هو أن الطبري قد اطلع على تفسير ابن سلام، وقد يكون ذلك قد تمّ عند قدومه إلى مصر...، والمفيد أن أذكر أنني وقفت في تفسير الطبري على رواية لمحمد بن عبد الله بن عبد الحكم (ت 268هـ) فقيه أهل مصر وتلميذ يحيى بن سلام، يرويها مباشرة عن يحيى بن سلام، ويرويها الطبري مباشرة عن محمد بن عبد الله بن عبد الحكم... "[2]، لكن بالحاج الشريفي نفى ذلك وقال : " أمّا ابن جرير الطبري فلم أعثر في تفسيره على ذكر لابن سلّام أو لأقواله إلّا مرّة واحدة...، ولعل ذلك راجع إلى أنّ تفسير ابن سلام رُوي أوّلا وانتشر أكثر في إفريقية والمغرب والأندلس"[3].

ب . منهج يحيى بن سلام في تفسيره :

تكلّم عنه الكثيرون منهم بالحاج شريفي في مقدّمة تحقيقه لتفسير هود بن محكم الهواري، والفاضل بن عاشور في كتابه التفسير ورجاله، وملخّص كلامهم أنه تفسير مأثور يقوم على الرواية والسّند، ونقدٍ للأقوال باستعمال المعنى اللّغوي والتركيب الإعرابي، مع الإشارة إلى القراءات وتوجيهها أحيانا، كما يكثر من التفسير بالأشباه والنظائر فيقول مثل قوله، أو كقوله، إذ هو من أوائل من صنّفوا في علم الأشباه والنظائر في كتابه : التصاريف لتفسير القرآن ممّا اشتبهت أسماؤه وتصرّفت معانيه[4].

ويتّضح ذلك بالمثال فعند تفسيره لقوله تعالى : ﴿ وَعَلَى ٱللَّهِ قَصْدُ ٱلسَّبِيلِ وَمِنْهَا جَآئِرٌ ﴾ [النحل : 09] يُصدِّر ذلك باختياره فيقول : وعلى الله قصد السّبيل" : والسّبيل قصد الطريق الهادى إلى

[1] الفاضل بن عاشور : التفسير ورجاله ، ط2 (1390هـ . 1970م) ، مجمع البحوث الإسلامية ، الأزهر ، ص 28

[2] هند شلبي : مقدمة تفسير يحي بن سلام التيمي البصري القيرواني ، ط 1 (1425هـ . 2004م)) ، دار الكتب العلمية ، بيروت . لبنان . ج 1 ، ص 15 /16

[3] بالحاج شريفي : مقدمة تحقيق تفسير هود بن محكم الهواري ، ج1 ، ص 28

[4] وهو كتاب حققته هند شلبي وأكدت نسبته ليحيى بن سلّام . ينظر : يحي بن سلام : التصاريف : تفسير القرآن مما اشتبهت أسماؤه وتصرفت معانيه . مقدمة المحققة هند شلبي . (1429هـ . 2008م) ، مؤسسة آل البيت الملكية للفكر الإسلامي ، عمان . الأردن . ص 78 . 79

الجنّة كقوله :﴿إِنَّ عَلَيۡنَا لَلۡهُدَىٰ ﴾ [الليل : 12]، ثمّ يورد الروايات التفسيرية فيقول : قال سعيد عن قتادة : قصد السبيل : البيان حلاله وحرامه وطاعته ومعصيته، وقال ابن مجاهد عن أبيه: قصد السبيل : الطريق الحق على الله [1].

أمّا بالنسبة لاستعماله للتفسير اللّغوي فعند تفسيره لقوله تعالى :﴿ إِنَّا رَسُولُ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾ [الشعراء : 16] قال : وهي كلمة من كلام العرب . يقول الرجل للرجل : من كان رسولك إلى فلان ؟ فيقول : فلان وفلان وفلان " [2].

أمّا التركيب الإعرابي فأحيانا يتطرّق له، فعند تفسير قوله تعالى : ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ إِلَّا رِجَالاً نُّوحِيٓ إِلَيۡهِمۡۚ فَسۡـَٔلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلذِّكۡرِ إِن كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ﴾[النحل : 43] قال : " قال يحي : وفيها تقديم : وما أرسلنا من قبلك بالبّينات والزبر، الكتب، إلّا رجالا يوحى إليهم"[3].

أمّا ذكر بعض القراءات وتوجيهها فعند تفسير قوله تعالى : ﴿ فَتَقَطَّعُوٓاْ أَمۡرَهُم بَيۡنَهُمۡ زُبُرًاۖ ﴾ [المؤمنون : 53] يقول : " وهي تُقرأ على وجهين : زُبرا مثل قراءة مجاهد، وزبِرا مثل قراءة قتادة، فمن قرأها زبِرا قال قطعا، ومن قرأها زُبرا قال كتبا، وهي كقوله : ﴿ مِنَ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمۡ وَكَانُواْ شِيَعًاۖ ﴾ [الروم : 32] فِرَقا وهذا هو مقرأ الحسن وغيره "[4] .

كما يقوم منهج ابن سلّام على النقد والترجيح، يدلّ على ذلك ذكره لعبارات : وهو أعجب إلي [5]، لا يأخذ به يحي [6]، وبه يأخذ يحي [7].

---

[1] يحي بن سلّام : تفسير يحي بن سلام ، ج 1 ، ص 53
[2] المصدر نفسه : ج 2 ، ص 498
[3] المصدر نفسه : ج 1 ، ص 66
[4] المصدر نفسه : ج 1 ، ص 403
[5] المصدر نفسه : ج1 ، ص 295
[6] المصدر نفسه : ج 1 ، ص 447
[7] المصدر نفسه : ج 2 ، ص 714

ج . دخول تفسير ابن سلام للمغرب الأوسط : ممّا يؤكّد دخول تفسير يحيى بن سلام للمغرب الأوسط وتدارسه من طرف أعلامه، أن هناك جملة من الأسباب تدلّ على ذلك منها :

. أنّ ممّن اختصروا هذا التفسير هود بن محكم الهواري الأوراسي الإباضي، فقد ذكرت بعض المراجع أنّ هودا روى هذا التفسير عن يحيى بن محمد بن يحيى بن سلّام الذي يعد أحد رواة هذا التفسير[1].

. بالإضافة إلى تتلمذ الكثير في القيروان التي كان شائعا فيها، وقد مرّت معنا عبارة أبي العرب وهو يتحدث عن هذا التفسير " فأخذه عنه القاصي والداني "، وفي مقّدمة تحقيق تفسير هود بن محكم نجد قول المحقّق بالحاج شريفي : " وكانت دار محمد بن يحيى مركزا من مراكز العلم كما يفهم من رواية القاضي عياض، ومفتوحة للطلبة الذين يقصدونها... للتفقه على هذا العالم الذي ورث علم أبيه ويؤمها الفقهاء والعلماء للمناظرة... أفلا يكون الشيخ الهواري من بين هؤلاء الطلبة والعلماء ؟ "[2].

. وكذلك وصول هذا التفسير إلى المغرب الأقصى و الأندلس، فقد اختصره أيضا ابن أبي زمنين القرطبي (ت 399هـ)، ولا شكّ أنّ ذلك مرورا ببلاد المغرب الأوسط، يؤكّد ذلك ما نجد لأحمد بن نصر الداودي (ت 402 هـ) من نُقُول عن يحيى بن سلام منها قوله في كتاب الأموال :" روى يحيى بن سلام عن بعض أهل الكوفة أنّه لا يأخذها من له خمسون درهما "[3]، كلّ ذلك يدعم القول بأنّ تفسير ابن سلّام ذاع صيته عند أعلام الجزائر وتداولوه وتدارسوه واشتغلوا عليه بالرواية والاختصار.

---

[1] ينظر : يحيى بن سلام : التصاريف ، ص 85.77

[2] هود بن محكم الهواري : تفسير كتاب الله العزيز ، ج 1 ، ص 32 ، 33

[3] الداودي : أبو أحمد بن نصر ، كتاب الأموال ، ت : رضا محمد سالم شحادة ، دط (1429هـ . 2008م) دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ص 155

ثانيا : تفسير عبد الرحمن بن رستم :

أ . ترجمته : هو عبد الرحمن بن رستم بن بهرام، وكان مولى لعثمان بن عفان، ولما دخل ابن الأشعث القيروان فرَّ إلى المغرب الأوسط، فنزل تيهرت، فاجتمعت عليه الإباضية وبايعوه إماما سنة 160هـ إلى أن توفي سنة 171هـ، وهو فقيه من فقهاء الإباضية، وكان زاهدا متواضعا، على جانب عظيم من العلم والعمل والعدل، له من التآليف : تفسير القرآن العظيم، وديوان خطب، إلّا أنها غير موجودة [1].

ب . تفسيره : وقد كان هذا التفسير موجودا حتى بداية القرن السادس الهجري، فقد ذكر الشماخي عند أخبار أبي محمد عبد الله بن محمد اللواتي (الطبقة الحادية عشر : 500هـ . 550هـ) ذكر أنّ سبب سفره إلى قلعة بني حمّاد أنّ سليمان بن مدرار النفّوسي قال له : تركت تفسير عبد الرحمن بن رستم ينادى به في القلعة للبيع، ووصلها أيّام الخريف، وسأل عن الكتاب، فأخبره نكاري أنّه قد بيع قبل قدومه "[2]، لكنّه لم يصلنا منه شيء إلّا صفحة مخطوطة نسبها إليه صاحب فهرست معلمة التراث الجزائري بين القديم والحديث.

وتشتمل هذه الصفحة على تفسير للآيات : من الآية : 152 إلى الآية : 160 من سورة الأنعام من قوله تعالى :﴿وَلاَ تَقْرَبُواْ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلاَّ بِالتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥ ﴾ [الأنعام : 152] إلى قوله تعالى :﴿ وَمَن جَآءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلاَ يُجْزَىٰٓ إِلاَّ مِثْلَهَا وَهُمْ لاَ يُظْلَمُونَ ﴾ [الأنعام : 160]، فبداية هذه الصفحة : " ثمّ فأنزل الله : وإن تخالطوهم فإخوانكم والله يعلم المفسد من المصلح فنسختها...، إلى وقال : السيئة هاهنا الشرك "[3].

ويتضح بعد قراءة هذه الصفحة التطابق بينها وبين تفسير هود بن مُحكِّم الهواري مما ينفي صحّة نسبتها لعبد الرحمن بن رستم.

---

[1] ينظر : ابن عذاري ، البيان المغرب ، ج 1 ، ص 196 . عادل نويهض : معجم أعلام الجزائر ، ج 1 ص 147 . عبد الرحمن الجيلالي : تاريخ الجزائر العام ، ج1 ، ص 222

[2] الشماخي : كتاب السير ، ج 2 ، ص 100

[3] ورقة مخطوطة وردت في فهرست معلمة التراث الجزائري بين القديم والحديث لبشير بن ضيف بن أبي بكر الجزائري ، مراجعة : عثمان بدري ، ط 2 ، دت ، منشورات ثالة ، الأبيار ، الجزائر ص 54 (ينظر : المرفق 01)

ثالثا : تفسير هود بن محكم الهواري

أ . ترجمته : هو هود بن مُحَكِّم بن هود الهواري الأوراسي، الهواري نسبة إلى قبيلة هوارة البربرية، و الأوراسي نسبة إلى جبل الأوراس[1]، مفسِّر من علماء الإباضية ، تتلمذ على والده الذي كان قاضيا بتيهرت على عهد الإمام أفلح بن عبد الوهاب، عاش في النصف الثاني من القرن الثالث له تفسير القرآن توفي سنة 280هـ[2].

ب . تفسيره : وصف الشماخي تفسيره بقوله : "... وهو صاحب التفسير المعروف، وهو كتاب جليل في تفسير كتاب الله لم يتعرض فيه للنحو والإعراب بل على طريقة المتقدّمين"[3]، وجاء في معجم أعلام الإباضية أنّه لأهميته تذكر المصادر أنّ رجلين تنازعا واختصما فيه كلٌّ يدَّعي مِلكيتَه حتّى كادت عشيرتاهما تقتتلان، مما حدا بالقاضي أبي محمد جمال المديوني إلى تقسيمه نصفين، فقام كلٌّ منهما بنسخ النصف الآخر[4].

وقد طبع هذا التفسير معنونا ب : " تفسير كتاب الله العزيز " من تحقيق الأستاذ بالحاج بن سعيد شريفي، ولم يستبعد هذا الأخير أن يكون هود قد اطّلع على تفسيري الإمامين : عبد الرحمن بن رستم وابنه عبد الوهاب واستفاد منهما ،كما ذكر أنّه اعتمد اعتمادا كثيرا بل كلّيا على تفسير يحي بن سلام الذي هو أصل هذا التفسير، بل قال :" لو جاز لي أن أضع للكتاب عنوانا غير الذي وجدته في المخطوطات لكان العنوان هكذا : تفسير الشيخ هود الهواري (مختصر تفسير ابن سلّام البصري)[5].

ج . منهج هود بن محكم في تفسيره :

. تناول منهج هود بالدراسة الأستاذ بلحاج شريفي في مقدمة تحقيقه كما تناولته دراسات أكاديمية منها : منهج هود بن محكم الهواري في التفسير وهي أطروحة دكتوراه للزغيشي سعاد من جامعة باتنة، ملخص هذا المنهج أنّ هودا بن محكم اختصر تفسير يحي بن سلام على رأي المحقق بلحاج شريفي، فقد

[1] ينظر : معجم أعلام الإباضية ، ج 2 ، ص 443. الشماخي : كتاب السير ، ج 1 ، ص 167

[2] ينظر : ابن الصغير : أخبار الأئمة الرستميين ، ص 49 ، عادل نويهض : معجم المفسرين ، ج 2 ، ص 714

[3] الشماخي : كتاب السير ، ج 2 ، ص 59

[4] معجم أعلام الإباضية : ج 2 ، ص 443

[5] هود بن محكم الهواري : تفسير كتاب الله العزيز (مقدمة المحقق) ، ج 1 ، ص 24

ذكر بأنّه قارن بين نصوص التفسيرين في الأصلين المخطوطين، فوجد هذا التطابق الذي يدُلُّ على أنّ تفسير ابن سلام هو الأصل[1]، لكن لم يذكر الشيخ هود بتاتا أنّ عمله الاختصار ولا الداعي إلى هذا الاختصار، وممّا جعل البعض يُرجّح احتمال تعمُّده، عدم ورود أيّ ذكر ليحيى بن سلام في هذا التفسير إلّا ما ذكره في خطبة الكتاب من أنّه تلقّى التفسير عن يحيى بن محمد بن يحيى بن سلام، بالإضافة إلى أنّه يُبهم أقوال يحيى فيقول : قال بعضهم.

لكن المحقق استبعد أن يكون هذا من صنيع الشيخ هود، وأورد احتمال ضياع أوراق ديباجة التفسير التي قد يكون ذكر فيها أنّه اعتمد تفسير ابن سلّام واختصره، معلّلا ذلك بأنّ مخطوطات التفسير التي اطلع عليها كلّها مخرومة من أوّلها وآخرها، ومستأنسا بما قاله له المحقّق أحمد شاكر من أنّها عادة المؤلِّفين في النقل عن بعضهم البعض [2] .

. تصرَّف ابن محكّم في تفسير ابن سلّام وفقا لمذهبه ومعتقده الذي يراه صوابا، فعمد إلى كلّ ما لا يتماشى معه فحذفه وغيره تبعا لذلك، وهذا من عيوب مختصره وقد بيّنه المحقق صراحة بقوله : " فما جاء في تفسير ابن سلّام موافقا لأصول الإباضية أثبته، وما خالفها حذفه وأثبت مكانه ما وافق رأي الإباضية "[3]، ويظهر ذلك جليا عند تفسير آيات الصفات، ومسألة الكفر والإيمان، والشفاعة وغيرها، فمثلا عند تفسيره لقوله تعالى : ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُۥ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيُشْهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِى قَلْبِهِۦ وَهُوَ أَلَدُّ ٱلْخِصَامِ ﴾ [البقرة : 204] فيقول : وهو المنافق الذي يُقِرُّ بالإيمان ولا يعمل بالفرائض"، " ويشهد الله على ما في قلبه " أي : من ترك الوفاء بما أقر لله به، " وهو ألد الخصام " أي كذاب إذ لم يوف لله بما أقر به إذ لم يعمل بفرائضه [4]، في حين لو رجعنا إلى مختصر ابن زمنين نجده يقول :" ومن الناس من يعجبك قوله في الحياة الدنيا " وهو المنافق الذي يقر بالإيمان في

[1] هود بن محكم الهواري : تفسير كتاب الله العزيز ، ج 1، ص 24
[2] المصدر نفسه : ج 1 ، ص 25
[3] المصدر نفسه : ج 1 ، ص 34
[4] المصدر نفسه : ج 1 ، ص 195

العلانية، " ويشهد الله على ما في قلبه " من الكفر والجحود بما أقر به في العلانية، " وهو ألد الخصام " أي : كاذب في القول "[1].

وعند تفسيره لقوله تعالى : ﴿وَلَمَّا يَدْخُلِ ٱلْإِيمَـٰنُ فِى قُلُوبِكُمْ﴾ [الحجرات : 14] يقول : " أي : الإيمان بما أقررتم به من الأعمال التي لا يكون الإيمان إلّا بها، أي : إنّ الإيمان قول وعمل فلا يكونون مؤمنين حتّى يستكملوها "[2].

فهو يُقرِّر مُعتقد الإباضية في الايمان بأنّه قول وعمل، مع أنّه لم يرد لها ذكر في هذه المواضع من التفسير الأصل.

وعند تفسير قوله تعالى : ﴿ لَّا يَمْلِكُونَ ٱلشَّفَـٰعَةَ إِلَّا مَنِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَـٰنِ عَهْدًا ﴾ [مريم : 87] فسّر العهد بالعمل الصالح[3]، وهو نفس ما أورده ابن سلّام إلّا أنّه حذف الأحاديث الخمس التي ساقها ابن سلام في شفاعة النبي صلى الله عليه وسلم لأمّته[4]، وقد اعتذر له المحقّق بكونها لم تصحّ عنده، ولكن الظاهر أنّها لم تتّفق مع معتقده، فالشفاعة عند الإباضية ليست لأهل الكبائر، قال السالمي في مشارق الأنوار منكرا الشفاعة لأهل الكبائر: " إنّ الشفاعة إذا كانت لصاحب الكبيرة، فهذا يؤدّي إلى جواز التقرّب بها، حتى يكون صاحبها ويصبح مشفعا فيه، لمقام الشفاعة الذي يرفعه إلى أن يدافع عنه الرسول صلى الله عليه وسلم وسائر الشفعاء، وكذلك يصحّ قول الداعي : اللهم اجعلني من أهل الشفاعة، يعني الدعاء بالكون من الفاسقين وأتباعهم "[5].

---

[1] ابن أبي زمنين : أبو عبد الله محمد بن عبد الله ، تفسير الكتاب العزيز ، ت : حسين بن عكاشة و محمد بن مصطفى الكنز ، ط 1 (1423هـ . 2002م) الفاروق الحديثة ، مصر . القاهرة . ج 1 ، ص 213

[2] هود بن محكم الهواري : تفسير كتاب الله العزيز ، ج 4 ، ص 195

[3] المصدر نفسه : ج 3 ، ص 29

[4] ينظر : تفسير ابن سلام ، ج1 ، ص 245 . 246

[5] السالمي : أبو محمد عبد الله بن حميد – مشارق أنوار العقول – تعليق : الدكتور عبد الرحمن عميرة – بيروت – لبنان – دار الجيل – ط 1 (1409هـ - 1989م) ، ج2 ، ص 133

. اعتمد في تفسيره على المأثور ففسّر بالقرآن والسنّة وأقوال الصحابة والتابعين، ولم يقحم الرأي في التفسير فقد أورد في مقدمة تفسيره جملة من الأحاديث والآثار التي تنهى وتذمّ ذلك[1]، ولأنّ التفسير في عهده كان يقوم على الرواية.

فمن تفسير القرآن بالقرآن قوله في الآية :﴿ فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ ﴾ [البقرة : 37] ذكروا عن ابن عباس أنه قولهما :﴿ قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾ [الأعراف : 23] "[2].

ومن تفسيره القرآن بالسنّة : قوله عند تفسير قوله تعالى :﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ وُدًّا ﴾ [مريم : 96]، " يعني : في قلوب المؤمنين، ثمّ ساق جملة من الأحاديث منها : قوله صلى الله عليه وسلم :" إنّ الله إذا أحبَّ عبداً دعا جبريل فيقول : إني أحِبُّ فلانا فأحبَّه قال : فينادي جبريلُ في أهل السماء : إنّ الله يحبُّ فلانا فأحِبُّوه قال : ثمّ يُوضع له القَبول في الأرض "[3]، يقول : المودّة "[4].

لكنّه أحيانا يستبدل الحديث الوارد في الأصل بلفظ الصحاح من الكتب الستّة بحديث بلفظ مسند الربيع، ليتماشى مع مذهبه، فقد أورد يحيى بن سلام عند تفسير قوله تعالى : ﴿ أَطَّلَعَ ٱلْغَيْبَ أَمِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَٰنِ عَهْدًا ﴾ [مريم : 78] حديث عبادة بن الصامت قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " خمس صلوات كتبهنّ الله على عباده من جاء بهنّ تامّات فإنّ له عند الله عهدا أن يُدخله الجنّة ومن لم يأت بهنّ تامّات فليس له عند الله عهد إن شاء عذّبه وإن شاء غفر له[5] "[6]،

[1] هود بن محكم : تفسير كتاب الله العزيز ، ج1 ، ص 70
[2] المصدر نفسه : ج 1 ، ص 100
[3] صحيح مسلم : باب إذا أحب الله عبدا حببه لعباده ، رقم : 2637 ، ج 4 ، ص 2030
[4] ينظر : هود بن محكم ، تفسير كتاب الله العزيز ، ج 3 ، ص 30
[5] أبو داود : سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد الأزدي ، سنن أبي داود ، ت : محمد محيي الدين عبد الحميد ، دط ، دت ، المكتبة العصرية ، صيدا . بيروت . باب فيمن لم يوتر ، رقم : 1420 ، ج 2 ، ص 62
[6] يحيى بن سلام : تفسير ابن سلام ، ج 1 ، ص 242

فاستبدله بحديث مسند الربيع بلفظ :"...إن تاب غفر له وإن لم يتب عذبه "[1]، لأنّ لفظ الأصل يدلّ على أنّ العاصي ومرتكب الكبيرة (ترك الصلاة تهاونا) هو في المشيئة، وهو ما يتنافى مع قولهم بأنّه في النار إن لم يتب.

ومن تفسيره بأقوال الصحابة والتابعين مع تقوية واختيار لبعضها في بعض الأحيان، ما ذكره عند تفسير قوله تعالى : ﴿ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمْسِ إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيْلِ وَقُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ ﴾ [الإسراء : 78]، يقول : يعني غروبها أي : زوالها حين تغيب في قول ابن مسعود، وتفسير ابن عباس : زوالها وميلها يعني وقت صلاة الظهر... وقول ابن عباس أعجب إلينا وهو قول العامّة "[2].

. يتطرّق للقراءات ويُوجِّهُها لكنّه لا يعزوها لأصحابها مثل قوله عند تفسير قوله تعالى : ﴿إِلَّا مَنِ ٱغْتَرَفَ غَرْفَةَۢ بِيَدِهِۦ ﴾ [البقرة : 249] قال بعض المفسّرين وهي تقرأ على وجهين : بفتح الغين ورفعها : غَرفة وغُرفة، فمن قرأها غَرفة فهو يعني : الغرفة التي اغترف مرّة واحدة كما تقول : إلّا من فعل الفعلة، ومن قرأها غُرفة فهو يعني الغرفة بعينها ملء اليد، وبعضهم يقرؤها بمقرأ ثالث : إلّا من اغترف غرفة، يقول : إلا من فعل فعلة، اغترف اغترافا "[3].

ومنه قوله عند تفسير قوله تعالى :﴿ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْكَرِيمِ ﴾ [المؤمنون : 117] "... وبعضهم يقرؤها : الكريم بالرفع يقول : الله الكريم ربّ العرش "[4].

. يستعين باللّغة في التفسير فيورد عبارات : وهو معروف في اللّغة، وهو كلام من كلام العرب، وهذه كلمة عربية، وهذا جائز في كلام العرب، فعند تفسير قوله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسْتَحْىِۦٓ أَنْ

[1] الربيع بن حبيب الفراهيدي : الجامع الصحيح المسمى مسند الربيع ، ط1 (1424هـ 2003م) ، مكتبة مسقط ،مسقط . عمان . كتاب الصلاة رقم : 189

[2] هود بن محكم الهواري : تفسير كتاب الله العزيز ، ج 2 ، ص 436

[3] المصدر نفسه : ج 1 ، ص 236

[4] المصدر نفسه : ج 3 ، ص 154

يَّضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا ﴾ [البقرة : 26]، قال : " وما هاهنا كلمة عربية ليس لها معنى زيادة في الكلام، وهو في كلام العرب سواء : بعوضة فما فوقها وما بعوضة فما فوقها "[1].

وعند تفسير قوله تعالى : ﴿ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ﴾ [المائدة : 112] يقول : " قال الحسن : يقولون : هل ربّك فاعل ذلك ؟ وهو كلام من كلام العرب، ما أستطيع ذلك أي : ما أنا فاعل ذلك، وهو معروف في اللّغة "[2] .

[1] هود بن محكم الهواري : تفسير كتاب الله العزيز ، ج 1 ، ص 90

[2] المصدر نفسه : ج1 ، ص 510

رابعا : تفسير الباغاني ـ أحكام القرآن .

أ ـ ترجمته : هو أبو العبّاس أحمد بن علي بن أحمد بن محمّد بن عبد الله الربعي الباغاني[1]، محدّث، مفسّر، مقرئ، من فقهاء المالكية، ولد بمدينة باغاية بالجزائر سنة 345هـ، ودخل الأندلس سنة 376هـ، فأقرأ بالمسجد الجامع بقرطبة، توفي في ذي القعدة سنة إحدى وأربعمائة [2]، قال الداودي : "كان بحرا من بحور العلم لا نظير له في حفظ القرآن، قراءاته وإعرابه وأحكامه وناسخه ومنسوخه..." [3]، رحل إلى مصر وتتلمذ على أبي بكر الأدفوي النّحوي المفسّر المقرئ، وأبي الطيب ابن غلبون العالم بالقراءات [4]، أمّا تلامذته فمع أنّه تولى الإقراء في جامع قرطبة إلّا أن كتب التراجم لم تذكر إلّا أبا عبد الله بن عتّاب ذكره القاضي عياض وأبو الحسن علي بن محمد بن منظور القيسي ذكره الداودي [5].

ب ـ تفسيره : قال الداودي : "وله كتاب حسن في أحكام القرآن نحا فيه نحوا حسنا وهو على مذهب المالكية "[6].

وقال عياض : "وله تأليف في أحكام القرآن... وكان أبو عبد الله بن عتاب يستحسن تأليفه في الأحكام وقرأه عليه..."[7].

---

[1] الباغاني : بالنون هكذا أوردها القاضي عياض في ترتيب المدارك وابن فرحون في الديباج المذهب وذكرها الحموي في معجم البلدان بالياء : الباغايي نسبة لباغاية مكان مولده ووردت في كتابه : الباغائي وهي الأصح لورودها عنه في كتابه ولصحة النسبة بقلب الياء همزة . وباغاية مدينة قديمة من بلاد الزاب قريبا من جبل الأوراس ينظر : اليعقوبي :أبو يعقوب أحمد بن إسحاق ، البلدان ، ط 1 (1422هـ) ، دار الكتب العلمية ، بيروت ،ج 1 ص 190 . علي بن سليمان العبيد : تفاسير آيات الأحكام ومناهجها ، ط1 (1431هـ ـ 2010م) ، دار التدمرية ، الرياض ـ م.ع. السعودية ج 1 هامش ص 163

[2] ينظر : القاضي عياض ، ترتيب المدارك ، ج 7 ص 198 ـ عادل نويهض : معجم المفسرين ، ج 1 ، ص 49 ـ تاريخ الجزائر العام ج1 ، ص 360

[3] الداودي : طبقات المفسرين ، ج 1 ، ص 54

[4] ينظر : ابن بشكوال : أبو القاسم خلف بن عبد الملك ، الصلة في تاريخ أئمة الأندلس ، ت : عزت العطار الحسيني ، ط2 (1374هـ ـ 1955م) ، مكتبة الخانجي ، ج 1 ، ص 87

[5] القاضي عياض : ترتيب المدارك ، ج 7 ، ص 198 ـ الداودي : طبقات المفسرين ، ج 1 ، ص 429

[6] الداودي : طبقات المفسرين ، ج 1 ، ص 54

[7] القاضي عياض : ترتيب المدارك ، ج 7 ، ص 198

ويوجد على غلافه ما نصّه : "كتاب فيه أحكام القرآن اختصار أبي العباس أحمد بن علي المقرئ الباغائي رحمه الله تعالى " وذكر من اطّلع على النسخة المخطوطة بالمكتبة الأزهرية بالقاهرة برقم :360 رواق المغاربة بمجلد واحد وتبلغ 91 ورقة...، فقال : ويظهر لي أنّ بها سقطا في آخرها، يقول في مقّدمته :" بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين وصلواته على محمّد وآله وصحبه، قال أبو العباس أحمد بن علي بن أحمد المقري الباغائي رضي الله عنه : الحمد لله المتّحد بالتقديس، والمتعالي على عرشه بلا أنيس، الذي لا تلحظه العيون، ولا تدركه الظنون، ولا يعجل لعجلة العباد، ولا يفوته الحاضر ولا الباد، حمدا يزلف لديه، ويستدعي المزيد من نعمه، وصلى الله على خير خلقه، وأمينه على وحيه، صلاة تامّة زاكية، وعلى أهله الطيبين، وأصحابه المنتخبين، وأزواجه أمّهات المؤمنين "[1].

لكن مؤخرا طبع جزء من هذا الكتاب فيه تفسير سورتي الفاتحة والبقرة في المكتبة الجامعية الملك سعود بالرياض بالمملكة العربية السعودية حققه الدكتور سليمان عبد العزيز آل سليمان سنة 1429هـ لكن لم نستطع الحصول عليه، ثمّ صدر عن دار ابن حزم من تحقيق محمد شايب شريف ونسخه متوفرة، ومع ذلك سنحاول أوّلا تناول منهجه من خلال اللّوحات المخطوطة التي توفّرت لدينا والتي تشتمل على تفسير سورة الفاتحة (المرفق : 02).

ج . منهج الباغاني في تفسيره :

من خلال تصدير الناسخ للكتاب بقوله :" كتاب فيه أحكام القرآن اختصار أبي العباس أحمد بن علي المقرئ الباغائي رحمه الله تعالى " نُدرك أنّ الباغائي قصد بتأليفه بيان آيات الأحكام خُصوصا، فتناولها باختصار وفق مذهب مالك، دون خوض في المباحث اللّغوية وغيرها، فعند تفسير البسملة تطرّق مباشرة للمسألة المشهورة هل هي آية من القرآن فقال : بسم الله الرحمن الرحيم ليس من القرآن عند مالك رحمه الله إلّا في سورة النمل وحدها "، مشيرا إلى الخلاف في المسألة بقوله : قال بعضهم : إنّه من القرآن موردا الحجج التي تؤيّد مذهب مالك بأنّها ليست آية من القرآن، من هذه الحجج : حجة عقلية وهي قوله : لاختلاف الناس فيه، والقرآن لا يؤخذ باختلاف وإنّما يؤخذ باجتماع، وإنّما كُتبت في المصحف على مذهب من ذكرنا للفصل بين السور "، ثمّ ساق أربعة أحاديث : حديث عائشة وأنس

[1] علي بن سليمان العبيد : تفاسير آيات الأحكام ومناهجها ، ط 1 (1431هـ . 2010م) دار التدمرية ، م ع السعودية ، الرياض ، ج1 ، ص 167 . 168

رضي الله عنهما أنّ النبي صلى الله عليه وسلم كان يستفتح الصلاة بالحمد لله رب العالمين "[1]، وحديث أنس قال : " صلّيت خلف النبي صلى الله عليه وسلم وخلف أبي بكر وخلف عمر فكلُّهم كانوا لا يقرؤون بسم الله الرحمن الرحيم في الصلاة "[2]، وحديث أبيّ بن كعب قال : قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم : " لأعلمنّك سورة ما أنزل في التوراة ولا في الإنجيل ولا في الزبور مثلها، قال : فتحرّيت خروجه من المسجد، فلما خرج...، قال : الحمد لله رب العالمين، هي السبع المثاني والقرآن العظيم الذي أوتيته "[3]، وحديث أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: يقول الله عز وجل : قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين..."[4]، ثمّ قال : فهذا الله عزّ وجلّ عد الحمد سبع آيات ليس فيهنّ بسم الله الرحمن الرحيم، فلا يقرأ عند مالك رحمه الله بسم الله الرحمن الرحيم في الصلاة المكتوبة سرا ولا جهرا "[5].

ثمّ تطرّق مباشرة لمسألة فرضية الفاتحة على الفذّ والإمام فقال : " وقراءة أمّ القرآن فرض على الإمام وعلى المصلّي وحده، لأنّ النبي صلى الله عليه وسلم قال : " كلُّ صلاة لا يقرأ فيها بأمّ القرآن فهي خداج هي خداج غير تمام إلّا وراء الإمام " والخداج النقصان، يقال : خدج الرجل صلاته يخدجها خداجا : إذا نقصها... "[6].

ثمّ بيّن المواضع التي يقرأ فيها المأموم مُصدّرا بمذهب مالك، ذاكرا لآراء الأئمة فقال : " قال مالك رحمه الله : ويقرأ المأموم خلف الإمام فيما أسرّ ولا يقرأ خلفه فيما جهر، وقال الشافعي محمد بن إدريس : يقرأ خلفه فيما أسرّ وفيما جهر، وقال أبو حنيفة : لا يقرأ خلفه لا فيما أسرّ ولا فيما جهر "[7].

ثمّ تعرّض لمسائل فرعية في أحكام السهو وهي : سهو الإمام أو المصلّي الفذّ عن قراءة أمّ القرآن، والسهو عن السرّ والجهر، والكلام والنفخ في الصلاة سهوا، وقول : آمين، كلّ ذلك وفق مذهب مالك أيضا.

---

[1] صحيح مسلم : باب ما يجمع صفة الصلاة وما يفتتح به ، رقم : 240 ، ج 1 ، ص 357

[2] صحيح مسلم : باب حجة من قال لا يجهر بالبسملة ، رقم :52 ، ج 1 ، ص 299

[3] أخرجه البخاري عن أبي سعيد بن المعلى ، باب فضل فاتحة الكتاب ، رقم : 5006 ، ج 6 ، ص 187

[4] موطأ الإمام مالك : باب القراءة خلف الإمام فيما لا يجهر فيه ، رقم : 39 ، ج 1 ، ص 84

[5] اللوحة المخطوطة رقم 01 (المرفق 02)

[6] اللوحة المخطوطة رقم 02 (المرفق 02)

[7] اللوحة المخطوطة رقم : 02 (المرفق 02)

فهذه النماذج وإن كانت قليلة إلّا أنها تبيّن المنهج العام لهذا التفسير، فهو يقتصر على مذهب مالك في أحكامه، مشيرا إلى الخلاف بلفظ عام، لا يعيّن المخالف في الغالب، ثمّ يجتهد في سوق الحجج لمذهب إمامه.

وعلى منوال سورة الفاتحة سار في سائر كتابه، فمثلا عند قوله تعالى : ﴿ لَّا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴾ [البقرة : 233] قال : " اللغو عند مالك رحمه الله : أن تحلف على الرجل تراه مقبلا أنه فلان ثمّ يتبيّن "[1].

وعند قوله تعالى : ﴿حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَىٰ وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ﴾ [البقرة : 236] قال : " الصلاة الوسطى عند مالك رحمه الله : صلاة الصبح، وعند الشافعي : صلاة العصر، وقال بعضهم : هي صلاة الظهر "[2].

ومثله عند قوله تعالى : ﴿وَلْيَكْتُب بَّيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ﴾ [البقرة : 276] قال: " قال مالك رحمه الله : " لا يجوز أن يكون الذي يكتب بين المسلمين ديونهم، ووثائقهم، ومبيعاتهم، وأشربتهم، إلّا رجلا عدلا مأمونا وهو معنى الآية "[3].

وأحيانا يذكر سبب نزول الآية لتوضيح المعنى، فعند قوله تعالى : ﴿ نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ ﴾[البقرة : 223] قال : " معنى هذه الآية : أنّ اليهود ـ عليهم لعنة الله ـ قالت : من أتى امرأته في فرجها من خلفها خرج ولده أحول فأنزل الله عز وجل :﴿ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ ﴾ أي : من حيث شئتم "[4].

---

[1] الباغاني : أبو العباس أحمد بن علي بن أحمد ، أحكام القرآن ، ت : محمد شايب شريف ، ط 1 (2019م) دار ابن حزم ، بيروت ، لبنان ، ص 87

[2] المصدر نفسه : ص 88

[3] المصدر نفسه : ص 105

[4] المصدر نفسه : ص 87

وربما أفاض في ذكر بعض الفروع الفقهية كما عند قوله تعالى : ﴿ وَ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ اِ۬لْمَحِيضِۖ قُلْ هُوَ أَذيٗ فَاعْتَزِلُواْ اُ۬لنِّسَآءَ فِے اِ۬لْمَحِيضِۖ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّيٰ يَطْهُرْنَۖ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَاتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اُ۬للَّهُۖ ﴾ [البقرة : 222] قال : " بيّن رسول الله صلى الله عليه وسلّم وهو المبيّن عن الله أنّ المراد بالاعتزال هاهنا ترك المجامعة في موضع يجمع، لا أنّها تعتزل فلا يكون معها في بيت، ولا تطبخ ولا تعجن كما تفعل نساء اليهود عليهم لعنة الله ، وإذا حاضت المرأة لم يجامعها زوجها في فرجها ولا في شيء من أسفلها حتّى ينقطع عنها الدّم وتغتسل بالماء، ولا يقربها إذا انقطع الدّم عنها حتى تغتسل، وله أن ينام معها في لحاف واحد مباشرا لها كما كان النبي صلّى الله عليه وسلم يفعل، وله أن يجامعها في أعلاها من سرّتها إلى فوق إن شاء، وإذا كانت المرأة حائضا لم تصلّ، ولم تصم في شهر رمضان، فإذا انقطع الدّم عنها قضت الصّوم، ولم تقض الصلاة، وإذا حاضت في وقت صلاة أو لم يبق من وقت الصلاة إلّا مقدار ركعة، سقطت تلك الصلاة عنها، ولم يكن عليها قضاؤها إذا طهُرت، وإذا طهُرت في وقت صلاة أو لم تدرك من وقت تلك الصلاة إلّا ركعة صلّتها..."[1].

فهذه جملة من الفروع الفقهية منها ما له تعلّق مباشر بالآية وبتفسيرها، ويدخل في تفسير معنى اعتزال الحائض، ومنها ما لا تعلّق له بالآية، كحال الحائض مع الصوم والصلاة، ومع ذلك أفاض المفسّر في سردها لغلبة التخصص الفقهي للمفسّر، وهو صنيع أصحاب مؤلفات أحكام القرآن.

[1] الباغاني : أحكام القرآن ، ص 86. 87

خامسا: تفسير الداودي :

أ . ترجمته : هو أبو جعفر أحمد بن نصر الداودي الأسدي، من أئمة المالكية بالمغرب، والمتّسعين في العلم المجيدين للتأليف، أصله من المسيلة وقيل من بسكرة، لم يتتلمذ على إمام مشهور وإنّما وصل إلى ما وصل بإدراكه، وتتلمذ عليه الكثير منهم : أبو بكر بن محمد بن أبي زيد وعبد الملك البوني وغيرهما، من مؤلفاته النامي في شرح الموطأ، والواعي في الفقه، والنصيحة في شرح البخاري، والإيضاح في الرد على القدرية و، كتاب الأصول، وكتاب البيان، وكتاب الأموال، انتقل إلى تلمسان واستقر بها إلى أن توفي سنة 402هـ وقبره عند باب العقبة [1].

ب . تفسيره : لم تذكر كتب الطبقات و التراجم كترتيب المدارك للقاضي عياض والديباج لابن فرحون تفسيرا للداودي رغم ذكر مؤلفاته، إلّا أن عبد الرحمن الجيلالي في تاريخ الجزائر العام، قد جزم بوجود هذا التفسير بل وسمّاه تفسير القرآن المجيد[2]، مُستندا على ما وجد في تفسير الثعالبي من نقول وردت بعبارة : " ومهما ذكرت الداودي في هذا المختصر فإنّما أُريد أحمد بن نصر الفقيه المالكي ومن تفسيره أنا أنقل "[3]، فكثيرا ما يقول : قال الداودي في تفسيره، وفي تفسير أحمد بن نصر الداودي، وكذا فسّر الداودي، وعبارة الداودي...، وسار على هذا الرأي محمد المختار اسكندر في كتابه المفسرون الجزائريون عبر القرون فقال : " وله تفسير القرآن الكريم جمع فيه ما بين الرواية والدراية، ولعلّه من أنفس التفاسير القديمة، وبقي مُتداولا بين الناس حتى القرن التاسع، وأخذ منه العلماء ونقلوا عنه، وناهيك من أخذ عنه فخر الجزائر العالم العلامة الولي الصالح الشيخ عبد الرحمن الثعالبي في تفسيره الجليل الجواهر الحسان "[4]، إلّا أنّ هذه النصوص لا تُؤكِّد وجود هذا التفسير، خاصّة مع ورود احتمال أن يكون المقصود بتفسير الداودي شرح الموطأ، فابن خير الإشبيلي في فهرسته سمَّى هذا الكتاب بتفسير الموطّأ

[1] ينظر : القاضي عياض : ترتيب المدارك : ج 7 ص 102. ابن فرحون : إبراهيم بن علي بن محمد ، الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب ، ت : محمد الأحمدي ، دط ، دت ، دار التراث للطبع والنشر . القاهرة . ج 1 ، ص 166 ، تاريخ الجزائر العام ج 1 ، ص 361

[2] عبد الرحمن الجيلالي : تاريخ الجزائر العام ، ج 1 ، ص 173

[3] الثعالبي : الجواهر الحسان ، ج 1 ، ص 430

[4] محمد المختار اسكندر : المفسرون الجزائريون عبر القرون ، دط ، دت ، ص 62

فقال : " كتاب تفسير الموطأ لأبي جعفر أحمد بن نصر الداودي الفقيه المالكي من أهل المسيلة وسمّاه الكتاب النامي "[1].

لكن بعد الاطلاع على ما ورد في تفسير الثعالبي من نصوص للداودي وجدت نصّا يمكن في نظري أن يرجّح احتمال وجود تفسير للقرآن للإمام الداودي وهو قول الثعالبي عند تفسير قوله تعالى : ﴿وَنَـٰدَيْنَـٰهُ أَنْ يَـٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴿١٠٤﴾ قَدْ صَدَّقْتَ ٱلرُّءْيَآ ﴾ [الصافات : 105] : " قال أحمد بن نصر الداودي : " وإن نسخ الله آية قبل العمل بها، فإنّما ينسخها بعد اعتقاد قبولها وهو عمل، انتهى من تفسيره عند قوله تعالى : ﴿ مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ ﴾ [البقرة : 106] "[2]، فهذه العبارة الأخيرة تدُلّ على أنّ للداودي تفسيرا للقرآن.

ومثلها قوله عند تفسير قوله تعالى :﴿ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ ﴾ [النساء : 79] قال : " قال أبو جعفر أحمد بن نصر الداودي : قوله تعالى :" وما أصابك من سيئة فمن نفسك " : خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد غيره "[3].

فهذه الآيات ليس لها ورود في الموطّأ ومع ذلك يبقى هذا التفسير في حكم المفقود، وفي كلّ الأحوال هي أقوال في التفسير للداودي.

ج . منهجه : من خلال النصوص التي أورها الثعالبي في تفسيره الجواهر الحسان، يُضاف إليها ما ورد من نصوص تفسيرية للداودي في كتابه : " الأموال "، يمكن أن تتكوّن لدينا صورة عامة عن منهج الداودي في تفسيره نلخّصها في النقاط التالية :

. يفسّر الآيات بما بيّنه القرآن وبما ورد في السنّة عن النبي صلى الله عليه وسلم وأقوال الصحابة والتابعين :

---

[1] ابن خير الإشبيلي : أبو بكر محمد بن خير بن عمر بن خليفة اللمتوني ، فهرسة ابن خير الإشبيلي ، ت : محمد فؤاد منصور ، ط 1 (1419هـ . 1998م) ، دار الكتب العلمية ، بيروت . لبنان . ج 1 ، ص 76

[2] الثعالبي : الجواهر الحسان ، ج 5 ، ص 45

[3] المصدر نفسه : ج 2 ، ص 267

. تفسير القرآن بالقرآن : نجد في تفسير قوله تعالى :﴿ وَكَانُواْ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ﴾ [البقرة : 89]، قال أحمد بن نصر الداودي : ومنه : ﴿فَعَسَى ٱللَّهُ أَنْ يَّاتِيَ بِالْفَتْحِ ﴾ [المائدة : 54] أي : بالنصر[1]، ففسَّر الاستفتاح في آية البقرة بالفتح الوارد بمعنى النصر في آية المائدة.

وفي كتاب الأموال ذكر قوله تعالى : ﴿ مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنَ اَهْلِ اِ۬لْقُرِىٰ فَلِلهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِے اِ۬لْقُرْبِىٰ وَالْيَتَٰمِىٰ وَالْمَسَٰكِينِ وَابْنِ اِ۬لسَّبِيلِ ﴾ [الحشر : 07] فقال : " فالذي أفاء الله على رسوله ممّا ذكره في هذه الآية هو المذكور في سورة الأنفال وهو الخُمُس "[2].

. تفسير القرآن بالسنّة : نجد في تفسير قوله تعالى : ﴿ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ ﴾ [الحجر : 47] يقول الثعالبي : الغلُّ : الحقد، قال الداودي عن النّبي صلى الله عليه وسلم قال : " إذا خَلُص المؤمنون من الصراط حُبسوا على صراط بين الجنّة والنار فيُقتصّ لبعضهم من بعض بمظالم كانت بينهم في الدنيا، حتّى إذا هُذِّبوا ونُقّوا أُذِن لهم في دخول الجنّة، والله لأحدهم أهدى بمنزله في الجنّة من منزله في الدنيا "[3] "[4].

وأحيانا يُعقِّب على الحديث ويبيِّن صحّته وثبوته من عدمهما، فقد قال عن حديث :" إنّما نسمة المؤمن طائرٌ يعلَّق في شجر الجنّة " [5]، قال الداودي : "وحديث مالك هذا أصحُّ ما جاء في الأرواح، والذي رُوِي أنّها تُجعل في حواصل طيرٍ لا يصحُّ في النقل "[6].

---

[1] الثعالبي : الجواهر الحسان ، ج 1 ، ص 278

[2] الداودي : أبو جعفر أحمد بن نصر ، الأموال ، ت : رضا محمد سالم شحادة ، ط 1(1429هـ. 2008م) دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان ، ص 10

[3] أخرجه الطبري في تفسيره عن أبي سعيد الخدري عند تفسير قوله تعالى :" ونزعنا ما في صدورهم من غلٍّ إخوانا على سرر متقابلين " ج 17 ، ص 109

[4] الثعالبي : الجواهر الحسان ، ج 3 ، ص 401

[5] الموطأ : باب جامع الجنائز رقم : 49 ، ج 1 ، ص 243

[6] المصدر السابق : ج 1 ، ص 339

. تفسير القرآن بأقوال الصحابة والتابعين : نجد عند تفسير قوله تعالى :﴿ وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ﴾ [المائدة : 02]، قال الثعالبي : " قال أحمد بن نصر الداودي : قال ابن عباس : البرُّ ما أُمرت به والتقوى ما نُهِيت عنه "[1].

وعند تفسير قوله تعالى : ﴿ الٓر كِتَٰبٌ أُحْكِمَتْ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ﴾ [هود : 01] ، قال الداودي : " وعن الحسن : أُحكمت آياته : قال : أحكمت بالأمر والنهي، ثمّ فُصِّلت بالوعد والوعيد، وعنه : فصِّلت بالثواب والعقاب "[2].

ثمّ لا يكتفي بالنّقل بل يُناقش الأقوال، ويبيِّن ما يراه صحيحا وصوابا، ويُدلِّل على ذلك، فعند تفسير قوله تعالى : ﴿ وَلَئِن شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِالَّذِيٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ ﴾ [الإسراء : 86]، ساق الأثر المروي عن ابن مسعود : "سيُنزع القرآن من الصدور وتُرفع المصاحف "، ثمّ تعقَّبه بقوله : لا يصحّ وإنّما قال سبحانه : ولئن شئنا فلم يشأ سبحانه، وفي الحديث عنه صلى الله عليه وسلم :" لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحقّ حتّى يأتي أمر الله وهم ظاهرون "[3]، قال البخاري : هم أهل العلم، ولا يكون العلم مع فقد القرآن "[4].

. الاستعانة بأسباب النزول في بيان معاني الآيات : فعند تفسير قوله تعالى : ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُۥ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ﴾ [البقرة : 202]، قال الثعالبي : " وقد ذكر أحمد بن نصر الداودي في تفسيره أنّ هذه الآية نزلت في الأخنس بن شريق "[5].

[1] الثعالبي : الجواهر الحسان ، ج 2 ، ص 339

[2] المصدر نفسه : ج 3 ، ص 272

[3] صحيح البخاري :باب قول النبي صلى الله عليه وسلم : لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق يقاتلون وهم أهل العلم ، رقم : 7311 ، ج 9 ، ص 101

[4] الثعالبي : الجواهر الحسان ، ج 3 ، ص 496

[5] المصدر نفسه : ج 1 ، ص 426

وفي كتاب الأموال نجد هذا الإلمام بأسباب ومناسبات النزول في حديثه عن غزوات النبي صلى الله عليه وسم بقوله : " وكلُّ هذه قد ذكرها الله في القرآن قال الله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ ﴾ [آل عمران : 123] وقال : ﴿ وَإِذْ غَدَوْتَ مِنَ اَهْلِكَ تُبَوِّئُ ٱلْمُومِنِينَ مَقَٰعِدَ لِلْقِتَالِ ﴾ [آل عمران : 121]، وهذا يوم أحد، وقال : ﴿ اِذْ جَآءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنَ اَسْفَلَ مِنكُمْ ﴾ [الأحزاب : 10]، وهذا يوم الأحزاب، وقال : ﴿ وَأَنزَلَ ٱلذِينَ ظَٰهَرُوهُم مِّنَ اَهْلِ اِلْكِتَٰبِ مِن صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِے قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ فَرِيقاً تَقْتُلُونَ وَتَاسِرُونَ فَرِيقاً ﴾ [الأحزاب : 26] فهذه بنو قريظة وبنو المصطلق وأهل خيبر..."[1]

وفي كتاب الأموال نجد كذلك قوله : " كان المسلمون يوم بدر قد افترقوا ثلاث فرق، فرقةٌ أحدقت برسول الله صلى الله عليه وسلم لئلا يُنال منه غِرّة، وفرقةٌ تقاتل العدوّ، وفرقةٌ أخذت في جمع الغنائم، فلمّا برَد القتال قالت كلُّ فرقة منهم نحن أحقُّ بالغنائم... فأنزل الله تعالى : ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ اِلَانفَالِ قُلِ اِلَانفَالُ لِلهِ وَالرَّسُولِ فَاتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَصْلِحُواْ ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ إِن كُنتُم مُّومِنِينَ ﴾ [الأنفال : 01] يعني : أنّ الحكم فيها إلى الله وإلى رسوله، وكان ذلك اختبارا لطاعتهم، فرضوا وسلّموا، فأنزل الله سبحانه : ﴿ وَاعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَےْءٍ فَأَنَّ لِلهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِے اِلْقُرْبِىٰ وَالْيَتَٰمِىٰ وَالْمَسَٰكِينِ وَابْنِ اِلسَّبِيلِ ﴾ [الأنفال : 41]، فجعل أربعة أخماس الغنيمة من الغنيمة بعد الأسلاب لأهل الجيش..."[2]

فقد وظّف سبب النّزول لتوضيح معاني الآيات، ودفع التعارض المتوهَّم بين الآيتين بذلك، وهذه هي مهمّة المفسّر الذي يمتلك أدوات التفسير.

. التطرّق إلى الأحكام الفقهية التي تحملها الآيات مُوردا قول مالك فيها : فعند تفسير قوله تعالى : ﴿ فَإِن جَآءُوكَ فَاحْكُم بَيْنَهُمُۥٓ أَوَ اَعْرِضْ عَنْهُمْ ﴾ [المائدة : 44]، قال الثعالبي : " وعبارة

[1] الداودي : كتاب الأموال ، ص 146

[2] المصدر نفسه : ص 30. 31

الداودي : قال مالك : ولا يحكم بينهم إذا اختار الحكم إلّا في المظالم فيحكم بينهم بما أنزل الله، ولا يحكم فيهم في الزنا إلّا أن يعلنوه فيعاقبون بسبب إعلانه، ثمّ يُردُّون إلى أساقفتهم، قال مالك : وإنّما رجم النبي صلى الله عليه وسلم اليهوديين قبل أن تكون لهم ذمّة "[1].

وكذا عند قوله تعالى :﴿ وَفِي ٱلرِّقَابِ ﴾ [التوبة : 60] قال :" قيل : يُعطى منها المكاتبون ما يعتقون به... وقيل : بل تشترى منه رقاب فتُعتق ولا يُعطى منها المكاتبون، لأنّ الولاء قد انعقد لمن كاتبهم، وقيل : يجعل من هؤلاء وهؤلاء، وقد رُويت هذه الأقوال كلُّها عن مالك "[2].

. أمّا اللّغة : فإنّ الداودي اهتم بشرح الألفاظ وضبط المفردات وردٍّ بعض المعاني التي لا تتّفق مع ظاهر الكلام، فعند تفسير قوله تعالى : ﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ أَلاَّ تُقْسِطُواْ فِي ٱلْيَتَامَىٰ ﴾[النساء : 03]، ذكر بأنّ أبا عبيدة قال : خفتم هاهنا مجاز بمعنى : أيقنتم، ثمّ ردّ عليه بقوله : بل هو على ظاهر الكلمة "[3].

وعند قوله تعالى : ﴿ وَٱلْعَادِيَاتِ ضَبْحاً ﴾ [العاديات : 01] " قال الداودي : وهو الصوت الذي يسمع من أجوافها وقت الركض "[4].

. الاهتمام بالإعراب : فمثلا عند قوله تعالى : ﴿ مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰ ﴾ [الحشر : 07] قال : " وهذا الكلام غير معطوف على الأول، والذي أفاءه الله على رسوله فلله ولرسوله ممّا لم يوجف عليه، قال إسماعيل : إنّ ما بعد هذه الآية معطوف عليها وليس كما قال، لأنه أتى فيه بابتداء الكلام وبخبره فصارت كلّ آية على حيالها غير معطوفة على ما قبلها "[5] ، فقد أبان اختلاف معاني الآيات باختلاف وجوه إعرابها.

---

[1] الثعالبي : الجواهر الحسان ، ج 2 ، ص 342

[2] الداودي : كتاب الأموال ، ص 153

[3] المصدر السابق : ج 2 ، ص 162

[4] الثعالبي : الجواهر الحسان ، ج 5 ، ص 618

[5] الداودي : كتاب الأموال ، ص 28

ـ مصادره : أمّا المصادر التي اعتمد عليها والتي ذكرت في نصوص الثعالبي، فهي كتب اللّغة والحديث والتفسير والفقه : فاللّغة يعتمد على مجاز القرآن لأبي عبيدة " قال الداودي عن أبي عبيدة "، ومعاني القرآن للفراء " وهذا القول نقله الداودي عن الفراء "، والحديث على موطأ الإمام مالك، وصحيح البخاري، وهو الشارح لهما، وسنن الترمذي، أمّا التفسير فينقل عن ابن جرير الطبري، فقد ورد ضمن أقواله جملة من الأحاديث معظمها أخرجها الطبري في تفسيره منها : حديث " إذا خلص المؤمنون من الصراط "[1]، وحديث " وذكرهم بأيام الله قال : بنعم الله "[2]، إضافة إلى أمّهات فقه مالك، وهو الفقيه المالكي كما نعته الثعالبي وكلٌّ من ترجم له.

فوجود هذا الكمّ الهائل من التفاسير في القرون الأولى التي تلت الفتح الإسلامي يُنبئ عن العناية الفائقة التي أولاها أهل المغرب الأوسط للقرآن الكريم وتفسيره وبيانه، كما يؤكّد سبقهم العلمي إلى تفسير كتاب الله، عكس ما يروّج من أنّهم لا يهتمّون بالتفسير ولم يعرفوه.

---

[1] أخرجه الطبري في تفسيره عن أبي سعيد الخدري عند تفسير قوله تعالى :" ونزعنا ما في صدورهم من غلٍّ إخوانا على سرر متقابلين " ج 17 ، ص 109

[2] أخرجه الطبري في تفسيره عن أبي بن كعب عند تفسير قوله تعالى :" وذكرهم بأيام الله " ، رقم : 20579 ج 16 ، ص 522

الفصل الثاني

ضعف حركة التفسير وقلة الاعتناء به

(من بداية القرن الخامس إلى منتصف السابع)

المبحث الأول : أسباب ركود حركة التفسير : تأليفا وتدريسا

المبحث الثاني : الإنتاج التفسيري لمرحلة الركود أعلامه ومناهجه

الفصل الثاني : ضعف حركة التفسير وقلة الاعتناء به (من بداية ق 5 إلى منتصف ق 7)

رغم التطوّر الذي شهدته الحركة العلمية في الجزائر الحمّادية والموحّدية، إلّا أنّ حظّ علم التفسير منها لم يكن كحظّ غيره من العلوم، بل تراجع الاعتناء بالتفسير في مجال التدريس، وقلّ التأليف بعدما كان قد برع فيه أعلام حازوا فيه البراعة والسبق كأحمد الباغاني وهود بن محكّم الهواري والداودي .

المبحث الأول : ركود حركة التفسير في الجزائر بداية من القرن الخامس

عرفت حركة التفسير في المغرب الأوسط مع بداية القرن الخامس ركودا وجمودا، حيث قلّت التصانيف، والتفت كثير من العلماء إلى فنون أخرى ظهرت على الساحة العلمية، على رأسها علم الفقه الذي كانت المناصب والوظائف تُناط بأهله في عهد الدول التي سادت في هذه الفترة، وكذا علم الكلام والملل والنحل للردّ على العبيديين وشُبُهاتهم والسّعي لمنعهم من فرض مذهبهم الإسماعيلي، واعتبر الموحّدون من لم يعرف العقائد على سبيل التفصيل، وعلى طريقة الأشعري بالأخصّ كافرا ليس معه من الإسلام إلّا الاسم، ومن ثمّ سمُّوا أنفسهم بالموحّدين، ونبزوا المرابطين خصُومهم بالمجسِّمين [1]، كما توجّه عدد كبير من العلماء إلى التصوّف وانقطعوا في الخلوات، تأثرا بفكر أبي حامد الغزالي (ت 505هـ) وكتابه إحياء علوم الدين، وغلب على التفسير الطابع الشفوي الوعظي في الدروس العامّة التي تُلقى في المساجد والرباطات، واكتفى بعض العلماء بتفاسير لقيت قبولا ورواجا كتفسير المحرّر الوجيز لابن عطية فجعلوها كالمقرّرات على طلبة العلم عندهم.

وسنحاول أن نبحث عن كيفية تأثير هذه الأسباب في ضعف حركة التفسير، وعدم التأليف فيه من خلال النقاط التالية :

أ . **عدم الإهتمام بالتأليف والاقتصار على الدرس الشفوي** : اشتغل كثير من العلماء قديما وحديثا بتفسير كتاب الله مشافهة على مسامع المتلقّين، من أجل تصحيح العقيدة وإصلاح النفوس وتهذيب الأخلاق، لأنّ تفسير كتاب الله أوّل ما ظهر مشافهة لا كتابة وتدوينا، على يد رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكان يتُلقّى سماعا ورواية، ومن ثمّ رأى كثير من العلماء والمصلحين في تفسير كتاب الله أحسن وسيلة وأنجح آلية لتحقيق الإصلاح، والعودة بالمسلمين إلى النّبع الصافي، بسبب ما ساد

[1] عبد الله كنون : النبوغ المغربي في الأدب العربي ، ط2 ، د. ت ، ج 1، ص 123

المجتمعات الإسلامية من جهل بتعاليم الدّين الحنيف، وبُعدهم عن كتاب الله، وذلك أنّ التفسير الشفاهي يكون فيه المفسِّر والمتلقِّي على اتّصال مباشر وواقعي بالنص القرآني، مما يُكسب هذا النّص قوّة التأثير في النفوس، بسبب حُسن توظيف المفسِّر للنّص المناسب للظرف المناسب"[1].

وقد أطلعتنا كتب التراجم والسير، وكتب التاريخ والرحلات، على جمع من العلماء اشتغلوا بالتفسير تدريسا، وقد كانت هذه الدروس على نوعين : نوع عامّ يحضره عموم الناس ونوع خاصّ يحضره الطلبة النبهاء :

فمن الأول : دروس أبي زكرياء الزواوي[2] : فقد كان لأبي زكرياء يحي الزواوي ميعادا في بجاية في جامعها الأعظم، يفسّر فيه القرآن، وهو كما يذكر الغبريني قد أخذ " إعجاز القرآن " للخطابي عن أبي طاهر السّلفي في المشرق [3]، وجاء في الرحلة الوارثلانية أنّه كان لأبي زكرياء مجلسان في العلم، مجلس في الحديث ومجلس في التفسير، إلّا أنّ التفسير كان يُقرئه بعد صلاة الجمعة على المنبر لكثرة الناس وازدحامهم عليه، إلى يوم موته فكان يكرّر قوله تعالى : ﴿ عَفَا ٱللَّهُ عَمَّا سَلَفَ وَمَنْ عَادَ فَيَنتَقِمُ ٱللَّهُ مِنْهُ ﴾ [المائدة : 97]، ففهم أكثر الحاضرين أنّ الشيخ يموت [4].

---

[1] نادية وزناجي : التفسير الشفاهي وأثره في الإصلاح الحديث ، أطروحة دكتوراه ، جامعة الحاج لخضر باتنة ، السنة الدراسية (2007 . 2008) ، ص 50

[2] أبو زكرياء يحي الزواوي : من العلماء الصلحاء والعباد من قبائل زواوة ، رحل إلى المشرق ثم رجع واستقرّ ببجاية ينشر العلم ويتعبّد إلى أن توفي سنة 611هـ . ينظر: الغبريني : عنوان الدراية ص 127 . ابن مخلوف : شجرة النور الزكية ص 184 . نويهض : معجم أعلام الجزائر ص 168

[3] ينظر : الغبريني ، عنوان الدراية ص 129 وما بعدها

[4] الورثيلاني : سيدي الحسين بن محمد ، نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار المشهورة بالرحلة الوارثلانية ، دط (1326هـ . 1908م) ، مطبعة بيير فونتانا الشرفية ، الجزائر ص 24

وكان لأبي مدين شعيب بمسجد أبي زكرياء بحومة اللؤلؤة، درس في التفسير على طريقة القوم من الغوص في معاني إشارية تخالف الظاهر، ودروس أبي اسحاق ابراهيم التنسي[1]، فقد أورد الطاهر بونابي في كتابه التصوّف في الجزائر نقلا عن المجموع لابن مرزوق (مخطوط) : " وكان في تلمسان أبو اسحاق إبراهيم التنسي يجلس لتدريس التفسير والحديث بمسجد القيسارية، فكان الناس يتهافتون لسماع دروسه، فيمتلئ المسجد وتكتظّ الشوارع المتّصلة به بالسامعين"[2].

ومن الثاني : دروس أبي عبد الله محمد بن الحسن بن ميمون التميمي القلعي[3]، فعندما ترجم له الغبريني قال : "... وكان له درس يحضره من الطلبة فضلاؤهم ونبهاؤهم، وتجري فيه المذاكرات المختلفة في التفسير والحديث "[4] وقال أيضا : " وكان أبو عبد الله محمّد بن الحسن القلعي يُدرِّس علم العربية... والتفسير والحديث والشعر وعلم التصريف "[5].

وعند ترجمة أبي الحسن الحرّالي[6] قال: " تعلّمنا عليه الفاتحة في نحو من ستة أشهر، وكان يُلقي في التفسير قوانين تتنزّل في علم التفسير منزلة أصول الفقه من الأحكام...، وأمّا علم التفسير فكان يُورد

---

[1] أبو اسحاق ابراهيم بن يخلف بن عبد السلام التنسي المطماطي عالم مالكي شرح التلقين ، ارتحل إلى المشرق وسمع من علمائه كالقرافي ، استقر بتلمسان واستوطنها ودرس بها إلى أن توفي سنة 670 ينظر : ابن مريم : أبو عبد الله محمد بن محمد بن أحمد الشريف المليتي المديوني ، البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان ، ت : محمد بن أبي شنب ، دط (1326هـ . 1908م) المطبعة الثعالبية ، الجزائر ، ص 66 . التنبكتي : أبو العباس أحمد بابا بن أحمد ، نيل الابتهاج بتطريز الديباج ، تقديم : عبد الحميد الهرامة ، ط 2 (2000م) دار الكتاب ، طرابلس ، ليبيا ، ص 38 .

[2] الطاهر بونابي : التصوف في الجزائر خلال القرنين 6 و7 الهجريين ، دط سنة 2004م ، دار الهدى ، عين مليلة ص 235

[3] القلعي نسبته إلى قلعة بني حماد وهو العالم الأديب النحوي نشأ بمدينة الجزائر استوطن بجاية ودرس واشتهر إلى أن توفي سنة 673هـ ينظر : الحفناوي : تعريف الخلف برجال السلف ، دط (1334هـ . 1906م) ، مطبعة بيير فونتانا الشرقية ، الجزائر ،ج 2 ، ص 56 . نويهض : معجم أعلام الجزائر ص 267 . عبد الرحمن الجيلالي : تاريخ الجزائر العام ، ج 2 ، ص 64

[4] الغبريني : عنوان الدراية ص 94

[5] المصدر نفسه : ص 95

[6] أبو الحسن الحرالي التجيبي المراكشي الإمام المفسر الصالح الزاهد ، ولد ونشأ في مراكش ثم رحل إلى المشرق وأخذ عن أعلام عصره ، أفتى العز بن عبد السلام بطرده من مصر بسبب تفسيره توفي بحماة سنة 637هـ ينظر : الزركلي : الأعلام ، ج 4 ، ص 256 . المقري : شهاب الدين أحمد بن محمد ، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب ، ت : إحسان عباس ، ط 1 (1997م) دار صادر بيروت ، لبنان ، ج 2 ، ص 187

الآي وينسقها نسقا بديعا ويتكلّم فيها بما لم يسبق إليه، وله تفسيرٌ على كتاب الله تعالى سلك فيه سبيل التحرير، وتكلّم عليه لفظة لفظة وحرفا حرفا "[1].

وذكر الذهبي تفسيره و ما حمله من معاني إشارية فقال : "... وعمل تفسيرا عجيبا ملأه باحتمالات لا يحتملها الخطاب العربي أصلا، وتكلّم في علم الحروف والأعداد، وزعم أنّه استخرج منه وقت خروج الدجّال ووقت طلوع الشمس من مغربها ويأجوج ومأجوج "[2]، وذكر التنبكتي أنّ الموجود منه من أوّله إلى قوله تعالى : في آل عمران : ﴿كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّآءُ ٱلْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقاً﴾ [آل عمران : 37] وهو تفسير حسن وعليه نسج البقاعي مناسباته"[3]، وقد جُمع هذا التفسير المستخرج من مناسبات البقاعي مع مؤلّفات أخرى في كتاب مطبوع يحمل عنوان : تراث أبي الحسن الحرّالي المراكشي.

ومنهم أبو علي المشذالي (ت 631هـ)[4] : قال الغبريني : "... ويتكلّم على تفسير كتاب الله تعالى وحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم فيُجيد "[5].

وأبو عبد الله ابن عبد الحق التلمساني (ت 625هـ) : ذكره الغبريني في سلسة سنده سماع أحكام القرآن للكيا الهراسي [6]، وهو ضمن كتب التفسير.

---

[1] الغبريني : عنوان الدراية ص 144. 145

[2] الذهبي : سير أعلام النبلاء ، ج 23 ، ص 47

[3] التنبكتي : نيل الابتهاج ، ص 320

[4] أبو علي منصور بن أحمد بن عبد الحق المشذالي : فقيه مالكي نشأ في بجاية ثم رحل إلى المشرق وأخذ عن العز بن عبد السلام وابن السبكي وغيرهما ، ثم رجع إلى بجاية وأقبل على العبادة والإقراء والتأليف توفي سنة 631هـ . ينظر : التنبكتي : نيل الابتهاج ، ص 344. الحفناوي : تعريف الخلف ، ج2 ، ص 57

[5] الغبريني : عنوان الدراية ص 230

[6] المصدر نفسه : ص 361

أمّا الحواضر الجنوبية عموما والإباضية خصوصا فقد كان الدّرس التفسيري فيها قليلا، بل كان الاهتمام موجّها إلى الفقه وعلم الكلام، وربما كان هذا الصدود عن التفسير والتهيّب منه دافعه عند الاباضية كما عند المسلمين جميعا الوعيد الشديد الذي جاء في حديث :" من قال في القرآن بغير علم فليتبوأ مقعده من النار"[1].

ولما رُوي أنّ أبا بكر الصديق قال : " أيُّ أرض تُقِلُّني وأيُّ سماء تُظِلُّني إذا قلت على الله ما لا أعلم "[2]، وروي أنّ عمر رضي الله عنه قرأ على المنبر :﴿ وَفَٰكِهَةً وَأَبّاً ﴾ [عبس : 31] فقال : هذه الفاكهة عرفناها فما الأبّ ؟ ثمّ رجع إلى نفسه فقال : إنّ هذا لهو التكلُّف يا عمر "[3]، وقد علّق الزركشي على هذين الأثرين فقال : " وما ذلك بجهلٍ منهما لمعنى الأبّ، وإنما يحتمل والله أعلم أنّ الأبّ من الألفاظ المشتركة، فخشيا إن فسَّراه بمعنى من معانيه أن يكون المراد غيره...، ويحتمل قول عمر غير ما سبق وجهين : أحدهما : أن يكون خفي عليه معناه وإن شُهِر كما خفي على ابن عباس معنى فاطر السماوات، الثاني : تخويف غيره من التعرّض للتفسير بما لا يعلم "[4].

وقد أرجع الذهبي قلّة اهتمامهم بالتفسير لجملة من الأسباب ذكر منها : بداوتهم وبعدهم عن التطور الديني والعلمي، وانشغالهم بالحروب والفتن، إضافة إلى أنّهم يرون الكذب جريمة من أكبر الجرائم يُخرج الإنسان من عداد المؤمنين، فلعلّ هذا دعاهم إلى عدم الخوض في تفسير القرآن، وجعلهم يتورّعون عن البحث وراء معانيه مخافة ألا يصيبوا الحقّ فيكونوا قد كذبوا على الله...، وقد سئل

---

[1] الترمذي : أبو عيسى محمد بن عيسى ، سنن الترمذي ، ت : بشار عواد معروف ، باب ما جاء في الذي يفسر القرآن برأيه ، د.ط(1998م) ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ج5 ، ص 49

[2] البغوي : أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء ، شرح السنة ، ت : شعيب الأرنؤوط ، باب تبليغ حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ط2 (1403هـ . 1983م) ، المكتب الإسلامي ، دمشق ، ج 1 ، ص 244

[3] المصدر السابق : باب الخصومة في القرآن ، ج 1 ، ص 265

[4] الزركشي : أبو عبد الله بدر الدين محمد ، البرهان في علوم القرآن ، ت : محمد أبو الفضل إبراهيم ، ط 1 (1376هـ . 1957) دار إحياء الكتب العربية ، ج 1 ، ص 295 . 296

بعضهم : لم لم تفسر القرآن فقال : كلّما رأيت قول الله تعالى :﴿ وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ ٱلْأَقَاوِيلِ ﴾ [الحاقة : 44] الآية أحجمت عن التفسير"[1].

يضاف إلى ذلك اشتغالهم بتأصيل الأصول ومجادلة المخالف والردّ عليه في المسائل العقدية، وتدعيم حججهم بالنصوص القرآنية، ويظهر هذا الأمر جليا في كتاب الوارجلاني "**الدليل والبرهان**" وهو كتاب كلامي جدلي اعتنى فيه بالردّ على الفرق الإسلامية : السنّة والشيعة والجبرية والمعتزلة، مع ما خلَّفتُه الفتن من أثرٍ كبير حيث كانت سببا في عدم تفرُّغهم للدّرس التفسيري وغيره، وضياع الكثير من الكتب المؤلفة فيه.

لكن مع ذلك لم يُعدم أهل هذه الحواضر تناول بعض الأعلام لتفسير بعض الآيات القرآنية في حلقهم العلمية، ومناقشاتهم للمسائل الكلامية، وضمن أجوبة مشايخهم على الأسئلة الواردة إليهم ومنهم :

. **أبو بكر بن يحيى الزواغي النميلي** (**ت 431هـ**)[2] : له تفسير لبعض الآيات ذكر الوسياني شيء منها فقال : وذكر الشيخ أي أبو محمد عبد الله بن بانوح أنّ أبا بكر الزواغي قال في قول الله عزّ وجلّ : ﴿ فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا ﴾ [الزخرف : 55] أي عصونا وغاضبونا في قول بعض، والأسف : الغضب والأسف : الحزن ولا يُوصف الله عزّ وجلّ بالحزن، والغضب فعل من أفعاله "غضب الله عليهم "[3].

---

[1] الذهبي : التفسير والمفسرون ، ج 2 ، ص 204 . 205

[2] أبو بكر بن يحيى الزواغي النميلي عالم من عزابة آجلو نزل أريغ (تقرت) جنوب الجزائر من المؤلفين السبعة لديوان الأشياخ قتل سنة 431هـ ينظر : معجم أعلام الإباضية : ج 2 ، ص 89 ، الشماخي : كتاب السير ، ج 2 ، ص 52

[3] الوسياني : سير الوسياني ، ج 1 ، ص 325

. **أبو عمار الوارجلاني (ت 570هـ)**[1] : نقل عنه كلام في تفسير بعض الآيات من قوله في الموجز : "وقد تضمّن قولك " الله " جميع ما يتصف به الباري سبحانه وهذا تفسير قول الله تعالى :﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ﴾ [البقرة : 253] فالحيّ يتضمّن الصفات، والقيّوم يتضمّن التكليف والتصرّف، فدلّ قولنا : الله إنّه قديم وأنّه حيّ وأنّه عالم وأنّه قادر وأنّه مريد وأنّه شاء وأنّه فاعل، فهذه السبع يقتضيها قولك : الله لا إله إلا هو الحي، ويقتضي قولك القيوم : الفعل وهو الخلق والتكليف، وهو الأمر والنهي ، ويقتضي الأمر والنهي الطاعة والمعصية، وتقتضي الطاعة والمعصية الثواب والعقاب، ويقتضي الثواب والعقاب الجنة والنار، ويقتضيان المصير "[2].

وأجاب أبو عمار سائلا عن أعلام الساعة فقال : خمس : إثنان منصوصتان واثنان مستخرجتان من النّص...أمّا المنصوصتان : قال الله عزّ وجلّ:﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا فُتِحَتْ يَاجُوجُ وَمَاجُوجُ ﴾ [الأنبياء : 95]، وقال في الثانية لعيسى عليه السلام :﴿ وَإِنَّهُۥ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا ﴾ [الزخرف : 61]، وأمّا المستخرجتان : فطلوع الشمس من مغربها قال الله عزّ وجلّ : ﴿يَوْمَ يَاتِي بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ ﴾[الأنعام : 159] يعني طلوع الشمس من مغربها، والثانية خروج الدابة قال الله عزّ وجلّ :﴿ وَإِذَا وَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَآبَّةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ ﴾ [النمل : 84] الآية [3].

---

[1] أبو عمار عبد الكافي بن أبي يعقوب التناوتي الوارجلاني عالم إباضي شهير درس بتونس أحيا المذهب فأقرأ وألف له كتاب الرد على من خالف الحق وشرح الجهالات وكتاب الاستطاعة والموجز ...توفي بضواحي وارجلان سنة 570هـ وقبره يزار إلى اليوم ينظر : الشماخي : كتاب السير ، ج 2 ص 104 ، معجم أعلام الإباضية :ج 2 ، ص 258

[2] أبو عمار عبد الكافي : الموجز ، ت : عبد الرحمن عميرة ط 1 سنة 1990م ، دار الجيل للطبع والنشر والتوزيع ص 153

[3] الوسياني : سير الوسياني ، ج 2 ، ص 744

وذكر أبو يعقوب الوارجلاني في كتابه العدل والإنصاف قول أبي عمار :" كلُّ موضع قال الله عزّ وجلّ : ياأيها الذين آمنوا "معناه : ياأيها الذين أقرّوا "[1] أي : أنّه يفسّر الإيمان بالإقرار فقط، وهي مسألة عقدية خلافية.

. **ماكسن بن الخير** (**ت 491هـ**) : ولد بالقيروان وفقد بصره وهو ابن سبع سنين، تتلمذ على أبي محمد ويسلان بن أبي صالح وعن أبي عبد الله محمد بن بكر...أسّس حلقة للعلم وتخرّج عليه جمع من الأفذاذ منهم : أبو محمد عبد الله بن محمد العاصمي الذي روى عنه السير توفي 491هـ. [2]

ذكر أبو يعقوب في العدل والإنصاف تفسيره لقوله تعالى :﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ﴾ [فاطر : 32] فقال : " أنّه استدلّ بها أنّ جميع ما تختلف فيه الفقهاء، هذا هالك وهذا ناج ولم ينفع اختلاف العلماء في ذلك في شيء غير أنّ المخطئ سالم، واعلم أنّ هذه المسألة قد وقع الاتّفاق في أصلها وفيما عند الله، وإنّما اختلفا في ظاهر القرآن فقال بعضهم : أنّ الظالم لنفسه مغفور له في هذه الآية بأمارات دالّة في ظاهر الخطاب قال الله عزّ وجلّ : "ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا " الآية، والإرث محمود فضيلة، وذكره في معرض الإمتنان حيث أورثهم الكتاب، ثمّ حلّاهم ووصفهم وقال الذين اصطفينا : فالاصطفاء بفضيلة وهم صفوة الله حيث اصطفاهم، ثمّ قال : "من عبادنا " فهذه نسبة محمودة ففسرّهم وقال : " فمنهم ظالم لنفسه" فالتسبيق فضيلة والتعبيد حيلة ولا حيلة إلا بالله، فلمّا ظهرت له هذه العلامات والأمارات قضى على الظالم نفسه أنّه ناج، وأيُّ المكلَّفين لم يظلم نفسه، ولاسيما أنّه قيَّد ولم يُطلق، فكأنّ انفهم لهذا المفسِّر أن الظالم نفسه بهذه الأمارات تائب ناج، وانفهم للآخرين من نفس الآية أنه ظالم مصر لم يتُب، فخفي على الفريقين أمر توبته، فقولُ كلُّ واحدٍ على ما صحّ له، فقال الأوّل : أنّه تائب لم يُصِرّ فهو ناج، وقال الآخر: أنّه مُصِرّ لم يتُب فهو ظالمٌ ساقط، فاتفقا على التائب أنّه من النّاجين وعلى المصّر الظالم أنّه من الساقطين، فلو قال الأول ناج مُصِرّ وقال الآخر غير مُصرّ لأخطآ فلما

---

[1] أبو يعقوب الورجلاني : يوسف بن إبراهيم بن مناد ، العدل والإنصاف في معرفة أصول الفقه والاختلاف ، ط 1(1404هـ . 1984م) وزارة التراث القومي والثقافة ، سلطنة عمان ، ج 2 ، ص 113

[2] معجم أعلام الإباضية : ج 2 ، ص 352

عكسا أصابا "[1] فانظر كيف تخلّص ببراعة من المعنى الذي لا يتماشى مع معتقده في مرتكب الكبيرة أنّه في النار إذا لم يتب.

. أبو الربيع سليمان بن يخلف المزاتي (ت 471هـ) : ففي كتابه التحف المخزونة في إجماع الأصول الشرعية ومعانيها، وإن كان في علم الكلام إلّا أنّنا نجد فيه جملة وافية من الأقوال التفسيرية منها قوله عن قوله تعالى : ﴿ وَمَنْ يَّتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْۖ ﴾ [المائدة : 51]، فثبت بهذا أنّ الله حرم ولاية الكافرين ونهى عنها..." [2]، وقوله عن قوله تعالى : ﴿عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ ۝١ عَنِ اِلنَّبَإِ اِلْعَظِيمِ ﴾ [النبأ : 01. 02] قد قيل في تفسيرها والله أعلم، أي : عن الخبر العظيم "[3].

وعند قوله تعالى :﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلاَّ رِجَالًا يُوحِيٓ إِلَيْهِم مِّنَ اَهْلِ اِلْقُرِيٓۖ ﴾ [يوسف : 109] قال : " فنفى بقوله : إلّا رجالا أن يكونوا من النساء، وبقوله : من أهل القرى : نفى أن يكونوا من أهل البادية..."[4].

. أبو نوح سعيد بن زنغيل (ت أوائل ق 4هـ)[5] : ذكر الشماخي أنّه سُئل عمّا يرويه المشبّهة عن النّبي عليه السلام : "لم تمتلئ جهنّم حتى يضع الجبّار فيها قدمه، قال إنْ صحَّت فمعناها ما قدَّم لها من أهل الشقاوة كقوله تعالى :﴿ وَبَشِّرِ اِلذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِندَ رَبِّهِمْۖ ﴾ [يونس : 02] "[6].

---

[1] الوارجلاني : العدل والإنصاف ، ج 2 ، ص 48 .

[2] أبو الربيع المزاتي : سليمان بن يخلف ، التحف المخزونة في إجماع الأصول الشرعية ومعانيها ، ت : محمود الأندلوسي ، دط (2016م) جامعة السلطان قابوس ، ج 1 ، ص 78 .

[3] معجم أعلام الإباضية : ص 141

[4] المرجع السابق: ص 143

أبو نوح سعيد بن زنغيل : أحد أقطاب العلم عند إباضية المغرب ، نشأ بالجريد بتونس ، ثم استوطن وارجلان . ينظر : الدرجيني

[5]: طبقات المشايخ بالمغرب ، ج 1 ، ص 126

[6] الشماخي : كتاب السير ، ج 2 ، ص 44

وذكر الوسياني أيضا أنّ من سير حلقة العزابة [1] وآدابهم ترتيل القرآن والترسل فيه والمكث والتدبير والتذكير... ويفسرون في خلال ذلك ما يحتاج إلى التفسير[2].

فهذه النقول وغيرها المبثوثة في كتب السير والتراجم وغيرها، تؤكِّد أنّ التفسير في هذه المرحلة كان حاضرا في مجالس العلم وفي المناقشات والمناظرات، وإن قلّ التأليف فيه، مع ملاحظة أنّ جلّ كلامهم فيه يصطبغ بالصبغة العقدية الكلامية، خاصّة إذا علمنا أنّ أغلب سكان الزاب ووارجلان قبل هذا كانوا واصلية معتزلة، وظلّ بعضهم على ذلك المذهب إلى غاية القرن السادس الهجري .

ب . الانصراف إلى فقه الفروع : لقد عرف المذهب المالكي منذ دخوله المغرب أواسط القرن الثاني الهجري على يد تلامذة الإمام مالك على رأسهم علي بن زياد الطرابلسي[3]، المتوفي سنة 183هـ إقبالا واسعا، ثمّ ازدهر وتطوّر حتى طغى على المذاهب الأخرى، وأصبح المذهب الرسمي لدول المغرب كالأدارسة فقد كان إدريس الأوّل يقول :نحن أحقّ باتّباع مذهب مالك وقراءة كتابه، وذلك لرواية الإمام في الموطأ عن والده عبد الله الكامل، ولما كان يراه مالك أيضا ويفتي به من خلع الخليفة العباسي أبي جعفر المنصور وصحّة البيعة لمحمّد النفس الزكية أخي إدريس...، فانتشر لذلك يومئذ المذهب المالكي بالمغربين الأقصى والأوسط [4].

وصبَّ المرابطون غالب جهودهم في تعلُّم فقه الفروع، ونبذوا ما سواه من العلوم يقول عبد الرحمن الجيلالي واصفا المكانة التي بلغها فقه المالكي أيام المرابطين :"... فتغلغلت المالكية في الأمّة وأصبحت الحكومة لا تقضي أمرا إلّا على وفق هذا المذهب، فحاز فقهاء المذهب بذلك تقدُّما عظيما ومنزلة

[1] حلقة العزابة : هيئة دينية ذات نظام تربوي اجتماعي يعنى بشؤون التعليم وقضايا المجتمع أنشأه أبو عبد الله محمد بن بكر الفرسطائي سنة 409هـ ببلاد أريغ (تقرت حاليا) ، يخضع لشروط صارمة ونظام دقيق ، ولا يزال موجودا في وادي ميزاب جنوب الجزائر . ينظر : علي يحيى معمر : الإباضية في موكب التاريخ ، ج1 ، ص 87 ، سير الوسياني : ج1 ، ص 83 وما بعدها

[2] الوسياني : سير الوسياني ، ج 2 ، ص 678

[3] هو أبو الحسن علي بن زياد الطرابلسي الفقيه الحافظ التونسي سمع من مالك وسفيان الثوري والليث بن سعد روى عن مالك الموطأ وهو أول من أدخله المغرب وسمع منه سحنون والبهلول بن راشد وأسد بن الفرات توفي سنة 183هـ ينظر : القاضي عياض : ترتيب المدارك ، ج 3 ، ص 80 . ابن فرحون : الديباج المذهب ،ج 2 ، ص 92 ، ابن مخلوف : شجرة النور ، ج 1 ، ص 91

[4] عبد الرحمن الجيلالي : تاريخ الجزائر العام ، ج 1 ، ص 251

رفيعة عند الأمراء...، ونبذ الناس يومئذ النظر فيما سوى ذلك من المذاهب والأصول، وبالغت الدولة في التمسّك بهذا المظهر حتى كاد ينسي النظر في كتاب الله وسنّة رسوله..."[1].

وهذا يدلُّ دلالة قوية على انحصار الحركة العلمية في هذا العهد في دراسة فروع مذهب مالك، وتشجيع هذا المسلك الفقهي بإنزال أهله المنزلة المذكورة، وقد كان لذلك الأثر الواضح والبيِّن والمتمثِّل في ضعف وركود بقية العلوم على رأسها علم التفسير الذي عزّ تدريسه وقلّ الناظر فيه، وقد وصف المراكشي هذه الحالة بعد أن ذكر مناظرة ابن تومرت لهم وظهوره عليهم بقوله : " فجرت له مناظرة كان له الشفوف فيها والظهور، لأنّه وجد جوّا خاليا، وألفى قوما صياما عن جميع العلوم النظرية خلا علم الفروع "[2]، فالحركة العلمية كانت منحصرة في الفروع .

وتكلّم المراكشي أيضا عن المكانة التي بلغها الفقهاء في عهد المرابطين خاصّة في زمن علي بن يوسف : " كان لا يقطع أمرا في جميع مملكته دون مشاورة الفقهاء، فكان إذا ولّى أحدا من قُضاته كان فيما يعهد إليه ألّا يقطع أمرا ولا يبثَّ حكومة في صغير من الأمور ولا كبير إلّا بحضور أربعة من الفقهاء فبلغوا في أيامه مبلغا عظيما... ولم يزل الفقهاء على ذلك وأمور المسلمين راجعة إليهم وأحكامهم كبيرها وصغيرها موقوفة عليهم طول مدّته فعظُم أمر الفقهاء كما ذكرنا، وانصرفت وجوه الناس إليهم فكثرت لذلك أموالهم واتسعت مكاسبهم..."[3].

بل سعت السلطة المرابطية إلى جعل تأويل النصوص القرآنية خروجا عن السنّة، وتُهمة تستوجب المتابعة والمساءلة، وما فتوى حرق كتاب الإحياء إلّا لما اشتمل عليه من تأويل، قال صاحب أزهار البساتين : " وكان الغزالي في نظرهم كافر، لأنّه خلا منهم من كان يؤوِّل في تفسير القرآن "[4].

وذلك لأنّ الحركة العلمية كانت مصبوغة بالصبغة السلفية قال المراكشي : "وقرّر الفقهاء عند أمير المسلمين علي بن يوسف تقبيح علم الكلام وكراهة السلف له، وهجرهم من ظهر عليه شيءٌ

---

[1] عبد الرحمن الجيلالي : تاريخ الجزائر العام ، ج1 ، ص 409

[2] المراكشي : عبد الواحد بن علي التميمي ، المعجب في تلخيص أخبار المغرب ، ت : صلاح الدين الهواري ، ط 1 (1426هـ . 2006م) المكتبة العصرية ، صيدا ، بيروت ، ص 139

[3] المرجع نفسه : ص 172

[4] محمد الفاسي : أزهار البساتين في أخبار الأندلس والمغرب على عهد المرابطين والموحدين ، دط (1349هـ) المطبعة الوطنية ، الرباط ، ص 100

منه، وأنّه بدعةٌ في الدين...حتّى استحكم في نفسه بغض علم الكلام وأهله، وكان يكتب عنه في كلّ وقت إلى البلاد بالتشديد في نبذ الخوض في شيء منه، وتوعُّدِه من وُجد عنده شيء من كُتبه "[1].

ولا شكّ أنّ هذا الأمر أفضى إلى نفور العلماء من التفسير إبعادا لأنفسهم عن مواطن التُّهم.

ثمّ كان للمعزّ بن باديس دور فعّال ما بين سنة 407هـ و453هـ في استقرار المذهب المالكي في المغرب الأوسط، حيث حمل أهل هذه المنطقة عليه وحسم النزاع بينه وبين المذهب الحنفي الذي كان منتشرا قبله، والقضاء على ما بقي من آثار للمذهب الشيعي الموروث عن الدولة الفاطمية يقول المخلوف : " وكانت بإفريقية مذاهب الشيعة والصفرية والاباضية والنكارية والمعتزلة، وكانت بها من مذاهب أهل السنّة : مذاهب أبي حنيفة النعمان ومذهب مالك، فظهر له أي : المعزّ بن باديس حمل الناس على التمسك بمذهب مالك، وقطع ما عداه حسما لمادّة الخلاف بالمذاهب "[2].

فهذا التحرّر الذي عاد للعلماء السنّيين من التسلّط العبيدي الشيعي عليهم، وفرض المذهب وحمل رايته من قبل السلطة المتمثلة في المعزّ، جعلهم يعنون بدراسة الفقه المالكي ويستفرغون جهودهم في التأليف فيه.

ورغم محاولة دولة الموحّدين أوائل القرن السادس الهجري إظهار مذهب الظاهرية، وإقدام يعقوب بن يوسف على حرق كتب المذهب المالكي كمدونة الإمام سحنون وكتاب النوادر لابن أبي زيد القيرواني...، وآذى من أظهر تمسّكه بمذهب مالك [3]، غير أنّ هذه المحاولات باءت بالفشل واستمرت الغلبة والسيطرة للفقه المالكي على الشمال الإفريقي طيلة اثني عشر قرنا وإلى يومنا هذا.

كما استمرّ تهافت الأولياء في توجيه أبنائهم لتعلمُّ الفقه، قصد بلوغ المناصب العليا عند الحكّام كالقضاء والحسبة ومختلف الخطط الإدارية، وبالتالي اتّجه التعليم في المغرب الأوسط وِجهة وظيفية،

---

[1] المراكشي : المعجب في تلخيص أخبار المغرب ، ص 131

[2] ابن مخلوف : شجرة النور الزكية ، ج2 ، ص 148

[3] ينظر : ابن فرحون : الديباج المذهب ، ج2 ، ص 260 . المراكشي : المعجب ، ج 1، ص 202 . عبد الرحمن الجيلالي : تاريخ الجزائر العام ، ج 1، ص 313

جرّدت التعليم من رسالته في نشر العلم وإرساء الأخلاق الفاضلة، يؤكد هذا كثرة المفتين والفقهاء في بجاية غضون القرن السادس الهجري[1].

بالإضافة إلى تدخّل الدول التي تعاقبت على حكم المغرب الأوسط خلال القرنين السادس والسابع الهجريين في توجيه التعليم بكافّة أطواره، وفقا لما يخدم توجُّهاتها السياسية والمذهبية والعقدية، فقد ألزم الحمّاديون والمرابطون مجتمع المغرب الأوسط على تعلّم فقه الفروع على مذهب مالك كالمدونة، ورسالة ابن أبي زيد القيرواني، والتهذيب، ومنعوا تدريس الأصول والفلسفة وعلم الكلام... [2]، ولعّل هذا ما جعل ابن حزم يُرجع انتشار المذهب المالكي بالمغرب بقوة السلطان [3].

ونظرا للامتيازات التي كان يتمتّع بها الفقهاء، وسيطرتهم على الساحة العلمية والثقافية، انصرف عدد كبير من العلماء عن علوم امتازوا فيها ليحاولوا النّبوغ في العلم الذي يلقى رواجا في الأوساط العلمية وينال حامله التقدير والاحترام اللذين لا ينالهما من حمل غيره من العلوم ، كلّ هذا الاحتفاء بالفقه والفقهاء كان له الأثر البالغ في ازدهار علم الفقه وشيوعه وظهور البراعة فيه براعة سجلّها الغبريني بذكره أّنه تعلّم الفقه على الشيخين : أبي محمد عبد العزيز القيسي وأبي محمد عبد الله بن عبادة وأنّه :" ما من شيء من كتب المذهب إلّا كان يقرأ عليهما من التهذيب إلى الرسالة وما بينهما الجلاب والتلقين ومختصر ابن أبي زيد وغير ذلك "[4]، وأكّدها ياقوت الحموي بأنه حتّى العوام والعمي في بجاية كانوا يحفظون عن ظهر قلب كتب البخاري والمدونة والموطأ والتلقين ويشرحونها للناس من ذاكرتهم، قال قال أبو طاهر بن سكينة سمعت أبا محمد عبدالله بن محمد بن يوسف الزناتي الضرير بالثغر يقول :" حضرت هرون بن النصر الريغي بالريغ في قراءة البخاري والموطأ وغيرهما عليه، وهو يتكلّم على معاني الحديث وهو أمّي لا يقرأ ولا يكتب، ورأيته يقرأ كتاب التلقين لابن عبد الوهاب البغدادي في مذهب مالك من حفظه كما يقرأ الإنسان فاتحة الكتاب، ويحضر عنده دُوَيْنَ مائة طالب لقراءة المدوّنة وغيرها من كتب المذهب عليه"[5].

---

[1] الغبريني : عنوان الدراية ، ص 69

[2] الطاهر بونابي : التصوف في الجزائر خلال القرنين السادس والسابع الهجريين ، ص 229

[3] ينظر : الحميدي ، جذوة المقتبس ، ص 383 . المقري : نفح الطيب ،ج 2 ، ص 218

[4] الغبريني : عنوان الدراية ، ص 356

[5] اليعقوبي : معجم البلدان ، ج 3 ، ص 113

وهي شهادة لها مغزاها ومدلولها فهي تبيِّن المدى الذي وصل إليه الاهتمام بفقه الفروع، والانتشار الواسع لهذا العلم بين طبقات المجتمع، فهذا الولوع بالفقه الذي كان نتيجة للعوامل التي ذكرت أثّر على الفنون الأخرى عموما وعلم التفسير خاصّة.

ج. **بداية انتشار التصوف** : عرفت الحياة الفكرية والثقافية في المغرب الأوسط خلال القرنين : السادس والسابع الهجريين تيارات صوفية سنّية وفلسفية نتيجة للهجرة الأندلسية، ودخول كتب التصوّف إلى تلمسان وبجاية وقلعة بني حمّاد وجزائر بني مزغنة، ككتاب إحياء علوم الدين للغزالي، وكتاب الرعاية للمحاسبي ، وانتشار مبدأ المجاهدات، واعتبار القلب المدرك الوحيد للحقائق الإلهية وليس العقل، وهو تيّار مناوئ ومعارض لتيّار الفقهاء.

فلقد عني الغزالي في كتابه : إحياء علوم الدين بالتصوف وبيّن حقيقة مراميه، وشرح كثيرا من مقاماته وحقائقه، في أسلوب مؤثّر مدعّم بالنصوص والأدلّة، فأبان بذلك فضل التصوّف على علم الفقه الذي يقتصر على ظواهر الأحكام دون النفوذ إلى بواطنها والحكمة منها والعمل على تحقيق غايتها وثمرتها وهي خوف الله ومراقبته والإنابة إليه... وشرح في كتابه : المنقذ من الضلال كيف اهتدى إلى التصوّف وأنّه العلم الوحيد الموصل إلى الله، ومن أجل ذلك هجر ما كان مشتغلا به من تدريس العلوم وأقبل بكليته عليه يقول رحمه الله : "إنّ الطريق إلى ذلك إنما هو تقديم المجاهدة، أو محو الصفة المذمومة، وقطع العلائق كلّها، والإقبال بكُنه الهمّة على الله تعالى، ومهما حصل كان الله هو المتولي لقلب عبده والمتكفِّل بتنويره بأنوار العلم "[1].

تلا ذلك هجرة الكثير من أعلام التصوف من الأندلس والمغرب الأقصى نتيجة تضييق المرابطين عليهم إلى المغرب الأوسط، الذي وجدوا فيه كامل الحرية في تدريس كتب التصوّف، وحتى في ممارسة سلوكهم الصوفي، وعلى رأس هؤلاء الأعلام :

---

[1] أبو حامد الغزالي : المنقذ من الضلال ، ت : عبد الحليم محمود ، دط ، دت ، دار الكتب الحديثة ، مصر ، ص 378

. أبو الفضل النحوي التلمساني (**ت 513هـ**)[1] : الذي تصدّى لعلي بن يوسف بن تاشفين سلطان المغرب إثر قراره حرق كتاب الإحياء وانتصر له، ثمّ استقر في قلعة بني حمّاد، وذكر أنه نسخ الإحياء ثلاثين جزءا، وكان كلَّ يوم من رمضان يقرأ جزءا قائلا : وددت أنّي لم أنظر في عمري سواه.

. أبو مدين شعيب بن الحسين الأندلسي (**ت 594هـ**) : القائل : " طالعت كتب التذكير فما رأيت مثل كتاب الإحياء "[2]، وذكر الغبريني أنّ الشيخين القاضيين : أبا على المسيلي وأبا محمد عبد الحق الاشبيلي رضي الله عنهما سمعا عنه أنه يأتي من العلم بفنون، وأنّه اطلع من أمر الله على سرِّه المكنون، مع أنّه لم ينته بالقراءة إلّا إلى السورة المذكورة، فكانا يتعجّبان ويكادان يُحيلان ما عنه يسمعان، فاتّفق رأيهما على الاجتماع معه والاطّلاع على ما عنده، فسارا إليه إلى أحد مسجديه الذين كان يجلس فيهما مع بعض خواصّ أصحابه، فدخلا فألفياه يفيض في أمور ويستخرج الدرر من قيعان البحور...، فانفصلا وقد تأكّد العلم عندهما بأنّ لله مواهب لا تسعها المكاسب، وأنّ الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء "[3].

كما درس آخرون التصوّف تعليما تربويا مثل : أبي مدين شعيب وأبي علي الحسن المسيلي[4] في مساجد بجاية قال ابن قنفذ :"وكان الشيخ رحمه الله مشغولا بالتربية والإفادة والتعليم والعبادة "[5].

فالتصوّف وانتشاره في الحواضر العلمية الجزائرية أثّر على الإنتاج التفسيري للقرآن من طريقين :

إمّا عن طريق لجوء هؤلاء الأعلام إلى الخلوة والخمول، والاشتغال بالرياضات والمجاهدات طلبا للنجاة، كما قال الكتاني في سلوة الأنفاس : " فقد كانوا رضي الله عنهم مع جلالة علومهم ووُفور

---

[1] أبو الفضل النحوي يوسف بن محمد التوزري التلمساني الفقيه المجتهد ، تلميذ اللخمي صاحب القصيدة المنفرجة توفي بقلعة بني حماد سنة 513هـ . ينظر : التنبكتي ، نيل الابتهاج ، ص 626 . الزركلي : الأعلام ، ج8 ، ص 247

[2] الغبريني : عنوان الدراية ، ص 23

[3] المرجع نفسه : ص 25

[4] أبو علي حسن بن علي المسيلي فقيه مالكي مفسر حافظ متكلم من القضاة أصله من مدينة المسيلة نشأ ببجاية وكان قاضيا بها ثم تأخر عن القضاء وعكف على نشر العلم والتأليف إلى أن مات سنة 580هـ ودفن بمقبرة أمسيون .ينظر : الزركلي ، الأعلام ، ج2 ص 203 . الغبريني : عنوان الدراية ، ص 33

[5] ابن قنفذ : أبو العباس أحمد الخطيب ، أنس الفقير وعز الحقير ، ت : محمد الفاسي ، دط (1965م) مطبعة أكدال ، الرباط ، ص 17

ديانتهم وعقولهم، كثيرا ما يتّهمون أنفسهم بالعجز والتقصير، ويرون أنّهم ليسوا أهلا للتأليف والتصدير، ركونا منهم لزوايا الخمول، وإيثارا للنّجاة خوف أن يكون العمل معلولا، وسلوكا لطريق السلامة الذي هو دليل على متانة الدين وعلامة، ولذلك قلّت لهم المؤلفات التي هي سبب الشهرة في الحياة وبقاء الذّكر بعد الممات "[1].

وإمّا عن طريق النظر إلى القرآن ومعانيه نظرة باطنية، وتفسيره تفسيرا إشاريا بعيدا عن الظاهر، نحو قول أبي مدين يخاطب مريديه قائلا : " أظهروا للنّاس ما عندكم من الموافقة كما يظهر الناس بالمخالفة، وأظهروا بما أعطاكم الله من نعمه الظاهرة . يعني خرق العوائد . والباطنية . يعني المعارف . فإنّه تعالى يقول :﴿ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴾ [الضحى : 11]"[2]، وورد عنه أنه قال في قوله تعالى :﴿ فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ ۝ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَارْغَبْ ﴾ [الشرح : 07 . 08] : فإذا فرغت من الأكوان : فانصب قلبك لمشاهدة الرحمن، وإلى ربّك فارغب في الدّوام، وإذا دخلت في العبادة فلا تُحدِّث نفسك بالخروج منها "[3].

ومن أعلام التصوّف من سلك في تفسيره للقرآن مسلك التذكير والوعظ كأبي علي المسيلي في كتابه التفكير فيما تشتمل عليه السور والآيات من المبادئ والغايات قال عنه الغبريني : " وهو كتاب جليل سلك فيه مسلك أبي حامد في كتاب الإحياء، وبه سمِّي أبا حامد الصغير، وكلامه فيه أحسن من كلام أبي حامد وأسلم "[4]، ثمّ وصف منهجه الاستدلالي ذا الطابع الصوفي الإشاري بقوله : "ودلّ كلامه فيه على إحاطته بعلم المعقول والمنقول وعلم الظاهر والباطن "[5]، ثمّ ذكر الغبريني ما يشير إشارة بسيطة إلى أنّ درس أبي علي المسيلي بالجامع الأعظم كان في التفسير وذلك من خلال قصّة محاولة أحد سادات بني عبد المؤمن منعه من التدريس، حيث طلب من أحد تلامذته أن يقرأ فقرأ

---

[1] الكتاني : أبو عبد الله محمد بن جعفر بن ادريس ، سلوة الأنفاس ومحادثة الأكياس بمن أقبر من العلماء والصلحاء بفاس ، ت : عبد الله الكامل الكتاني ، دار الثقافة ، ط1(1425هـ .2004 م) الدار البيضاء ، ج 1، ص 5

[2] عبد الحليم محمود : أبو مدين الغوث ، دط (1985م) دار المعارف ، القاهرة مصر ، ص 136

[3] الكتاني : سلوة الأنفاس ، ص 137

[4] الغبريني : عنوان الدراية ، ص 33

[5] المصدر نفسه : ص 34

قول الله تعالى : ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُم مَّقَامِي وَتَذْكِيرِي بِآيَاتِ اللَّهِ فَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْتُ﴾ [يونس : 71] فأصاب عندها السيّد وجع كاد أن يقضي عليه "[1]، فيمكن أن يكون ذلك من عادته في الدّرس أن يقرأ أحد طلبته آية من القرآن، ثمّ يفيض في تفسيرها وشرحها مذكّرا بمعانيها.

وأيضا الشيخ أبو زكرياء يحيى الزواوي الذي كان يعتمد أسلوب الترغيب والترهيب في تفسير القرآن، حيث يجمع بين الوعد والوعيد، ويُقابل بين التخويف والرّجاء قال ابن قنفذ: "... وأكثر ما يُقرئ التفسير والحديث، وكان كثير الخوف من الله عزّ وجلّ،كثير التخويف للنّاس يحذِّرهم جهنّم وحرّها وعذابها وشرّها "[2]، وقد ذكر من كان يحضر مجالسه أنّه قرأ يوما قول الله تعالى : ﴿ قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوا إِن يَنتَهُوا يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ ﴾ [الأنفال : 38]، فلم يزل يردّدها ويكرّرها بتحدير وترتيل ثمّ أقبل على الناس بخضوع وخشوع، وأخذ يبيّن لهم ما عند الله من الرحمة وإضعاف الحسنات والتجاوز عن السيئات، وأنّ الله لا يضيع أجر المحسنين، ثمّ قال يا إخواني سألتكم بالله إلّا ما ضممتم صبيانكم وأولادكم وأصاغركم ودعوتم لي... وأكثر هذا القول في بكاء شديد "[3].

ومن أعلام التصوّف من مال إلى البحث في أسرار الحروف وأعداد الآي، وعلى رأسهم أبو العبّاس أحمد بن علي البوني (ت 622هـ) [4]، الذي ألّف في هذا الشأن كتبا عديدة أشهرها : شمس المعارف الكبرى الذي اختلفت الآراء حوله وتباينت بين مادح وقادح، قال عنه صاحب كشف الظنون :" والمقصود من هذا الكتاب أن يعلم بذلك شرف أسماء الله تعالى، وما أودع في بحرها من

---

[1] الغبريني : عنوان الدراية ، ص 35

[2] ابن قنفذ : أنس الفقير وعزّ الحقير ، ص 28

[3] المصدر السابق : ص 128. 129

[4] ترجمة أحمد بن علي بن يوسف تقي الدين : أبو العباس البوني صوفي من أهل بونة المعروفة بعنابة من أشهر المؤلفين في العلوم الخفية رحل إلى المشرق واستقر بالقاهرة إلى أن توفي سنة 622هـ ينظر : كحالة : معجم المؤلفين ، ج2 ، ص 52

أنواع الجواهر الحكميات، وكيفية التصريف بالأسماء والدعوات وما تابعها من حروف السور والآيات، ليتّصل بها إلى الحضرة الربّانية "[1].

وقال عنه حسن الوزّان : " و أظنّ أنّ هذا العلم أقرب إلى السّحر من أسرار الحروف " [2]، لكن أغلب كتب الطبقات ورجال المالكية أغفلوا ذكره، لاختلافهم في امتهانه صنعة السّحر والشعوذة والكتابة فيها، رغم تصانيفه في التفسير ومنها : تحفة الأحباب ومنية الأنجاب في سرّ بسم الله وفاتحة الكتاب [3]، وكتاب فصول في التفسير [4]، هذا الأخير سنخصّه بالدراسة لأنّه بعيد كلَّ البعد عن موضوع أسرار الحروف وخواصّها، بل قد حوى أقوالا مهمّة في التفسير تُنبئ عن مشاركته في هذا الفنّ.

ولأبي الحسن الحرّالي ميل لهذا النوع من البحث، ذكر ابن حجر تفسيره في لسان الميزان فقال :" صنّف تفسيرا وملأه بحقائقه ونتائج فِكره، وكان الرجل فلسفيُّ التصوّف، وزعم أنّه استخرج من علم الحروف وقت خروج الدجال ووقت طلوع الشمس من مغربها "[5]، وقد جمع من تفسيره المفقود جزء استخرج من تفسير البقاعي " نظم الدرر في ترتيب الآيات والسور " تحت عنوان : تراث أبي الحسن الحرالي المراكشي في التفسير، واشتمل على هذا النوع من البحث في أسرار الحروف منه على سبيل المثال قوله في تفسير حروف الم أوّل البقرة :" ألف إسم للقائم الأعلى المحيط، ثمّ لكل مستخلف في القيام كآدم والكعبة، ميم : اسم للظاهر الأعلى الذي من أظهره ملك يوم الدين، واسم للظاهر الكامل المؤتى جوامع الكلم محمّد صلّى الله عليه وسلّم، ثمّ لكلّ ظاهر دون ذلك كالسماء والفلك

---

[1] حاجي خليفة :كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون ، دط 1941م ، دار الكتب العلمية ، لبنان ، ج2 ، ص 1062

[2] أحمد بن قاسم البوني : الدرة المصونة في علماء و صلحاء بونة ، ت : سعد بوفلاقة ، دط(1428هـ. 2007م) منشورات بونة للبحوث والدراسات ، عنابة ، الجزائر ، هامش ص 128

[3] نسخة بدار الكتب المصرية بالقاهرة برقم : 1. 276 (99م) ، وأخرى بمكتبة الفاتيكان برقم : 1130 . 23

[4] نسخة منه بمركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الرياض برقم : 12237

[5] ابن حجر العسقلاني : أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد ، لسان الميزان ، ت : عبد الفتاح أبو غدة ، ط1(2002م) ، دار البشائر الإسلامية ، ج5 ، ص 497

والأرض، لام :إسم لما باطن الإلهية التي هي محار العقول، وظاهر الملك الذي هو متجلى يوم الجزاء..."[1].

فهذا الإغراق في البواطن والأسرار، والبعد عن الظاهر من النصوص والألفاظ، في رأيي أثّر على التفسير ودراسته ونفّر منه.

د . الاقتصار على تدريس التفسير من خلال مؤلفات السابقين : اشتهرت خلال القرن الخامس والسادس الهجريين عدّة تفاسير لقيت رواجا وقبولا، وأصبحت بمثابة المقرّرات الدراسية على الطلبة، أوردها الغبريني في عنوان الدراية، فقد ذكر في برنامج مشيخته أنّه سمع عدّة كتب في التفسير كانت تدرّس في بجاية وهي : الكشف والبيان عن تفسير القرآن للثعلبي، وأحكام القرآن للطبري، والتحصيل للمهدوي، والمحرّر الوجيز لابن عطية، والكشّاف للزمخشري .

1. تفسير أحكام القرآن للكيا الهراسي : قال الغبريني : " وحدثني بكتاب أحكام القرآن لأبي الحسن علي بن محمد الطبري : أبو جعفر بن محمد الصدفي عن أبي زكرياء بن عصفور عن أبي عبد الله ابن عبد الحق التلمساني عن أبي بكر بن خير الأموي عن أبي الحسن محمد بن خلف بن صاعد الغساني عن يوسف بن عبد العزيز اللخمي عن المؤلف "[2]، فأبو عبد الله محمد بن عبد الحق التلمساني المتوفي سنة 625هـ كان يدرّس هذا التفسير ويروى عنه.

2 . تفسير ابن عطية: قال ابن خلدون :" وجاء أبو محمد بن عطية من المتأخّرين بالمغرب، فلخّص تلك التفاسير كلّها، وتحرّى ما هو أقرب إلى الصحّة منها، ووضع ذلك في كتاب متداول بين أهل المغرب والأندلس حسن المنحى"[3]

قال الغبريني : "وحدثني بكتاب الوجيز في شرح كتاب الله العزيز تأليف القاضي أبي محمد عبد الحق بن غالب بن عطية المحاربي الغرناطي غير واحد"[1]، فعبارة (غير واحد) توحي بانتشار هذا التفسير انتشارا واسعا.

---

[1] أبو الحسن الحرّالي : تراث أبي الحسن الحرالي المراكشي في التفسير ، تقديم وتحقيق : محمادي بن عبد السلام الخياطي ، ط1(1418هـ . 1997م) ، منشورات المركز الجامعي للبحث العلمي ، الرباط ، ص 153

[2] الغبريني : عنوان الدراية ، ص 360 . 361

[3] ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، ج 1 ، ص 555

3 . تفسير الزمخشري : وقد ولع أهل المغرب كغيرهم بالكشاف، لأنّه بلغ الغاية في بيان وجوه البلاغة والبيان، واهتموا به وتدارسوه، مع تصدٍّ لإبطال معتقداته الاعتزالية، سجّل ابن خلدون هذا الاهتمام بقوله : "... ومن أحسن ما اشتمل عليه هذا الفن من التفاسير (يعني البلاغة) كتاب الكشّاف للزمخشري... إلّا أنّ مؤَلِّفه من أهل الاعتزال في العقائد... فصار ذلك للمحقّقين من أهل السنّة انحراف منه وتحذير للجمهور من مكامنه، مع إقرارهم برسوخ قدمه فيما يتعلّق باللّسان والبلاغة... ولقد وصل إلينا تأليف لبعض العراقيين وهو شرف الدين الطيبي شرح فيه كتاب الزمخشري هذا وتتبّع ألفاظه وتعرّض لمذاهبه في الاعتزال بأدلة تزيفها..."[2].

ففي هذا إشارة لتداوله واعتناء بشروحه، ثمّ يأتي التصريح من الغبريني بسماعه رواية بسندٍ إلى مؤلِّفه حيث يقول : " وحدثني بكتاب الكشّاف عن حقائق التنزيل لأبي القاسم محمود الزمخشري الفقيه أبو عبد الله الكناني عن أبي الحسن ابن السراج عن أبي عبيد الله السلفي عن المؤلِّف "[3].

4 . تفسير المهدوي : وهو من التفاسير المغربية التي لقيت قبولا عند أهل المغرب الأوسط وكان يدرس في حواضرها العلمية قال الغبريني : " وحدثني بكتاب التحصيل لفوائد كتاب التفصيل الجامع لعلوم التنزيل تأليف أبي العباس أحمد بن عمار المهدوي الأستاذ أبو العباس أحمد بن محمد المكتب قال لنا أبو الحسن بن السراج عن أبي محمد عبد الله عن القاضي أبي الفضل عياض عن محمد بن سليمان النفري عن خاله الأديب أبي محمد ابن غانم عن المؤلف "[4]، إضافة إلى استقرار المهدوي بالقيروان مدّة واشتغاله بها بالتدريس والتأليف كما ذكر الأستاذ حسن حسني عبد الوهاب [5].

5 . تفسير الثعلبي المسمى الكشف والبيان : ذكر الغبريني أنّ أبا العباس أحمد بن محمد القرشي كان يحفظ تفسير الثعلبي في شرح القرآن[6].

---

[1] الغبريني : عنوان الدراية ، ص 363

[2] ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، ج 1 ، ص 556

[3] المرجع نفسه : ج 1 ، ص 364

[4] الغبريني : عنوان الدراية ، ص 362

[5] ينظر : حسن حسني عبد الوهاب ، العمر في المصنفات والمؤلفين التونسين ، ط1(1990م) ، دار الغرب الإسلامي بيروت لبنان ج 1، ص 122

[6] الغبريني : عنوان الدراية ، ص 347

أمّا الحواضر الإباضية فاقتصرت على تدريس بعض التفاسير المعروفة، التي لقيت قبولا ورواجا كتفسير عبد الرحمن بن رستم، وتفسير هود بن محكم الهواري، و تفسير الدراية وكنز الغناية ومنتهى الغاية في تفسير خمسمائة آية، وتفسير أبي يعقوب يوسف بن ابراهيم الوارجلاني،وقد نقلت لنا كتب السير والتراجم ما يؤكّد تداول هذه التفاسير خلال القرن الخامس والسادس الهجريين :

1. تفسير عبد الرحمن بن رستم : ذكر الوسياني أنّ شيخه أبو محمد عبد الله بن محمد بن ناصر بن ميال بن يوسف اللواتي العاصمي المتوفي سنة 528ه التقى بالشيخ سليمان بن مدرار النفوسي بعد قدومه من قلعة بني حمّاد، وإخباره برؤية تفسير عبد الرحمن بن رستم يباع هناك "[1]، وقد كان العاصمي عالما فقيها ضليعا في التفسير وآراء المفسرين [2].

فهذا نصّ يفيد أن التفسير المذكور كان موجودا ومعروفا بين أعلام الإباضية وكان متداولا بينهم بالتدريس والنظر والمطالعة حتى بداية القرن السادس الهجري تقريبا.

2 . تفسير هود بن محكم الهواري : ذكر الدرجيني نقلا عن أبي الربيع يخلف المزاتي المتوفي سنة 471ه من قصّة اختصام رجلين على تفسير هود بن محكم الهواري حتى بلغ تشاجرهما قبيلتيهما [3]، وهو خبر يفيد أنّ هذا التفسير كان معروفا ومتداولا حتى أواخر القرن الخامس الهجري وبلغ من النفاسة مبلغا عظيما.

3 . تفسير الدراية وكنز الغناية : فالبرّادي في الجواهر المنتقاة ذكر أنّه دخل وارجلان سنة ستة عشر وستمائة ولما سرد تآليف الإباضية التي وقف عليها وسمع بها أورد هذا التفسير فقال : وكتاب تفسير الخمس مائة [4].

[1] الوسياني : سير الوسياني ، ج1 ، ص 128

[2] معجم أعلام الإباضية : ج2 ، ص 272

[3] الدرجيني : طبقات المشايخ بالمغرب ،ج2 ، ص 345

[4] البرادي : أبو القاسم بن ابراهيم ، الجواهر المنتقاة فيما أخل به كتاب الطبقات ، دط ، دت ، ص 219

4 . تفسير الوارجلاني : ذكر الدرجيني أنه أقام سبعة أعوام ملازما داره لاينصرف، فكان متى زاره أحد من الزوار وجده إمّا ينسخ، وإمّا يُدرِّس، وإمّا يقابل، وإمّا يبري الأقلام... "[1]، ولا شك أن التفسير كان حاضرا في درسه وتعليمه مثل ما كان حاضرا في تآليفه.

[1] المرجع السابق : ج2 ، ص 492

المبحث الثاني : الإنتاج التفسيري لمرحلة الركود . أعلامه ومناهجه .

ستناول في هذا المبحث ثلاثة أعلام تكلّموا في التفسير وحفظت لهم أقوال فيه، وهم : أبو يعقوب الوارجلاني الذي خصّه بالتأليف لكن تفسيره مفقود، لكن اشتملت مصنّفاته الأخرى التي وصلت إلينا على جملة من أقوال التفسير، وعبد الملك البوني صاحب تفسير الموطأ أيضا ضمّن كتابه الكثير من الكلام حول التفسير، وأبو العباس البوني الذي يعتبر كتابه فصول في التفسير دليل قويّ على اعتنائه بعلم التفسير ومشاركته فيه.

أوّلا : تفسير أبي يعقوب يوسف بن ابراهيم الوارجلاني :

أ . ترجمته : هو أبو يعقوب يوسف بن ابراهيم بن مناد السدراتي الورجلاني، يُنسب أبو يعقوب إلى " وارجلان " أو ورقلة المعروفة حاليا في الصحراء الجزائرية [1]، من أشهر علماء الإباضية بالمغرب، ولد بسدراتة من قرى وارجلان، وأخذ مبادئ العلوم من علمائها، ثمّ شدّ الرِّحال إلى الأندلس، فأقام في قرطبة وحصّل العلوم النقلية والعقلية، ثمّ عاد إلى وطنه، ورحل إلى السودان للعلم والتجارة، وقصد الحجاز لأداء فريضة الحج فزار عواصم المشرق واستفاد من مراكزها العلمية وعلمائها، وصار عالما موسوعيا ترك بصمة بارزة في التراث الإباضي[2]، فقد كانت له اليد الطولى في كثير من العلوم جاء في طبقات الدرجيني أنّ :"... له يد في علوم القرآن وفي علم اللسان وفي الحديث والأخبار وفي رواية السير والآثار وعلم النظر والكلام والعلوم الشرعية عباداتها والأحكام وعلم فرائض المواريث ومعرفة رجال الأحاديث، ولم يخل من اطّلاع على علوم الأقدمين بل حصل مع ملازمة السنّة قطعة من علم الحكماء المنجّمين "[3].

من مؤلّفاته : تفسير القرآن العظيم ذكرت المصادر أنّه يقع في سبعين جزءا، الدليل والبرهان لأهل العقول في أصول الدين، العدل والإنصاف في أصول الفقه والاختلاف، وكتاب مرج البحرين في علم المنطق، وترتيب مسند الربيع بن حبيب، ورسالة في ترتيب رجال المسند، والقصيدة الحجازية في وصف رحلته إلى الحج... توفي رحمه الله سنة 570هـ ودفن بمسقط رأسه سدراتة [4].

---

[1] عبد الرحمن الجيلالي : أبو يعقوب الوارجلاني وكتابه الدليل والبرهان ، مجلة الأصالة ، العدد 41 ، (1397هـ . 1977م) ص 162

[2] ينظر: معجم أعلام الإباضية :ج 2 ، ص 481. 482

[3] الدرجيني : طبقات المشايخ بالمغرب ، ج 2 ، ص492

[4] معجم أعلام الإباضية : ج 2 ، ص 481 وما بعدها

ب . تفسيره : ذكر أهل التراجم أنّ لأبي يعقوب يوسف بن ابراهيم الوارجلاني تفسيرا كاملا بلغ فيه الغاية واستفرغ فيه الجهد، وضمّنه علوما جمّة تدل على سعة اطلاعه وإلمامه بما يحتاجه المفسّر، وكان هذا التفسير متداولا إلى نهاية القرن العاشر الهجري وذلك حسب شهادة الشماخي المتوفي سنة 928هـ حينما قال :" ورأيت له بعض تفسير كتاب الله أودعه أنواع العلم من القراءة واللغة والنحو والتصريف والحجج وغيرها " [1]، وقبله شهادة أبي القاسم بن ابراهيم البرادي المتوفي سنة 810هـ الذي وصفه بقوله : " وله في تفسير القرآن كتاب عجيب رأيت منه في بلاد أريغ (تقرت حاليا) سفرا كبيرا لم أر ولا رأيت قطّ سفرا أضخم منه ولا أكبر منه، وحزرت أنّه يجاوز سبعمائة ورقة أو أقلّ أو أكثر، فيه تفسير الفاتحة والبقرة وآل عمران، وحزرت أنّه فسّر القرآن في ثمانية أسفار مثله، فلم أر ولا رأيت أبلغ منه ولا أشفى للصدور في لغة أو إعراب أو حكم مبين أو قراءة ظاهرة أو شاذة أو ناسخ أو منسوخ أو في جميع العلوم "[2].

إلّا أنّه بعد ذلك صار في عداد المفقود بشهادة علماء الإباضية الذين هم أحرص الناس على تراثهم قال الشيخ ابراهيم أطفيش : " أمّا تفسير أبي يعقوب الورجلاني فغير موجود "، وذكر الشيخ أبو اسحاق اطفيش أنّ هذا التفسير يقع في سبعين جزءا وأنّه تلاشى في تلك الحروب الداخلية التي منيت بها الأمّة الإسلامية حينا من الدهر "[3]، لكن مع ذلك لم يقطع الشيخ أبو اليقظان ابراهيم والشيخ عبد الرحمن الجيلالي حبل الرجاء في العثور عليه فقد ذكرا أنه يوجد جزء واحد من هذا التفسير في إحدى خزائن روما عاصمة إيطاليا [4].

ج . منهجه في التفسير :سنحاول أن نقف على معالم منهج الوارجلاني في تفسيره من خلال نماذج تفسيرية ضمّنها مؤلفاته خاصة كتاب : الدليل لأهل العقول لباغي السبيل بنور الدليل لتحقيق مذهب الحق بالبرهان والصدق، وقد أشار البرادي إلى منهجه العام في التفسير فقال : "... فإذا ذكر آية يقول قوله تعالى الخ، فأوّل ما يذكر إعراب الآية ويستقصيه، ثمّ يقول اللّغة فيستقصي جميع تصاريف

[1] الشماخي : كتاب السير ،ج 2 ، ص 105

[2] البرادي : الجواهر المنتقاة ، ص 220

[3] أبو اسحاق اطفيش : الدعاية إلى سبيل المؤمنين ، دط (1342هـ . 1923هـ) المطبعة السلفية ، ص 27

[4] ينظر : عبد الرحمن الجيلالي ، تاريخ الجزائر العام ،ج1 ، ص 416

الفعل من الكلمة، ثمّ الصحيح في حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم فيسوق الرواية من كتاب الربيع بن حبيب المعروف بالمسند، ثمّ يسرد فيه السند أبو عبيدة عن جابر ويذكر الحديث "[1].

فمن خلال كلام البرادي نستطيع أن نقول أنّ تفسير الوارجلاني هو تفسير موسوعي وبالمأثور، يعتمد على الرواية وكلام العرب، جمع فيه علوما كان بارعا فيها خصوصا اللّغة والإعراب وهو ما تفيده عبارة : فيستقصيه . فيستقصي.

أمّا منهجه على التفصيل فيمكن القول أنّه يقوم على تفسير القرآن بالرواية و النقل، واستعمال اللّغة وعلومها والدراية بأسباب النزول وموارد النسخ، يصاحب ذلك التمجيد للعقل والانتصار للمذهب والمعتقد، والتحامل على المخالف وسيظهر هذا في النقاط التالية :

. تفسير القرآن بالقرآن : قوله : " ومن بيان القرآن لما في نفس القرآن بيان مجمله به كقوله : ﴿ نَصِيباً مَّفْرُوضاً ﴾ [النساء : 07] فنبّه فقال : ﴿ يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ ﴾ [النساء : 11] حتى إلى آخر الآيات في أحكام المواريث "[2].

ومن تفسير القرآن بالقرآن استعمال الأشباه والنظائر، فيُورد الألفاظ التي تواردت على معنى واحد، ويُورد كذلك ما ترادف واتّفق مبنى واختلف معنى فمن الأوّل : تفسير التولّي الوارد في قوله تعالى : ﴿ فَإِن تَوَلَّوْا فَخُذُوهُمْ وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ ﴾ [النساء : 88]، بمعنى الشرك ثمّ قال : وأكثر ما في القرآن : التولي إشارة إلى الشرك كما قال:﴿ فَأَنذَرْتُكُمْ نَاراً تَلَظَّىٰ ﴿١٤﴾ لَا يَصْلَاهَا إِلَّا الْأَشْقَى ﴿١٥﴾ الَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴾ [الليل : 15 . 16 . 17] [3]، ومن الثاني : قوله لمحمّد صلى الله عليه وسلّم في معرض الامتنان : ﴿وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَىٰ ﴾ [الضحى : 07] فقيّد الضلال بالهدى، ولم يُقيِّد الهدى بالضلال كما قال جلّ وعلا في ثمود :﴿ وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ

---

[1] البرادي : الجواهر المنتقاة ، ص 221

[2] الوارجلاني : العدل والإنصاف ، ج 1 ، ص 45

[3] أبو يعقوب يوسف ابراهيم الوارجلاني : الدليل والبرهان ، ت : سالم بن أحمد الحارثي ، ط2 (1437هـ . 2007م) وزارة التراث والثقافة ، مسقط ، سلطنة عمان ، ج2 ، ص 51

فَاسْتَحَبُّواْ اْلْعَمِىٰ عَلَى اْلْهُدِىٰ ﴾ [فصلت : 16]، فقيّد الهدى هاهنا بالعمى فصاروا قوما عمين، وأمّا محمد صلى الله عليه وسلم فقيّد ضلاله بالهدى فصار هاديا مهديا "[1].

ومنه لفظ الغفلة فذكر أنّه يُحمد في مواضع ويُذمُّ في أخرى فقال :" واعلم أنّه ليس بمذموم ولا محمود إلّا بقرينة تدلُّ على الحمد أو الذمّ، فإن عري منهما صار لا مذموما ولا محمودا، وقد وردت هذه الوجوه الثلاثة في القرآن : أمّا المحمودة فقوله :﴿ اِنَّ اَلذِينَ يَرْمُونَ اَلْمُحْصَنَٰتِ اِ۬لْغَٰفِلَٰتِ اِ۬لْمُومِنَٰتِ ﴾ [النور : 23]، فقيّد هذه الغفلة بالعفة والإيمان وذكرها في معرض الامتنان، وأمّا المذمومة فقوله تعالى : ﴿ اُ۬وْلَٰٓئِكَ اَلذِينَ طَبَعَ اَللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَسَمْعِهِمْ وَأَبْصَٰرِهِمْۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ اُ۬لْغَٰفِلُونَ ﴾ [النحل : 108]، وأمّا العاري منهما كقوله لمحمّد عليه السلام :﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ اَلْقَصَصِ بِمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ هَٰذَا اَلْقُرْءَانَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِۦ لَمِنَ اَلْغَٰفِلِينَ ﴾ [يوسف : 03] عن حديث يوسف عليه السلام وأمثاله "[2].

وكذلك عند الكلام عن الوحي في قوله تعالى : ﴿ وَأَوْحَيْنَآ إِلَيٰٓ أُمِّ مُوسَيٰٓ ﴾ [القصص : 06] قال : "... وهو على ثلاثة أوجه : وحي الأنبياء إعلام، وفي الحيوان إلهام، وفي الموتان وسائر الجمادات إطلاق وإذن، وأمّا وحي الأنبياء فمعروف...قال الله عزّ وجلّ :﴿ اِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ كَمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَيٰ نُوحٍ وَالنَّبِيِّـِۧنَ مِنۢ بَعْدِهِۦۖ ﴾ [النساء : 162]... والوجه الثاني من الوحي هو الإلهام قال الله :﴿ وَأَوْحِيٰ رَبُّكَ إِلَى اَلنَّحْلِ ﴾ [النحل : 68]...، وفي الموتان عجب عجيب...، قال الله عزّ وجلّ :﴿ يَوْمَئِذٖ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ۝٤ بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحِيٰ لَهَا ﴾ [الزلزلة : 05] "[3].

. استعمال اللّغة : فاللّغة عند الوارجلاني هي الحجّة العظمى التي يُعرف بها مراد الله، ولذلك نجده كثيرا ما يُورد عبارة "في لغة العرب"، فعند قوله تعالى :﴿ وَاللَّهُ أَرْكَسَهُم بِمَا كَسَبُوٓاْۖ ﴾ [النساء

---

[1] الوارجلاني : الدليل والبرهان ، ج 3 ، ص 28. 29.

[2] المصدر نفسه : ج 3 ، ص 29

[3] المصدر نفسه : ج 3 ، ص 280. 281.

: 88]، قال : الإركاس عند العرب : الرجوع إلى أسوء حال الرجل"[1]، وعند قوله تعالى : ﴿ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ ﴾ [المائدة : 51] قال : "... وهذا معروف من جهة لغة العرب وتصاريفها تقول : تولّى يتولّى تولّيا فهو متولٍّ والمفعول مُتوَلَّى "[2].

. تفسير القرآن بالسنّة : فعند قوله تعالى:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ ۝ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّآ أَرْضَعَتْ ﴾ [الحج : 01 . 02]، ذكر أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : أتدرون أي يوم هذا ؟ قالوا الله ورسوله أعلم، فقال : يوم يقول الله فيه لآدم : قم ابعث بعث النار فقال آدم وما بعث النار ؟ فقال تعالى : من كلّ ألف تسعة وتسعين وتسعمائة إلى النار وواحد إلى الجنّة هناك يشيب الصغير ويهرم الكبير وتضع كلُّ ذات حملٍ حملها وترى الناس سكارى..."[3] الحديث [4] .

وعند قوله تعالى : ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾ [آل عمران : 110]، أورد جملة من الأحاديث تبرز أفضلية أمّة الإسلام منها : قوله عليه الصلاة والسلام :" أمّتي أمة مرحومة"[5]، و قوله عليه الصلاة والسلام : "أنتم توافون سبعين أمة أنتم خيرها وأفضلها عند الله " الحديث[6].

. التفسير بأقوال الصحابة والتابعين : ففي قوله تعالى: ﴿ يَمْحُواْ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ ﴾ [الرعد : 40] قال : " ذهب ابن عباس إلى أنّ الحفظة إذا نزلت من السماء كتبت عمل العبد وصعدت إلى العرش وتنزل أيضا ملائكة يكتبون ما عمل فتلتقي الملائكة في السماء الدنيا فتتقابل النسختان فما صحّ

---

[1] الوارجلاني : الدليل والبرهان ، ج 2 ، ص 50

[2] المصدر نفسه : ج 3 ، ص 171

[3] صحيح البخاري : باب قوله عز وجل : إنّ زلزلة الساعة شيء عظيم ، رقم : 6530 ، ج 8 ، ص 110

[4] الوارجلاني : الدليل والبرهان ، ج1 ، ص 15

[5] الحاكم النيسبوري : أبو عبد الله محمد بن عبد الله ، المستدرك على الصحيحين ، ت : مصطفى عبد القادر عطا ، ط 1 (1411هـ . 1990م) دار الكتب العلمية ، بيروت ، كتاب التوبة والإنابة ، رقم : 7649 ، ج 4 ، ص 283

[6] المصدر السابق : ج1 ، ص 18

في نسخة اللوح المحفوظ فهو الذي يحاسب عليه العبد، وما خالف ترك هناك فيمحى وهو معنى قوله تعالى : " إنا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون "[1].

. يورد أسباب النزول ويستعين بها لبيان معاني الآيات : فعند تفصيله لمفهوم النّفاق عند الفرق أورد قوله تعالى : ﴿ فَمَا لَكُمْ فِي ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِئَتَيْنِ وَاللَّهُ أَرْكَسَهُم بِمَا كَسَبُوٓاْ ﴾ [النساء : 87] قال : " وذلك أنّ أناسا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كانوا بمكة وقد أسلموا، فهاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يهاجروا، فلما نزل فرض الهجرة وقطع الله عذر من لم يهاجر، اختلف فيهم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال بعضهم : هم مشركون كما كانوا أوّل مرة إذْ لم يهاجروا قضوا عليهم بحكم أهل الدار، وقال آخرون : بل هم مؤمنون مسلمون فأنزل الله عزّ وجلّ حكمه فيهم وتسميتهم بخلاف ما سمّوهم به المختلفون "[2].

. استعمال الآيات القرآنية لنصرة المذهب والمعتقد : إذا تعلّق الأمر بمسألة عقدية فإنّ الوارجلاني يفيض في إيراد الأدلة السمعية والعقلية لدحض حجج خصومه، وربما استعمل أسلوب السخرية والتهكّم فعند قوله تعالى :﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعاً ﴾ [الزمر : 50] قال: أطلق ولم يقيّد وعمَّ ولم يخصّ وقال : إن الله لا يغفر أن يشرك به، واستثنى من الشرك الكبائر وعلّقها بالمشيئة وقال : إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه، فوقع الاستثناء على السيئات دون الكبائر وحصلت الكبائر في حيز الكفر "[3].

وذكر قوله تعالى :﴿ وَلاَ يَشْفَعُونَ إِلاَّ لِمَنِ إرْتَضىٰ ﴾ [الأنبياء : 28] فقال : " وعلى أنّ الملائكة لا يشفعون إلّا لمن ارتضاه الله عزّ وجلّ فما حاجته إلى شفاعتهم "[4].

وفي مسألة الرؤية التي ينكرونها قال : "وقوله : إلى ربها ناظرة جاء مقيّدا بالآخرة فلا يُردُّ المطلق في هذه ' لا تدركه الأبصار ' إلى المقيّد، لأنّ قوله في الدنيا وحكم تلك في الآخرة فاختلفتا، فلا يُردُّ مطلق إلى مقيَّد اختلفت بهما الدار ولو كان من جنسه "[1].

---

[1] الوارجلاني : الدليل والبرهان ، ج 3 ، ص 135

[2] المصدر نفسه : ج 2 ، ص 50

[3] المصدر نفسه : ج 3 ، ص 322

[4] المصدر نفسه : ج 3 ، ص 109

ومن الردود التي حملت التهكم والسخرية بالمخالف ما جاء عنه في مسألة نفي الرؤية :" وقوله لن تراني : اعلم أنّه حرف إياس لا مطمع فيه، وربما يرى الأشعري ربّه في الآخرة ولا يراه موسى، ولو جاز عليه أن يُرى لقال : لا تراني فقد أيأس موسى من رؤيته إلّا أن طمع هو في الاستقبال أن يرى ربّه ولن يراه موسى ولن من حروف اليأس لموسى وغيره "[2].

واستدلّ على أنّ القرآن مخلوق عند ذكر قوله تعالى : ﴿ وَلَئِن شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِالذِے أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ ﴾ [الإسراء : 76] بقوله :" وكيف يذهب ما ليس بمخلوق أو يذهب له "[3].

. لا يجد فرصة إلّا ويطعن في عثمان رضي الله عنه، فقد أورد قوله تعالى :﴿ وَعَدَ اَ۬للَّهُ اُ۬لذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ اُ۬لصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِے اِ۬لَارْضِ كَمَا اَ۪سْتَخْلَفَ اَ۬لذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ اُ۬لذِے اِ۪رْتَضَيٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمُۥٓ أَمْناٗ يَعْبُدُونَنِے لَا يُشْرِكُونَ بِے شَيْـٔاٗ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ اُ۬لْفَٰسِقُونَ ﴾ [النور : 53] وعقب عليه مفسِّرا بالتمثيل فقال : " فلما استخلف أبو بكر رضي الله عنه أنجز الله له وعده، فثبت أنّ أبا بكر مؤمنٌ وقد عمل الصالحات، ومكّنه الله بعد ذلك دينه الذي ارتضى له، وبدّل له الأمن بعد الخوف، فصار إلى العبادة وإدحاض الشرك، ومن كفر بعد ذلك : من لم يسلك سبيل أبي بكر وخاف بعد الأمان اضطهد في قعر داره والدنيا أمان، واستغاث ولم يُغث فأولئك هم الفاسقون "[4].

. التطرّق للأحكام الفقهية مع بيان الاختلاف : عند كلامه عن المحاربين صدّر ذلك بقوله تعالى :﴿ إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ اُ۬لذِينَ يُحَارِبُونَ اَ۬للَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسْعَوْنَ فِے اِ۬لَارْضِ فَسَاداً ﴾ [المائدة : 35] ثمّ أفاض في ذكر مسائل الحرابة المختلف فيها فقال : " واختلف العلماء في ظاهر هذه الآية وباطنها : فمن قائل أنّها على ظاهرها فمن وقع عليه اسم الحرابة، الإمام مخيّر في جميع ما ذكرنا من هذه المعاني التي نصّ الله عليها من القتل والصّلب وتقطيع الأيدي والأرجل من خلاف والنفي، وبعض يقول : إنّ الآية

[1] الوارجلاني : الدليل والبرهان ، ج 1 ، ص 92 .

[2] المصدر نفسه : ج 1 ، ص 93

[3] الوارجلاني : العدل والإنصاف ، ج 2 ، ص 150

[4] المصدر نفسه : ج 1 ، ص 39

مرتبطة بلحن الخطاب...، إذا قتلوا أحدا من بني آدم كائنا ما كان فيقتلون به جميعا، أو يُصلبون إذا قتلوا وهم مشركون، أو تُقطّع أيديهم وأرجلهم من خلاف إذا لم يقاتلوا النفوس وأخذوا الأموال أو ينفوا من الأرض "[1].

وذكر جواز العقوبة بالمال عند قوله تعالى :﴿ قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئاً إِمْراً ﴾ [الكهف : 70] فقال : وأمّا خرق الخضر للسفينة لئلا تُؤخذ، فإنّه أراد في ذلك وجه المصلحة، لأن تُخرق ويلزمها عيبها خيرٌ من أن تُؤخذ غصبا... ومن هنا اقتبس مالك إجازة العقوبة بالمال "[2] .

القراءات : يشير إلى اختلاف القراءات أحيانا ويوجّهها، لكنه لا ينسبها لأصحابها فقد قال عند قوله تعالى : ﴿ قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْساً زَاكِيَةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَّقَدْ جِئْتَ شَيْئاً نُّكْراً ﴾ [الكهف : 74] وأمّا قوله :زاكية أي نامية، يدلُّ على صغره وأنّه لم يُكمل حال البلوغ ، وأمّا من قرأ : زكية أثبته صالحة وقد بلغت البلوغ وتجاوزته إلى الزكاة والصلاح "[3]، فالأولى قراءة الحرميين وأبي عمرو بأَلِف بعد الزاي وتخفيف الياء، والثانية قراءة الباقين بغير ألف وتشديد الياء [4].

أمّا التوجيه فهو قريب من توجيه ابن خالويه إذ قال : " فالحجّة لمن قرأ زاكية :أنّه أراد أنها لم تُذنِب قطّ، والحجّة لمن قرأ زكيّة : أنّه أراد أنّها أذنبت ثمّ تابت "[5].

بل يشير حتى إلى القراءات الشاذة فعند قوله تعالى :﴿ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ ﴾ [البقرة : 101] قال فمن قرأه بالفتح فإنّه أراد ملكين من الملائكة، ومن قرأه بالكسر فإنّه أراد ملكين من ملوك الدنيا [6]، فقراءة الفتح هي القراءة المتواترة، وقراءة الكسر هي قراءة شاذة، فقد قرأ الضحاك بن مزاحم

---

[1] الوارجلاني : الدليل والبرهان ، ج 3 ، ص 75

[2] المصدر نفسه :ج 3 ، ص 257

[3] المصدر نفسه : ج 3 ، ص 259

[4] أبو عمرو الداني : عثمان بن سعيد بن عثمان ، جامع البيان في القراءات السبع ، ط1(1428هـ . 2007م) ، جامعة الشارقة ، الإمارات ، ج3 ، ص 1315

[5] بن خالويه : أبو عبد الله الحسين بن أحمد ، الحجة في القراءات السبع ، ت : عبد العال سالم مكرم ، ط1(1421هـ . 2000م) ، دار الرسالة ، بيروت ، ص 227

[6] الوارجلاني : الدليل والبرهان ، ج3 ، ص 143

بكسر اللّام أي : داود وسليمان عليهما السلام [1]، وعلى هذا تكون " **ما** " نافية أي تنفي أن يكون قد أنزل عليهما السّحر "[2].

. يذكر الأقوال في التفسير ولا ينسبها لأصحابها : بل يكتفي بالقول : " قال بعض المفسّرين وذلك كقوله عند قوله تعالى :﴿ قَدَ اَنزَلَ أَللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْراً ۝١٠ رَّسُولًا ﴾ [الطلاق : 10] : " بعض المفسّرين يذهب إلى أنّ الذّكر هو الرسول، يعني أنزل إليكم من يُذكِّركُم وهو الرسول، وبعضٌ يذهب إلى ما فيه ذكر تذكرة لكم ومعتبر "[3] ومواضع أخرى كثيرة.

والصفة الغالبة في تفسير الوارجلاني أنّه يتكلّم بلغة المجادلة والمناظرة، ويعطي للعقل حظّه في الأخذ والردّ، بل يجعله هو الميزان الذي يحكم في جدلية الصراع بين الحق والباطل، وهذا ما نراه من خلال تفسير قوله تعالى : ﴿ اَلَمْ يَاتِكُمْ نَبَؤُاْ اُ۬لذِينَ مِن قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ ۝١١ وَالذِينَ مِنۢ بَعْدِهِمْ لاَ يَعْلَمُهُمُۥٓ إِلاَّ أُللَّهُ جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَٰتِ فَرَدُّوٓاْ أَيْدِيَهُمْ فِےٓ أَفْوَٰهِهِمْ وَقَالُوٓاْ إِنَّا كَفَرْنَا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ وَإِنَّا لَفِے شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَنَآ إِلَيْهِ مُرِيبٍ ﴾ [إبراهيم : 11 . 12]، فأخبر الله تعالى عن الرسل كافّة أنّها جاءت الأمم بالبيّنات، ثمّ أخبر عن الأمم أنّها أنكرت ما جاءت به الأنبياء من البينّات، ثمّ أخبر أنّهم قالوا : إنّا كفرنا... ويتضمّن كفرهم جحودهم لما عرفوا، وأنّ الأمم قد كابرت الأنبياء وعرفت حقّ ما جاءت به...، ويدلّ عليه قولهم الذي عقَّبوا به آخرا : وإنا لفي شكٍّ...، فكأنّهم تداركوا ورجعوا من لفظة الكفران إلى لفظة الشكّ، وخافوا أن يُتوهَّم عليهم مُتوهِّم أنّهم أيقنوا وكفروا، فرجعوا من الكفران إلى الشك، لئلا يصير لهم ذلك نقيصة وللأنبياء فضيلة...، ثمّ نظروا إلى إثبات الشك على أنفسهم، وخافوا أن تلزمهم الحجة في جواز صدق

---

[1] ابن جني : أبو الفتح عثمان الموصلي ، المحتسب في تبيين شواذ القراءات والإيضاح عنها ، ط 1 (1420هـ . 1999م) وزارة الأوقاف ، مصر ، ج1 ، ص 101

[2] ينظر : ابن عطية : أبو محمد عبد الحق بن غالب ، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ، ت : عبد السلام عبد الشافي ، ط1 (1422هـ) دار الكتب العلمية ، بيروت ، ج1 ، ص 186

[3] الوارجلاني : الدليل والبرهان ، ج 2 ، ص 128

الأنبياء... فتداركوا بقولهم : (مريب) ردّا على الأنبياء، لئلا يثبت أنّ ما قالت الأنبياء حقّ فتردّدوا بين الكفر والشك والريبة "[1].

ثمّ يذكر أنّ الأنبياء قارعت هذا التكذيب بالحجج العقلية، ودفعت التوهّم بالأدلة القطعية فقال :" قالت رسلهم أفي الله شك... إنكارا عليهم أنّ ليس في الله شك وليس بعد انتفاء الشك إلّا العلم...، وعقّبت الأنبياء بالعلّة العقلية التي لا يختلف عليها العقلاء فقالت : فاطر السماوات والأرض، وإرادة الأنبياء أنّ من أقرّ بفطور السماوات والأرض لا شكّ أنّه يعلم الفاطر وهو الأصل...، ثمّ قالت الأنبياء : يدعوكم ليغفر لكم... وهذا النمط من الجائزات لا من الواجبات ولا من المستحيلات [2]، فطلبت الأمم برهانا على ذلك فقالت : إن أنتم إلا بشر مثلنا... "، هاهنا استدلت الأمم بالشاهد على الغائب فقالت للأنبياء : إنّ ما ادعيتم من هذا محال لأنّكم بشر ونحن بشر وما جعلكم أولى بإصابة الأمر دوننا وكلانا بشر...، ثمّ قالوا : تريدون أن تصدّونا عمّا كان يعبد آباؤنا "، فكأنّهم أشاروا أنّ للأنبياء في هذا غرضا ما وصدقوا، وغرض الأنبياء مثل ما قالوا أن يصدّوهم عن عبادة الأوثان إلى عبادة الرحمن، ثمّ قالوا : فأتونا بسلطان مبين " فالآن أنصفت الأمم لو تمّت على إنصافها حين تعرضت للبرهان... وقال الأنبياء : إن نحن إلّا بشر مثلكم " صدقتم نحن بشر وأنتم بشر ولكن هذه المسألة التي بيننا وبينكم ليست من العقليات الواجبات، ولا من المستحيلات، ولكنها من الجائزات، والدليل عليها قولهم : ولكنّ الله يمنّ على من يشاء من عباده "، فوقعت التفرقة هاهنا بين الجائزات والواجب وأنّ للفاعل أن يفرق ويمُنّ على من يشاء ويترك من يشاء، فانقطعت الأمم هاهنا وظهرت عليهم الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم، واعترفت لهم الأنبياء أنهم لن يقدروا أن يأتوا بسلطان إلا بإذن الله فقالت : وما كان لنا أن نأتيكم بسلطان إلا بإذن الله "، فانقطعت الأمم هاهنا، وانقطعت المناظرة وفرغت المحاورة، ورجعت الأمم إلى قوّتها وكثرة عددها، بعدما غلبوا في الخصومة "[3].

فهذا الأخذ والردّ ينبئ عن مقدرة أبي يعقوب الوارجلاني في إيراد الحجج العقلية واستحضارها وتفنيد ما يتمسك به الخصوم، وهي ملكة اكتسبها من المناظرات التي كانت سائدة في المجالس والمناقشات العلمية التي كانت سائدة في الحواضر الإباضية.

---

[1] الوارجلاني : الدليل والبرهان ، ج 3 ، ص33

[2] المصدر نفسه : ج3 ، ص 35

[3] الوارجلاني : الدليل والبرهان ، ج 3 ، ص 34. 35

ثانيا : أقوال أبي عبد الملك البوني في التفسير

أ . ترجمة البوني : هو أبو عبد الملك مروان بن علي البوني الأسدي القرطبي القطان المالكي الفقيه، المفسّر المحدِّث، تفقّه بأحمد بن نصر الداودي، أصله من الأندلس ثمّ سكن بونة من بلاد افريقية ونُسب إليها وهي التي تسمّى الآن عنابة قال الحموي : " بونة بالضمّ ثمّ السكون مدينة افريقية...ينسب إليها جماعة منهم : أبو عبد الملك مروان بن محمد البوني فقيه مالكي..."[1]، ومكث بها عاكفا على التدريس والتأليف إلى أن توفي رحمه الله سنة 440هـ وله كتاب كبير شرح فيه الموطأ رواه عنه الناس [2].

ب . تفسير البوني : ليس لأبي عبد الملك البوني تأليف في التفسير، لكن من خلال تفسيره للموطأ الذي يعتبر من أقدم شروحات الموطأ، نجده يتناول الكثير من الآيات بالتفسير والبيان، ويغوص في المعاني الفقهية والبيانية والإعرابية، وأشار إلى ذلك محقّقه فقال : " وقد كان للبوني نظرات عميقة في تفسير بعض الآيات، مما ينبئ عن ملكة خاصّة في التفسير لا تقلُّ عُمقا عن استنباطاته من نصوص السنّة النبوية "[3].

ج . منهجه : بلغ عدد الآيات القرآنية التي ذكرها في تفسير الموطأ 250 آية، وهو الأمر الذي جعلنا نورد كلامه كنموذج للإنتاج التفسيري في هذه المرحلة، وباستقراء ما ورد في هذه الآيات من معان تفسيرية نستطيع التعرف على منهجه ومصادره في التفسير وذلك من خلال النقاط التالية :

. تفسير القرآن بالقرآن : وذلك لأنّ القرآن يفسِّر بعضُه بعضا ولا أحد أدرى بكلام الله من الله، فهو أعلى درجات التفسير، ونجد البوني يسلك هذا المسلك فيردّ الآيات لبعضها البعض ويشرح الألفاظ الواردة فيها بنظائرها في غيرها، نحو قوله في آية الربا : والربا : الزيادة...ومنه قوله تعالى : ﴿ اَهْتَزَّتْ وَرَبَتْ ﴾ [الحج : 05] أي : صعدت وارتفعت "[4].

---

[1] الحموي : معجم البلدان ، ج 1 ، ص 512

[2] ينظر :الحميدي ، جذوة المقتبس ، ج1 ص 342 . القاضي عياض : ترتيب المدارك ، ج 7، ص 259 . نويهض : معجم أعلام الجزائر ، ص 52

[3] البوني : عبد الملك مروان بن علي الأسدي ، تفسير الموطأ ، ط 1(1432هـ . 2011م) وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية ، الدوحة ، قطر ، ص 5

[4] البوني : تفسير الموطأ ، ص 790

ويستدلّ على المعاني بدلالة السياق من ذلك قوله : فدلّ قوله عزّ وجلّ :﴿ فَمَنْ عُفِيَ لَهُۥ مِنَ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتِّبَاعٌۢ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَآءٌ اِلَيْهِ بِإِحْسَٰنٍۗ ذَٰلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌۗ ﴾ [البقرة : 177] أنّ القاتل في مشيئة الله عزّ وجلّ، وأنّه لا يُقطع عليه بالحلول في النار لأنّه تعالى قد خفّف عنه ورحمه بقوله تعالى : ذلك تخفيف من ربكم ورحمة "[1].

. تفسير القرآن بالسنّة : لاشك أنّ البوني صاحب الباع في فهم أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم وشرحها وبيانها، له دراية تامّة بما جاء منها مفسِّرا لآيات من كتاب الله، إمّا بيانا لمجملٍ أو تقييدا لمطلقٍ أو تخصيصا لعموم ، وقد أورد في شرحه للموطأ أمثلة نذكر منها قوله : في آية الوضوء : " ومراده بمسح الرجلين إمرار اليد عليهما ويكون ذلك المسح غسلا وبيّن النبي صلى الله عليه وسلم ذلك بقوله :" ويل للأغقاب من النار "[2] الحديث [3] ، وقوله : " وبيّن النبي صلى الله عليه وسلم قول الله تعالى : ﴿ فَاعْتَزِلُواْ اُ۬لنِّسَآءَ فِے اِ۬لْمَحِيضِۖ ﴾ [البقرة : 220] أنّه اعتزال النكاح بقوله : " لتشدّ الحائض إزارها ثم شأنك بأعلاها "[4]...، لئلا يواقع الحرام "[5].

. الأخذ بأقوال الصحابة والتابعين : فقول الصحابي في التفسير له حكم المرفوع [6] وقد ذكر البوني الكثير من أقوال الصحابة في تفسير عددٍ من الآيات منها : عند قوله تعالى :﴿ حَٰفِظُواْ عَلَى اُ۬لصَّلَوَٰتِ وَالصَّلَوٰةِ اِ۬لْوُسْطَىٰ وَقُومُواْ لِلهِ قَٰنِتِينَ ﴾ [البقرة : 236]، أورد أقوالا للصحابة والتابعين في تعيين الصلاة الوسطى، بدءا من أنّ عائشة رضي الله عنها كانت تقرأ الآية : حافظوا على

---

[1] المصدر نفسه : ص 944

[2] صحيح البخاري : كتاب الوضوء ، باب غسل الأعقاب ، رقم : 165 ، ج 1 ، ص 44

[3] البوني : تفسير الموطأ ، ص 96

[4] الموطأ : كتاب الطهارة ، باب ما يحلّ للرجل من امرأته وهي حائض ، ج1 ، ص 57

[5] البوني : تفسير الموطأ ، ص 158

[6] تفسير الصحابي له حكم المرفوع إذا كان مما يرجع إلى أسباب النزول وكل ما ليس للرأي فيه مجال ، أما ما يكون للرأي فيه مجال فهو موقوف عليه ما دام لم يسنده إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ينظر : الذهبي : التفسير والمفسرون ، ج 1 ، ص 95

الصلوات والصلاة الوسطى وصلاة العصر، وعلّق على ذلك بقوله : " ففي قولها دليل أنّ الصلاة الوسطى غير صلاة العصر "[1].

. الاعتناء باللّغة والإعراب : ففي قوله تعالى : ﴿وَامْسَحُواْ بِرُءُوسِكُمْ ﴾ [المائدة : 07] الغسل، وذلك أنّ العرب تسمّي الغسل مسحا، فتقول : مسحنا...تريد الوضوء "[2].

وعند قوله تعالى في صفة أهل الجنّة :﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِّحَتۡ أَبۡوَٰبُهَا ﴾ [الزمر : 70] قال :أضمر خبر : حتى إذا جاءوها ثمّ عطف وقال : وفتحت أبوابها،كأنّه قال : حتى إذا جاءوها تلقتهم الملائكة بالسرور والحبور ثمّ عطف وقال : وفتّحت أبوابها "[3].

. الرجوع إلى كتب اللّغة لبيان الألفاظ الغريبة : كلفظ : المهل في قوله : ﴿ يَوۡمَ تَكُونُ ٱلسَّمَآءُ كَٱلۡمُهۡلِ ﴾ [المعارج : 08] قال : " قال أبو عبيدة : المهل : بضم الميم الصديد، والمهل أيضا عكر الزيت الأسود "[4].

. يذكر أسباب النزول : فلا تكاد تمرّ به آية لها سبب نزول إلّا وذكره، وذلك لبيان المعاني الأصلية للآيات فعند قوله تعالى :﴿ وَلَا تَجۡهَرۡ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتۡ بِهَا ﴾ [الإسراء : 109] قال : قال ابن عباس في تفسير ذلك أنّ النّبي صلى الله عليه وسلم كان يجهر بالقرآن فيسمع المشركون قراءته فيسبّون القرآن ومن أنزله، فأنزل الله عزّ وجلّ : ولا تجهر بصلاتك فيسمعك المشركون فيسبّون القرآن ولا تخافت بها فلا يسمع أصحابك قراءتك "[5].

وعند قوله تعالى :﴿ وَيَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلۡمَحِيضِۖ قُلۡ هُوَ أَذٗى ﴾ [البقرة : 222] قال : ذكر النسائي أنّ اليهود كانت إذا حاضت المرأة منهم لم يؤاكلوها ولم يشاربوها ولم يجامعوها، فسألوا النبي

---

[1] البوني : تفسير الموطأ ، ص 256

[2] المصدر نفسه : ص 96

[3] المصدر نفسه : ص 369

[4] المصدر نفسه : ص 586

[5] المصدر نفسه : ص 368

صلى الله عليه وسلم عن ذلك فأنزل الله تعالى : " ويسئلونك عن المحيض قل هو أذى"، فأمرهم النّبي صلى الله عليه وسلم أن يؤاكلوهنّ ويشاربوهنّ ويجامعوهنّ في البيوت وأن يصنعوا بهنّ كلّ شيء سوى النكاح "[1].

ومن ذلك قوله : " وذكر النسائي أنّ هذه الآية : فأينما تولوا فثم وجه الله، نزلت في النافلة "[2].

. الاهتمام بالناسخ والمنسوخ : واعتماده في ذلك على كتاب أبي عبيد القاسم بن سلام فكثيرا ما يورد عبارة : وذكر أبو عبيد في الناسخ والمنسوخ، فمثل لنسخ الخفيف بالثقيل بقوله تعالى :﴿ وَالذَّانِ يَاتِيَـٰنِهَا مِنكُمْ فَـَٔاذُوهُمَا ﴾ [النساء : 16] قال : ثمّ نسخ ذلك بالرجم وهو أثقل من الجلد بالنعال والأذية باللسان "[3].

وعند قوله تعالى : ﴿وَأَنكِحُواْ ٱلأَيَـٰمىٰ مِنكُمْ وَالصَّـٰلِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَآئِكُمْ ﴾ [النور : 32] قال : " لم يذكر فيه لكم خشي العنت منكم ولا لمن لم يجد طولا إلى الحرة فاحتمل أن تكون هذه الآية ناسخة للآية التي في النساء "[4].

. استخراج الأحكام الفقهية : فيعرض رأي مذهب مالك، من خلال أقوال أمّهات الفقه المالكي كالمدونة والمختلطة والمستخرجة والواضحة، والنوادر والزيادات ويُورد الحجج والأدلة انتصارا لمذهب مالك فعند قوله تعالى : ﴿وَأُمَّهَـٰتُكُمُ ٱلَّتِىٓ أَرْضَعْنَكُمْ ﴾ [النساء : 23] قال : وكان فيما أُنزل من القرآن عشر رضعات معلومات ثمّ نسخن بخمس معلومات ثمّ نسخ ذلك بقوله تعالى : وأمهاتكم التي أرضعنكم، فظنّت عائشة رضي الله عنها أنّ الخمس لم ينسخن "[5].

---

[1] البوني : تفسير الموطأ ، ص 158

[2] المصدر نفسه : ص 274

[3] المصدر نفسه : ص 265

[4] المصدر نفسه : ص 685

[5] المصدر نفسه : ص 742

وفي قوله تعالى : ﴿ أَوْ لَٰمَسْتُمُ ٱلنِّسَآءَ ﴾ [النساء : 43] قال : " الملامسة التي أراد الله عزّ وجلّ : الجماع، يجب الوضوء من الملامسة التي تكون للذّة، وأمّا التي ليست للذّة فلا وضوء فيها، يدلُّ على ذلك قول عائشة رضي الله عنها : " كنت أنام بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يصلي فإذا سجد غمزني فقبضت رجلي "[1] الحديث [2].

. يردّ على المخالف أحيانا : فعند قوله تعالى :﴿ وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَاسْتَمِعُواْ لَهُۥ وَأَنصِتُواْ ﴾ [الأعراف : 204] قال : "هذه الآية ردٌّ على الشافعي الذي يوجب قراءة أمّ القران مع الإمام فيما يجهر فيه" [3]، وكذلك عند قوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَالْمَسَٰكِينِ وَالْعَٰمِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي ٱلرِّقَابِ وَالْغَٰرِمِينَ وَفِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَابْنِ ٱلسَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ [التوبة : 60] قال : " وقال الشافعي تقسّم الزكاة أثمانا... وليس كما قال الشافعي، وإنما ذلك علم من الله عزّ وجلّ أعلمنا الأصناف التي تجعل فيها الصدقة، فإنْ جُعلت في صنف من هذه الأصناف أجزأ، والدليل على صحة ذلك قول النبي صلى الله عليه وسلم لمعاذ حين بعثه إلى اليمن :" فأخبرهم أنّ الله قد فرض عليهم صدقة تُؤخذ من أغنيائهم وتردُّ على فقرائهم "[4]، فذكر صنفا واحدا ممّا تصرف فيه "[5].

. يشير لاختلاف القراءات أحيانا : فعند قوله تعالى : ﴿ وَامْسَحُواْ بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ ﴾ [المائدة : 07] قال : قيل إنّ القراءة التي بالفتح نسخت القراءة التي بالكسر، لأنّ القراءتين المشهورتين بمنزلة الآيتين تبيّن إحداهما الأخرى وتنسخ إحداهما الأخرى، والناسخ من إحدى

[1] الموطأ : باب ما جاء في صلاة الليل ، رقم : 02 ،ج1 ، ص 117

[2] المصدر السابق : ص 139

[3] البوني : تفسير الموطأ ، ص 198

[4] صحيح البخاري : باب أخذ الصدقة من الأغنياء ، رقم : 1496 ، ج 2 ، ص 28

[5] البوني : تفسير الموطأ ، ص 389

القراءتين ما ثبت دليله، والدليل على أنّ القراءة التي بالفتح هي الناسخة للقراءة التي بالكسر ما تقدم ذكره من قوله صلى الله عليه وسلم :" ويل للأعقاب من النار "[1] الحديث [2].

لم يصرّح أنّه نقل من بعض التفاسير المشتهرة آنذاك إلّا تفسير يحي بن سلام فإنّه صرّح بالنقل عنه مرة واحدة وذلك عند قوله تعالى : ﴿ وَمَا جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِي كُنتَ عَلَيْهَآ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ ﴾ [البقرة : 142] قال : وذكر ابن سلام في تفسير القرآن عن قتادة قال : كانت القبلة فيها بلاء وتمحيص..."[3].

وخلاصة منهج البوني من خلال ما أورد من نماذج تفسيرية أنّه تفسير أثري يعتمد على الرواية ويرتكز على الإلمام بأدوات التفسير من لغة وفهم للأصول الشرعية ومقاصد الأحكام.

[1] الموطأ : باب العمل في الوضوء ، رقم : 05 ، ج 1 ، ص 19

[2] المصدر السابق : ص 96

[3] البوني : تفسير الموطأ ، ص 340

ثالثا : تفسير أبي العباس البوني " فصول في التفسير "

اشتهر أبو العباس البوني بكتاب شمس المعارف الكبرى، وبكتب أسرار الحروف وخواصّها، مما جعل الكثير من أهل التراجم والسير يصنّفون مؤلفاته ضمن كتب السحر، ولم يعدُّوه من المفسرين، لكن الاطلاع على كتابه المخطوط : فصول في التفسير يجعلنا نتبيّن أنّه من أهل الاهتمام بعلم التفسير، بعيدا عن كل إغراق في الحروف وأسرارها، وسنحاول في هذا المقال أن نعرض بعض النماذج التفسيرية التي تثبت ذلك مع بيان المنهج الذي سلكه في تفسير بعض الآيات.

أ . ترجمته : هو أبو العباس أحمد بن علي بن يوسف البوني، الصوفي المشتهر بتصانيفه في العلوم الخفية، من أهل بونة المعروفة اليوم بعنابة، رحل إلى المشرق واستقر بالقاهرة إلى أن توفي سنة 622هـ، له مصنّفات كثيرة منها : أسرار الحروف والكلمات، إظهار الرموز وإبداء الكنوز، فتح الكريم الوهاب في فضائل البسملة مع جملة من الأبواب،....فصول في التفسير [1]، وأغلبها في عداد المفقود إلّا أن هذا الأخير توجد منه نسخة مخطوطة بمركز الملك فهد للبحوث والدراسات بالرياض تحت رقم : 12237 (الملحق 03)

ب . رأي العلماء فيه : اختلفت الآراء حول أبي العباس أحمد بن علي البوني، وتباينت بين مادح وقادح، قال صاحب كشف الظنون عن كتابه شمس المعارف الكبرى :" والمقصود من هذا الكتاب أن يعلم بذلك شرف أسماء الله تعالى وما أودع في بحرها من أنواع الجواهر الحكميات، وكيفية التصريف بالأسماء والدعوات، وما تابعها من حروف السور والآيات، ليتّصل بها إلى الحضرة الربانية "[2].

وقال النبهاني في جامع كرامات الأولياء : "من كبار المشايخ ذوي الأنوار والأسرار، وممن أخذ عنه المرسي، فمن كراماته أنّه كان مجاب الدعوة "[3].

---

[1] ينظر : حاجي خليفة : كشف الظنون ، ج 2 ، ص 1062 . البابابي : اسماعيل بن محمد أمين بن مير سليم ، هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين ، دط 1951م ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، لبنان ، ج1 ، ص 90 . نويهض : معجم أعلام الجزائر : ص 48

[2] حاجي خليفة : كشف الظنون ، ج2 ، ص 1062

[3] النبهاني : يوسف بن إسماعيل ، جامع كرامات الأولياء ، ت : ابراهيم عطوة عوض ، ط 1 (1422هـ . 2001م) ، مركز أهل السنة ، الهند ، ج 1 ، ص 508

وقال حسن الوزّان في الدرّة المصونة : " و أظنّ أنّ هذا العلم أقرب إلى السّحر من أسرار الحروف "[1].

عادل نويهض : "... من أشهر المصنِّفين العرب في العلوم الخفية، كُتبه لا تزال مستعملة حتّى اليوم لدى المشتغلين بالسّحر والتعاويذ..."[2].

لكن أغلب كتب الطبقات ورجال المالكية أغفلوا ذكره لاختلافهم في امتهانه صنعة السحر والشعوذة والكتابة فيها، رغم تصانيفه في التفسير ومنها : تحفة الأحباب ومنية الأنجاب في سرّ بسم الله وفاتحة الكتاب [3]، وكتاب فصول في التفسير [4]، هذا الأخير سنخصّه بالدراسة لأنّه بعيد كل البعد عن موضوع أسرار الحروف وخواصّها، بل قد حوى أقوالا مهمّة في التفسير تُنبئ عن مشاركته في هذا الفنّ.

ج . فصول في التفسير: يعتبر كتاب " فصول في التفسير " عبارة عن تفسير لمجموعة من الآيات اختارها البوني لتكون مواضيع للتذكير والوعظ بحيث يجعلها كالعناوين للفصول فيقول مثلا : الفصل الأربعون في قوله تعالى : الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم الآية، ثمّ يقدّم بين يدي ذلك الحمدلة والتشهّد وبعد ذلك يشرع في تفسير الآية عنوان الفصل، شارحا بعض ألفاظها، موردا أحاديث في معناها، مطرّزا ذلك بالحكايات والأشعار وأخبار الزهاد والعباد.

نسبة الكتاب للمؤلف : نعتمد في ذلك على ما هو مثبت في فهرس مخطوطات خزانة التراث الذي أصدره مجمع الملك فيصل الذي ورد فيه :

الفن : تفسير . عنوان المخطوط : فصول في التفسير . إسم المؤلف : أحمد بن علي بن يوسف البوني . إسم الشهرة : البوني . تاريخ الوفاة : 622هـ . 1225م . قرن الوفاة : 7هـ . 13م . إسم المكتبة : مركز

---

[1] أحمد بن قاسم البوني : الدرة المصونة في علماء و صلحاء بونة ، ت : سعد بوفلاقة ، دط(1428هـ . 2007م) منشورات بونة للبحوث والدراسات ، عنابة ، الجزائر ، هامش ص 128

[2] عادل نويهض : معجم أعلام الجزائر ، ص 47

[3] نسخة بدار الكتب المصرية بالقاهرة برقم : 1. 276 (99م) ، وأخرى بمكتبة الفاتيكان برقم : 1130 . 23

[4] نسخة منه بمركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الرياض برقم : 12237

الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية . إسم الدولة : المملكة العربية السعودية . اسم المدينة : الرياض . رقم الحفظ : 12237.[1]

د . منهجه في التفسير: سنحاول أن نبرز شيئا من معالم منهج البوني في التفسير من خلال تفسيره لسورة التكاثر وكذا تفسير قوله تعالى :﴿ إِنَّمَا ٱلْمُومِنُونَ ٱلذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَـٰناً وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ [الأنفال : 02]، مما توفّر لدينا من صور لهذا المخطوط عن طريق مركز الملك فهد للبحوث والدراسات بالمملكة العربية السعودية، ويمكن القول أنّه منهج يقوم بشكل عام على الرواية والأثر والاستعانة باللغة وتراكيبها بشكل مقتضب، مع بساطة في الأسلوب اقتضاها مقام الوعظ والتذكير :

. تفسير القرآن بالسنّة : فقد أورد في تفسير آية الأنفال جملة من الأحاديث في فضل الذّكر فقال :" عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " ألا أنبئكم بخير أعمالكم وأزكاها عند مليككم وأرفعها في درجاتكم وخير لكم من إنفاق الذهب والورق وخير لكم من أن تلقوا عدوكم فتضربوا أعناقهم قالوا بلى قال : ذكر الله "[2]، ومن حديث أبي هريرة وأبي سعيد أنهما شهدا على رسول الله صلى الله عليه وسلم أنّه قال : "ما من قوم يذكرون الله إلّا حفّت بهم الملائكة وغشيتهم الرحمة ونزلت عليهم السكينة وذكرهم الله فيمن عنده "[3]، وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : " خرج علينا معاوية رضي الله عنه فوجدنا قوما جلوسا فقال : ما يجلسكم قالوا : جلسنا نذكر الله، قال آالله ما أجلسكم إلّا ذاك قالوا : آالله ما أجلسنا إلّا ذاك قال : أما إنّي لم أستحلفكم تهُمة لكم ولكنّ رسول الله صلّى الله عليه وسلم خرج على حلقة من أصحابه فقال : ما يجلسكم قالوا جلسنا نذكر الله ونحمده لما هدانا للإسلام ومنّ علينا به قال : آالله ما أجلسكم إلّا ذاك، قالوا آالله ما أجلسنا إلّا ذاك

[1] خزانة التراث :فهرس مخطوطات ، مركز الملك فيصل ، المملكة العربية السعودية ، المكتبة الشاملة ، ج 54 ، ص 924

[2] مالك بن أنس : موطأ الإمام مالك ، ت : محمد فؤاد عبد الباقي ، باب ما جاء في ذكر الله تبارك وتعالى رقم 24 ، دط (1406هـ . 1985م) دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، لبنان ، ج 1 ، ص 211

[3] ابن بطال : أبو الحسن علي بن خلف ، شرح صحيح البخاري ، ت : أبو تميم ياسر بن ابراهيم ، ط2 (1423هـ . 2003م) مكتبة الرشد ، السعودية ، الرياض ، ج 10 ، ص 136

قال : أما إنّي لم أستحلفكم تهمة لكم إنّه أتاني جبريل عليه السلام فأخبرني أنّ الله باهى بكم الملائكة "[1] الحديث "[2].

فهذه ثلاثة أحاديث كلّها تصبّ في باب الترغيب في الذّكر وحِلقه.

ويُفسّر التوكّل الوارد في الآية بقوله صلى الله عليه وسلم :" لو توكّلتم على الله حقّ توكله لرزقتم كما تُرزق الطير تغدو خماصا وتروح بطانا "[3] ويكتفي بذلك ولا يزيد شيئا.

. تفسير القرآن بأقوال الصحابة والتابعين : فعند قوله تعالى : ﴿ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ﴾ [التكاثر : 08] قال : قيل هي الصحة والفراغ، وقال ابن عباس :كلّ ما أنعم الله به على العبد من الصحّة والأمن والسّمع والبصر وقرأ : ﴿ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَـٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴾ [الإسراء : 36]، وعن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه قال : هو خبز الشعير والماء البارد، وقال قتادة :كلُّ ما التُذّ به فهو نعيم ومنه أذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا، ويحتمل وجها آخر وهو نعمة الإيمان والتوحيد...لتسئلن يومئذ عن النعيم أي : عن العمل الذي يوصلكم إلى النعيم فهذا ما شهر لي والله أعلم "[4].

فانظر كيف بدأ بأقوال الصحابة ثمّ التابعين ثمّ ذكر ما يراه تفسيرا للآية، وهي طريقة تجمع بين الأثر والرأي.

. بيان معاني الألفاظ والحروف بما تقتضيه اللّغة : قال :" ومعنى وجلت قلوبهم : الوجل نوع من الخوف إلّا أنّ الخوف أتمَّ منه "[5]، وعند قوله تعالى :﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ﴾ [التكاثر : 01] قال : "

---

[1] مسلم بن الحجاج : صحيح مسلم ، ت : محمد فؤاد عبد الباقي ، باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن ، رقم : 2701 ، دط ، دت ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ج 4 ، ص 2075

[2] الورقة رقم : 05 (المرفق 03)

[3] النسائي : أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب الخراساني ، السنن الكبرى ، ت : عبد المنعم شلبي ، كتاب الرقائق رقم : 11805 ، ط1 (1421هـ . 2001م)مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ج 10 ، ص 389

[4] مخطوط " فصول في التفسير " اللوحة رقم : 03 (المرفق 03)

[5] مخطوط " فصول في التفسير " اللوحة رقم : 06 (المرفق 03)

ألهاكم أي : شغلكم يقال لها بمعنى لعب، ولها عن الشيء أي غفل، والتكاثر هو تكلف الكثرة والتكاثر أيضا التفاخر بالكثرة "[1].

وقال : " ومعنى كلّا : أي ليس الأمر الذي يكون التكاثر عليه، ويحتمل أن يكون توكيدا ينوب عن اليمين، ويحتمل أن يكون ردعا وزجرا عن التكاثر"[2].

. يذكر بعض أوجه الإعراب : فقال : "وجواب لو محذوف : لشغلكم ذلك عن غيره لتروّن الجحيم "[3].

. يتعرض لتقرير عقائد أهل السّنة : فيفسّر زيادة الإيمان بزيادة العمل فيقول :" إنما يريد إجادة العمل إذ كلُّ آيةٍ من كتاب الله تفيد علما ويفتقر ذلك العلم للعمل، فزيادة الإيمان هاهنا زيادة العمل "[4].

. يذكر بعض اللطائف البلاغية : فعند قوله تعالى : ﴿ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۝ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴾ [التكاثر : 03 . 04] قال : "ذكر المفسّرون من طريق العربية أنّه تكرار وتأكيد للوعيد وتغليظ للنهي عنه، والأظهر عندي أنّ كلا سوف تعلمون الأولى أنّ ظهور ذلك في حال الموت وهو القبر ثمّ عطف ب : ثمّ لمهلة ما بين الموت إلى المحشر وهو قوله تعالى : ثمّ كلّا سوف تعلمون ذلك في الحساب في يوم الدّين "[5].

وهو مثالٌ كافٍ في معرفة باع أبي العباس البوني في فنّ البلاغة وتوظيف ذلك في فهم القرآن وتدبّره.

. الصبغة الصوفية الغالبة على التفسير : وتتجلّى في ذكر أخبار الزهّاد والعبّاد كمعروف الكرخي، كما نجده يُصرّح بأنّ لآيات القرآن ظاهر يدركه العلماء بالبحث والدرس، وباطن يُكشف لأرباب المواهب الربانية فعند قوله تعالى :﴿ أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ ۝ حَتَّىٰ زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ ﴾ [التكاثر : 01 . 02] يقول :" وهذا خطاب ظاهر في الدنيا إذا كان معنى زرتم مستقبلا أي : حتى تزوروا المقابر،

---

[1] مخطوط " فصول في التفسير " اللوحة رقم : 02 (المرفق 03)

[2] مخطوط " فصول في التفسير " اللوحة رقم : 02 (المرفق 03)

[3] مخطوط " فصول في التفسير " اللوحة رقم : 03 (المرفق 03)

[4] مخطوط " فصول في التفسير " اللوحة رقم : 06 (المرفق 03)

[5] مخطوط " فصول في التفسير " اللوحة رقم : 03 (المرفق 03)

وباطن هذا الخطاب هو قول يقال لجامع المال وأهل التفاخر... فيكون فعلا ماضيا لانقضاء الدنيا، وكذلك بعض آيات القرآن تُذكر والمراد بها في الآخرة على طريق الكشف والتحقيق ويذكرها في الدنيا على طريق السلوك والتشريع، وهذا اللّفظ من فهم القرآن لا يُتوصل إليه بطريق البحث مجرّدا عن المواهب الربانية بل لأرباب قلوبٍ نوّرها الله بنُور اليقين يُكشف لها عن معاني الآيات اللائقة بالدار الآخرة والآيات اللائقة بالدار الفانية "[1].

وهو كلام يعكس أنّ صاحبه ذو نزعة صوفية إشارية في فهم القرآن، لكنّها نزعة مقبولة، لأنّه لا ينفي المعنى الظاهر المتبادر بل يقول به ويرويه، ويأخذ بالمعنى الرمزي والإشاري الذي لا يتنافى مع الظاهر.

وخلاصة القول إنّ منهج أبي العبّاس البوني في التفسير يقوم على الأثر والرواية أوّلا، ثمّ الإدلاء بما تجُود به القريحة من رأي، وما لمع في القلب من إشارة كما رأينا، وهو التفسير المقبول الذي لا جمود فيه على الرواية ولا إهمال للأثر.

كما أنّ سلوك أبي العباس البوني هذا المنهج في الوعظ القائم على اختيار آيات قرآنية وتفسيرها، ينبئ عن أنّه من أهل الإصلاح في المجتمع، فلطالما كان تفسير القرآن الكريم هو الأسلوب الأمثل للعودة بالمجتمع إلى منبع العقائد الصافية، والتشريع الحكيم، والأخلاق السامية الفاضلة.

[1] مخطوط " فصول في التفسير " اللوحة رقم : 02 (المرفق 03)

الفصل الثالث

ازدهار وتطور حركة التفسير بالجزائر (بداية من منتصف القرن السابع)

المبحث الأوّل : عوامل ازدهار حركة التفسير وفضاءاته بداية من منتصف القرن السابع الهجري

. أولا : عوامل ازدهار حركة التفسير بالجزائر بداية من منتصف القرن 7

. ثانيا : مجالس التفسير وفضاءاته خلال القرن السابع والثامن

المبحث الثاني : الإنتاج التفسيري وأعلامه في مرحلة التطور

النموذج الأول : المقرّي الجدّ

النموذج الثاني : الشريف التلمساني

النموذج الثالث : ابن مرزوق الخطيب

الفصل الثالث : ازدهار وتطور حركة التفسير بالجزائر (بداية من منتصف القرن السابع)

يمكن ردّ هذا الازدهار الذي عرفته الجزائر في مجال علم التفسير في هذه المرحلة إلى عاملين أساسيين يتمثّلا في : تشجيع السلاطين لهذا العلم ببناء المدارس المتخصّصة، والإشراف على مجالسه خصوصا سلاطين الزيانيين أوّلا، وهجرة أعلام من مدرسة الأندلس التي عُرفت بتميزّها في التفسير ثانيا.

المبحث الأوّل : عوامل ازدهار التفسير وفضاءاته بداية من منتصف القرن السابع

أوّلا : عوامل ازدهار التفسير في هذه المرحلة

أ . تشجيع السلاطين لعلم التفسير : فلقد ساهم سلاطين الدولة الزيانية خصوصا في تأسيس تقليد علمي يتمثل في الإشراف على المجالس العلمية وحضورها، ومنها مجلس التفسير، بشهادة صاحب . نظم الدرر . بقوله : " وحضر مجلس إقرائه فيها جالسا على الحصير تواضعا للعلم وإكراما له، فلما انقضى المجلس أشهد الأوقاف، وكسا طلبتها كلُّهم وأطعم الناس، وطوّل الله مدّته حتى ختم السيد أبو عبد الله تفسير القرآن العزيز فيها، فاحتفل أيضا لحضور ذلك الختم وأطعم فيه الناس وكان موسما عظيما "[1].

وذكروا أنه : " لما اجتمع العلماء عند أبي عنان أمر الفقيه العالم المقري بإقراء التفسير فامتنع منه وقال : الشريف أبو عبد الله أولى مني بذلك، فقال له السلطان : تعلم أنت علوم القرآن وأهل لتفسيره فاقرأه، قال له : إن أبا عبد الله أعلم بذلك مني فلا يسعني الإقراء بحضرته، فعجبوا من إنصافه، ففسر أبو عبد الله بحضرة العلماء كافة في دار السلطان "[2] ، وهنا وإن كان السلطان مرينيا إلّا أن البضاعة التفسيرية من تلمسان.

ب . هجرة الأندلسيين : عرف القرن السابع ما يُعرف بحركة الاسترداد المسيحي، خاصّة بعد هزيمة الموحّدين على أيدي القوى المسيحية في موقعة حصن العقاب سنة 609هـ، والتي نشطت بعدها الهجمات النصرانية على الإمارات الإسلامية، فسقطت قرطبة سنة 645هـ، وسقطت مورسية وجيان

[1] محمد بن عبد الله التنسي : نظم الدرر والعقبان في بيان شرف بني زيان ، ت : محمود بوعياد ، دط ، سنة 1985م ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، ج 1 ، ص 179 . 180

[2] التنبكتي : نيل الابتهاج ، ص 435 . ابن مريم : البستان ، ص 171

وإشبيلية سنة 646هـ، مما اضطرّ أهل الأندلس إلى الهجرة نحو بلاد المغرب طلبا للنجاة وهي الحالة التي وصفها ابن خلدون بقوله : " فلما تكالب الطاغية على العدوة والتهم ثغورها، واكتسح بسائطها وأشف على قواعدها وأمصارها، أجاز الأعلام وأهل البيوت إلى أرض المغربين (الأوسط والأقصى) وإفريقية..." [1]، في هذا الوقت كانت الأوضاع ببلاد المغرب الأوسط تتمخّض عن ميلاد دولتين مستقلّتين هما : الدولة الزيانية في أغلب المغرب الأوسط والحفصية في إفريقية وشرق المغرب الأوسط، مع تنافس بينهما في استقطاب الوافدين الأندلسيين، لاسيّما أقطاب العلم والسياسة والأدب، مما كان له الأثر البالغ في ازدهار الحركة العلمية والثقافية بالمغرب الأوسط وخاصة حاضرتي : تلمسان وبجاية اللّتين كان لهما الحظّ الأوفر من الأعلام الأندلسيين المهاجرين يقول سعد الله عن هذه الهجرة : "... وهكذا كانت المأساة الإنسانية في الأندلس خيرا وبركة على مجتمع المغرب الذي كان دائما يلعب دور الوسيط في الإنتاج الثقافي وليس دور المنتج "[2].

1 . ب . المساهمات الأندلسية في حركة التفسير بالمغرب الأوسط : ما إن وطئت أقدام أعلام الأندلس بلاد المغرب الأوسط، حتى شرعوا في بثّ ما لديهم من علوم ومعارف، ومنها علم التفسير الذي اشتهروا به وتنوعّت مدارسه عندهم، وأظهروا فيه براعتهم، ولا أدلّ على ذلك من احتلال ما ألَّفوا فيه إلى اليوم محلّ الصدارة مثل : أحكام القرآن لأبي بكر بن العربي، والمحرّر الوجيز لابن عطية،، وأحكام القرآن للقرطبي والبحر المحيط لأبي حيان، والتسهيل لابن جزيّ الكلبي، فانتشرت مجالس وحلق التفسير بمساجد تلمسان وبجاية، ففي مدارس تلمسان الخمس المشهورة كان التفسير حاضرا في مقرّراتها الدراسية، بل على رأسها فأوّل ما افتتح به أبو عبد الله الشريف التعليم بالمدرسة درس التفسير [3]، وأشار القلصادي في رحلته عند ترجمته لشيخه ابن زاغو المغراوي[4] إلى ذلك بقوله : " ولازمته مع الجماعة في

---

[1] ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، ج 6 ، ص 438

[2] سعد الله : تاريخ الجزائر الثقافي ، ج 1 ، ص 47

[3] يحي ابن خلدون :بغية الرواد في ذكر ملوك بني عبد الواد ، ت : بوزياني الدراجي ، ط 1(2007م)، دار الأمل للدراسات والنشر والتوزيع ، الجزائر ، ج2 ص 136 . البقاعي : إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر ، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ، دط ، دت ، دار الكتاب الإسلامي ، القاهرة ، ص 180

[4] هو محمد بن أحمد بن عبد الرحمن بن زاغو التلمساني ، الفقيه المالكي المشارك في كثير من العلوم ، أخذ عن سعيد العقباني وأبي يحي الشريف ، له تفسير الفاتحة في غاية الحسن كثير الفوائد ومقدمة في التفسير ، توفي بتلمسان بعد عودته من الحج سنة 849هـ .
ينظر : التنبكتي : نيل الابتهاج ، ص 118 . ابن مخلوف : شجرة النور ، ص 366. نويهض : معجم أعلام الجزائر : ج1 ، ص 157

المدرسة اليعقوبية للتفسير والحديث والفقه والأصول شتاء والعربية والبيان والحساب والفرائض والهندسة صيفا وفي الخميس والجمعة لقراءة التصوف وتصحيح تأليفه "[1]، وعند ذكره للشيخ محمد بن النجار[2] قال : "وحضرت عليه بعض تفسير الكتاب العزيز "[3]، وهي شهادة لها مغزاها وهو أنّ درس التفسير كان حاضرا وكان متاحا للجميع، وقد كانت حلقات تدريس التفسير فيها تعتمد بالخصوص على المؤلّفات الأندلسية لاسيما تفسير ابن عطية الذي ذاع صيته في المشرق والمغرب بشهادة ابن خلدون : " وجاء أبو محمد بن عطية من المتأخّرين بالمغرب، فلخّص تلك التفاسير كلّها، وتحرّى ما هو أقرب إلى الصحّة منها، ووضع ذلك في كتاب متداول بين أهل المغرب والأندلس حسن المنحى "[4]، وذكر الغبريني في برنامج مشيخته أنه قد حدّثه به غير واحد عن أبي بكر بن محرز عن أبي محمد عبيد الله عنه [5]، وذلك لأنّ تفسير ابن عطية يمثّل أهل السنّة، ويلخّص ما تناثر عند المفسّرين القدامى في تفاسيرهم المختلفة.

ومن كتب التفسير التي كانت متداولة حسب إشارات بعض كتب التراجم : الكشاف للزمخشري[6] الذي اشتغل عليه أهل المغرب ونقّحوه وخلّصوه من الإعتزاليات، وتفسير الفخر الرازي الذي وجد صدى كبيرا عند أهل الأندلس والمغرب لكون صاحبه أشعريا، وله باع في علم الكلام، نلمس ذلك في كثرة النقل عنه.

---

[1] القلصادي : أبو الحسن علي الأندلسي ، رحلة القلصادي ، د.ت : محمد أبو الأجفان ، دط ، الشركة التونسية للتوزيع ، تونس سنة 1978، ص 104 . ابن مريم : البستان ، ص 43

[2] هو أبو عبد الله محمد بن أحمد بن النجار التلمساني الفقيه الأصولي نادرة الأعصار تتلمذ على الآبلي والمقري وسمع منه القلصادي في رحلته له مشاركة في العلوم النقلية والعقلية ، هلك بالطاعون سنة 749هـ ينظر : التنبكتي : نيل الابتهاج ، ص 525. تعريف الخلف ج 2 ، ص 562 . ابن خلدون : عبد الرحمن ، التعريف بابن خلدون ورحلته غربا وشرقا ، دط سنة 1979م ، دار الكتاب اللبناني ، ص 48

[3] المرجع السابق : ص 102

[4] ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، ج 1 ، ص 555

[5] الغبريني : عنوان الدراية ، ص 363

[6] المصدر نفسه : ص 364

2 . ب . أعلام التفسير الأندلسيون بالمغرب الأوسط : وطئ المغرب الأوسط (بجاية وتلمسان) عدد من أعلام التفسير الأندلسيين ذوي مشاركات واسعة في الدرس التفسيري نذكر بعضهم مع الإشارة إلى ما يدلّ على اهتمامهم بالتفسير واشتغالهم به :

. أبو عثمان سعيد بن علي بن محمد بن عبد الرحمن بن زاهر البلنسي (ت 654هـ) : من أهل إشبيلية قال عنه الغبريني : " لم يكن له عمل ولا حرفة ولا خلطة للناس سوى الاشتغال بإقراء القرآن رواية وتفهيما وبسطا وتعليما "[1].

. أبو العيش بن عبد الرحيم الخزرجي (ق 7): إشبيلي الأصل " وكان رحمه الله أديبا بارع الكتابة، شاعرا مجيدا، رائق الخط، ذا مشاركات في فنون العلم، مؤلفا متقنا، فسّر الكتاب العزيز..."[2].

. أبو اسحاق ابراهيم بن يسول الاشبيلي : " نزل تلمسان ومات بها، أخذ القراءات عن شريح بن محمد بن شريح الرعيني، وأقرأ القرآن بتلمسان محتسبا لله دون أجرة عليه..."[3].

ـ ابن عصفور الإشبيلي (ت 670هـ)[4] : الذي ذكر الغبريني أنّه كان قد أخذ في تفسير القرآن الكريم فقال : " وأخبرني بعض أصحابنا أنّه شرح جزءا من كتاب الله العزيز، وسلك فيه مسلكا لم يُسبق إليه من الإيراد والإصدار والأعذار، بما يتعلّق بالألفاظ ثمّ بالمعاني ثمّ بإيراد الأسئلة الأدبية على أنحاء مستحسنة "[5]، وهو ممن أخذ عنه الغبريني تفسير الكشف والبيان عن تفسير القرآن لأبي إسحاق الثعلبي عن طريق المقرئ أبي العباس أحمد بن محمد بن خضر الصدفي الشاطبي [6].

---

[1] الغبريني : عنوان الدراية ، ص 290

[2] يحيى ابن خدون : بغية الرواد ، ج 1 ، ص 139

[3] ابن الزيات : أبو يعقوب يوسف بن يحيى التادلي ، التشوف إلى رجال التصوف ، ت : احمد التوفيق ، ط 2 (1997م) ص 294

[4] هو أبو الحسن علي بن موسى الحضرمي الإشبيلي المعروف بابن عصفور الفقيه النحوي رحل من العدوة واستوطن بجاية ثم تونس وتوفي بها سنة 670هـ . ينظر : الغبريني : عنوان الدراية ، ص 318. 319. ابن مخلوف : شجرة النور ، ص 282

[5] الغبريني : عنوان الدراية ، ص 318

[6] المصدر نفسه : ص 360

وأشار صاحب نفح الطيب إلى شيء من كلامه في التفسير بقوله : قال الشاطبي :" كان ابن الفخار يأمرنا بالوقف على قوله تعالى من سورة البقرة :﴿ قَالُواْ ٱلْـَٰٔنَ ﴾ [البقرة : 70] ونبتدئ : جئت بالحقّ، وكان يفسّر لنا معنى ذلك قولهم : الآن أي : فهمنا وحصل البيان، ثمّ قيل : جئت بالحقّ، بعني : في كلّ مرة، وكان رحمه الله يرى هذا الوجه أولى من تفسير ابن عصفور له من أنّه على حذف الصفة، أي : بالحقّ البيّن "[1].

. **أبو إسحاق بن إبراهيم بن حكم السلوي (ت 737هـ)**[2] : من شيوخ المقرّي الجدّ، وقد كان بارعا في التفسير خاصّة ما يتعلّق بالبلاغة والأسلوب، ورد في نفح الطيب أنّه سئل عن تكرار . من . في قوله تعالى : ﴿ سَوَآءٌ مِّنكُم مَّنْ أَسَرَّ ٱلْقَوْلَ وَمَن جَهَرَ بِهِۦ ﴾ [الرعد : 11] دون ما بعدها فقال : لولا تكرُّرها أوّلا لتوهم التضاد بتوهم اتحاد الزمان، فارتفع بتكرار الموضوع، أمّا الآخِر فقد تكرّر الزمان، فارتفع توهّم التضاد، فلم يحتج إلى زائد على ذلك.[3]

. أبو عبد الله الشوذي الإشبيلي المعروف بالحلوي (ت 611 هـ)[4] : ذكر صاحب البستان أنّ الإمام أبا إسحاق إبراهيم بن يوسف بن محمد بن دهاق الأوسي المعروف بابن المرأة [5] أنّه قرأ عليه القرآن فقال : " فقرأت بسم الله الرحمن الرحيم فتكلّم في فضلها عشرة أيام "[6] .

. أبو عبد الله محمد بن أبي العيش الخزرجي (ت 780هـ)[1] : ذكر التنبكتي أنّ له تفسيرا للقرآن الكريم [2]، ونقل الونشريسي في فتاويه نماذج من كلامه في التفسير منها : جوابه عن معنى قوله تعالى :﴿

---

[1] المقري : نفح الطيب ، ج 5 ، ص 382

[2] هو أبو إسحاق إبراهيم بن حكم الكناني السلوي ورد على تلمسان وقتل بها سنة 737 . ينظر : التنبكتي ، نيل الابتهاج ، ص 41 . المرجع السابق : ج 5 ، ص 224

[3] المقري : نفح الطيب ، ج 5 ، ص 227

[4] هو أبو عبد الله الشوذي الإشبيلي المشهور بالحلوي وفد على تلمسان واستقر بها وصفه يحي ابن خلدون بأنه من كبار العباد العارفين مات بتلمسان ودفن خارج باب علي . ينظر : يحي ابن خلدون ، بغية الرواد ، ج 1 ، ص 127 . 128

[5] هو أبو إسحاق ابراهيم بن يوسف بن محمد بن دهاق الأوسي المعروف بابن المرأة المتكلم الحافظ الفقيه الصوفي المفسر ، وفد إلى تلمسان وبها درس على الحلوي ثم رجع إلى مرسية ومات بها سنة 611هـ . ينظر : ابن الخطيب : محمد بن عبد الله بن سعيد الغرناطي الأندلسي ، الإحاطة في أخبار غرناطة ، ط1 (1424هـ) دار الكتب العلمية ، بيروت ، ج 1 ، ص 168 . ابن مريم : البستان .، ص 68 .

[6] ابن مريم : البستان ، ص 68 . 69

ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ﴾ [فاطر : 32] الذي منه قوله : "...، وكذلك الاصطفاء والفلاح فإنّه في المتّقي أولى، لكن لا يمنع من وقوعه على المقتصد والظالم، إن جعلنا الضمير في قوله تعالى : فمنهم ظالم لنفسه، يرجع إلى المصطفين وهو تفسير ابن عباس رضي الله عنه والجمهور..."[3].

. **أبو عبد الله محمد بن صالح بن أحمد الكناني (ت 699هـ)**[4]: وهو ممن سمع منه أبو حيان الأندلسي صاحب تفسير البحر المحيط لما نزل ببجاية [5]، وذكر الغبريني في برنامج مشيخته أنّة حدثه بكتاب " الكشاف عن حقائق التنزيل " الفقيه أبو عبد الله الكناني عن أبي الحسن بن السراج عن أبي عبيد الله السلفي عن المؤلف [6].

3 . ب . أثر الأندلسيين على التفسير بالمغرب الأوسط : وبهذه المساهمات اصطبغ التفسير بالمغرب الأوسط ببعض مميزات وخصائص المدرسة الأندلسية وأهمها :

. **الاهتمام بالقراءات** : اشتهر الأندلسيون بعنايتهم بالقرآن الكريم، ومزيد اهتمامهم برواياته وقراءاته، فالأندلس موطنٌ لكبار علماء هذا الفنّ،كمجاهد وأبي عمرو الداني صاحب كتاب التيسير، والشاطبي الذي اختصر ما ورد في التيسير من قواعد في قصيدته " بحر الأماني ووجه التهاني " مما سهّل

---

[1] هو أبو عبد الله محمد بن زيد عبد الرحيم بن محمد بن أبي العيش الخزرجي أصله من إشبيلية له ، الفقيه الأصولي من فقهاء تلمسان وعلمائها الأجلة له تفسير للقرآن الكريم وشرح لأسماء الله الحسنى في مجلدين وفتاوى في المعيار توفي بتلمسان قبل سنة 780هـ سنة وفاة يحي ابن خلدون . ينظر : التنبكتي ، نيل الابتهاج ، ص 579 ، ابن مريم : البستان ، ص 252. يحي ابن خلدون : بغية الرواد ، ج 1 ، ص 104

[2] التنبكتي : نيل الابتهاج ، ص 579

[3] الونشريسي : أبو العباس أحمد بن يحيى ، المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى أهل إفريقية والأندلس والمغرب ، (1401هـ . 1981م) ، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية ، المملكة المغربية ،ج 11 ، ص 310

[4] هو أبو عبد الله محمد بن صالح بن أحمد الكناني الشيخ الفقيه النحوي المقرئ الخطيب بالمسجد الأعظم ببجاية من أهل شاطبة رحل إلى العدوة واستوطن بجاية توفي سنة 699هـ ينظر : الغبريني ، عنوان الدراية : ص 79. ابن بشكوال : الصلة ، ج 3 ص 307

[5] أبو حيان : محمد بن يوسف بن علي بن يوسف ، تفسير البحر المحيط ، ت : محمد صدقي جميل ، دط (1420هـ) دار الفكر بيروت ، ج 1 ، ص 37

[6] الغبريني : عنوان الدراية ، ص 364

على أهل الأندلس والمغرب استيعاب فنّ القراءات، سجّل ابن خلدون هذا بقوله وهو يتكلّم على الشاطبية : "... فاستوعب فيها الفنّ استيعابا حسنا، وعني الناس بحفظها وتلقينها للولدان المتعلّمين، وجرى العمل على ذلك في أمصار المغرب والأندلس"[1].

ويكفي على هذا دليلا أنّه بتتبع كتب تراجم أعلام الأندلس ككتاب الصلة لابن بشكوال مثلا فمن النادر أن تجد علما لا صلة له بالقرآن رواية أو إقراء أو تفسيرا، وبهجرة البعض منهم لبلاد المغرب الأوسط أعطوا إضافة نوعية في هذا العلم ومنهم : أبو عثمان بن سعيد بن زاهر البلنسيي الذي نزل بجاية وتولى القضاء بها وصفه الغبريني بأنه : " لم يكن له عمل ولا حرفة ولا خلطة للناس سوى الاشتغال بإقراء القرآن رواية وتفهيما وبسطا وتعليما "[2]، وأبو العباس أحمد بن محمد الصدفي الشاطبي[3] صاحب الروايات الواسعة والمعرفة بالقراءات الذي استوطن بجاية وأقبل على تعليم الناس وعدّه الغبريني الأضبط والأتقن عنده [4].

وذكر العبدري في رحلته أنّه لقي ببجاية أبا عبد الله محمد بن صالح بن أحمد الكناني الشاطبي فكان من جملة ما قرأ عليه كتب القراءات فقال : "...وناولني سائره وبعض كتابي التيسير والمقنع لأبي عمرو الداني وناولنيهما وقرأت عليه جميع قصيدة الشيخ الفقيه أبي القاسم قاسم بن فيرة الرعيني الشاطبي في القراءات..."[5].

هذا التفوّق في القراءات عند الأندلسيين المهاجرين إلى المغرب الأوسط انعكس بصورة واضحة على تفسير القران الكريم، خاصّة ما يتعلّق منها باختلاف الأحكام نجد ذلك واضحا في كتب الفتاوى والنوازل ومنه : ما أورده الشريف التلمساني في كتابه مفتاح الوصول من إشارة إلى أنّ من أسباب الاختلاف في الأحكام اختلاف القراءات، فمثلا عند ذكره لحكم الصيام في كفارة اليمين قال :

---

[1] ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، ج 1 ، ص 553

[2] المصدر السابق : ص 290

[3] هو أبو العباس أحمد بن محمد الصدفي الشاطبي نزيل بجاية ، الفقيه المقرئ المحصل الرواية توفي سنة 574. ينظر : الغبريني : عنوان الدراية : ص 85

[4] الغبريني : عنوان الدراية ، 85 86

[5] العبدري : محمد البلنسي ، الرحلة المغربية ، تقديم سعد بوفلاقة ، ط1(1428هـ. 2007م) ، منشورات بونة للبحوث والدراسات ، بونة ، الجزائر ، ص51

استدلال الحنفية على أنّ المكفّر إذا حنث فصيام ثلاثة أيام من شرطه أن تكون متتابعة، فإن فرقها لم تجزه لقراءة ابن مسعود : فصيام ثلاثة أيام متتابعات... وكذلك احتجت الحنفية على أنّ الفيئة في الإيلاء إنما محلُّها الأربعة الأشهر لا بعدها بقراءة أبي بن كعب :﴿ فَإِن فَآءُو فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [البقرة : 224] "[1].

وفي المعيار لما أجاب ابن مرزوق [2] على مسألة ثبوت الشرف من جهة الأمّ ذكر قوله تعالى :﴿ فَهَبْ لِى مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا ۝ يَرِثُنِى ﴾ [مريم : 04] قال : الوليّ في الآية مطلق لا عامّ هذا في قراءة جزم يرثْ... وأمّا على قراءة الرفع في يرثُ فالتخصيص ظاهر، إذ الجملة صفة لوليّ [3]، غير أنّه لم ينسبها لأصحابها حيث قرأ أبو عمرو والكسائي... بالجزم، وقرأ الباقون بالرفع "[4] .

ويذكر ابن خلدون تفوّق شيخه أبي العباس أحمد الزواوي في القراءات بقوله : " الشيخ أبو العباس أحمد الزواوي إمام المقرئين بالمغرب، قرأت عليه القرآن العظيم بالجمع الكبير بين القراءات السبع، من طريق أبي عمرو الداني وابن شريح، في ختمة لم أكملها... "[5].

وسيظهر الاهتمام بالقراءات وتوجيهها جليا بعد ذلك في تفسير الثعالبي في القرن التاسع الهجري.

. التطرق للأحكام الفقهية : التزم رجال المدرسة الأندلسية في تفاسيرهم المذهب المالكي، وقرّروا قواعده وبسطوا أصوله ونشروا فروعه، ويظهر ذلك جليا في أحكام القرآن لابن العربي الذي اعتنى في تفسيره بآيات الأحكام يذكر السورة ويعدّد آيات الأحكام فيها، ثمّ يأخذ في شرحها آية آية معدّدا

---

[1] الشريف التلمساني : أبو عبد الله محمد بن أحمد ، مفتاح الوصول إلى بناء الفروع على الأصول ، ت : محمد على فركوس ، ط1 (1419هـ . 1998م) مؤسسة الريان للطباعة والنشر والتوزيع ، ص 304 . 305

[2] هو أبو عبد الله محمد بن أحمد بن محمد بن محمد بن أبي بكر ابن مرزوق العجيسي التلمساني المشارك في الفنون من أصول وفروع وتفسير ولد بتلمسان سنة 711هـ رحل مع أبيه إلى المشرق وحج وجاور ثم رجع إلى المغرب فولاه السلطان أبي الحسن الخطابة ثم اجتذبه سلطان الأندلس فقلده الخطبة بمسجده توفي بعد 781هـ . ينظر : ابن فرحون : الديباج المذهب ، ج 2 ، ص 290 . ابن حجر : الدرر الكامنة : ج 5 ص 93 . ابن الخطيب : الإحاطة ، ج 3 ، ص 75

[3] الونشريسي : المعيار ، ج 12 ص 201

[4] النيسابوري : أبو بكر أحمد بن الحسين بن مهران ، المبسوط في القراءات العشر ، ت : سبيع حمزة حاكيمي ، دط 1981م مجمع اللغة العربية ، دمشق ، ج 1 ، ص 287

[5] ابن خلدون : التعريف ، ص 21

المسائل في كلّ آية، مفصّلا لأحكام كلّ مسألة، وكذا تفسير القرطبي الذي اهتمّ ببيان آيات الأحكام، فأورد لكلّ آية ما تتضمّنه من أحكام، فإن لم يجد فيها حكما فسّرها إجمالا وسمّاه : الجامع لأحكام القرآن، وبتتبّع كتب الفتاوى والنوازل خاّصة المعيار والدرر المكنونة نجد كثيرا ما يتضمّن الجواب نقل كلام ابن العربي والقرطبي في المسائل المستفتى فيها، وبهذه المؤلّفات تأثّر أعلام المغرب الأوسط وزادت نزعة استنباط المسائل والأحكام الفقهية من الآيات القرآنية في درسهم التفسيري، وضمن أجوبتهم وفتاويهم من ذلك :

. ما جاء في نوازل المازوني أنّ أبا عبد الله محمد بن مرزوق ذكر قوله تعالى :﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُ ٱلْمَيْتَةُ وَالدَّمُ﴾ [المائدة : 04] فقال : حرّم الله الدّم في هذه الآية جملة من غير تقييد، وقيّد ذلك في سورة الأنعام فقال :﴿ اَوْ دَماً مَّسْفُوحاً ﴾ [الأنعام : 146] فوجب ردّ المطلق إلى المقيّد... وقد جاء عن عائشة أنها قالت : لولا قول الله : أو دما مسفوحا لأتبع ما في العروق..."[1].

. وجاء في المعيار أيضا أنّ ابن مرزوق ذكر عند استدلاله على ثبوت الشرف من جهة الأمّ قوله تعالى :﴿ قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً اِلاَّ ٱلْمَوَدَّةَ فِے اِ۬لْقُرْبِيٰ ﴾ [الشورى : 21] فقال : " روي أن المشركين اجتمعوا فقال بعضهم : أترون محمدا يسأل على ما يتعاطاه أجرا ؟ فنزلت، والمعنى : قل لا أسألكم على القرآن والنبوءة التي أتينا بها أجرا إلّا أن تودّوا أهل قرابتي، ولا تودّوهم على احتمال هذا الاستثناء الاتصال والانقطاع يضيق محلّ الاستيفاء على بيانه، وبيان كثير من المهمّات التي لا تليق إلّا بالتأليف، وكفى بتعظيمهم شرفا أن جعله الله أجرا للإسلام والهدى والقرآن، فما أرفعها درجة وأعظمها منزلة، أماتنا الله على حبّ آل محمّد وحشرنا في زمرتهم بمنّه وفضله، وقد ورد في تفسير الآية غير هذا مما يطول ذكره "[2].

[1] بركات إسماعيل : الدرر المكنونة في نوازل مازونة (دراسة وتحقيق) ، مذكرة ماجستير في التاريخ الإسلامي الوسيط ، جامعة منتوري ، قسنطينة ، ص 242

[2] الونشريسي : المعيار ، ج 12 ، ص 204

أبو علي الحسن بن عطية الونشريسي ت 788هـ [1] : ففي رسالته : " رفع النزاع بين المتشاجرين في أجر الرضاع " يظهر جليا التأثر بالمدرسة الأندلسية في تفاسير آيات الأحكام حيث نجد أبا علي يذكر الآية، ثم يجعل تحتها مسائل مستنبطة منها، مع الاستدلال عليها بالسنّة وأقوال الصحابة والتابعين، ونقل كلام المفسّرين خاصّة ابن العربي.

. العناية بعلوم البلاغة : مما يلفت المتتبع لأعلام التفسير في القرن السابع والثامن الهجريين العناية الفائقة بعلوم البلاغة، من معاني وبيان وبديع، ويتّضح الأمر إذا علمنا أنّ إبنا الإمام كانا قد لقيا في رحلتهما إلى المشرق الخطيب القزويني وحضرا دروسه وحملا عنه مصنفيه البلاغيين : متن التلخيص وكتاب الإيضاح وكان تلميذهما الشريف التلمساني يدرّسهما بعد ذلك [2]، وقد أرجع ابن خلدون ظهور هذا النوع من التفسير إلى تطوّر علم اللّسان وتزايد الاهتمام بفنونه، حتى أصبح تعلُّمه صناعة فقال : " والّصنف الآخر من التفسير وهو ما يرجع إلى اللّسان من معرفة اللّغة والإعراب والبلاغة في تأدية المعنى بحسب المقاصد والأساليب،... وإنما جاء هذا بعد أن صار اللسان وعلومه صناعة "[3]. وأشهر تفسير عُرف بهذه الصناعة تفسير الزمخشري الذي ألّف الناس على منواله نقل المقرّي في نفح الطيب ذلك بقوله :" رأيت لبعض من ألّف على كتاب الكشاف للزمخشري فائدة لم أرها لغيره في قوله تعالى :﴿ وَالرَّٰسِخُونَ فِي ٱلْعِلْمِ ﴾ [آل عمران : 07] إذ الناس يختلفون في هذا الموضع اختلافا كثيرا، فقال قوم : الراسخون في العلم يعلمون تأويله والوقوف عند قوله : والراسخون في العلم، وقال قوم : أنّ الراسخون في العلم لا يعلمون تأويله، وإنما يوقف عند قوله : وما يعلم تأويله إلا الله، فقال هذا القائل : أنّ الآية من باب الجمع والتفريق والتقسيم من أنواع البيان، وذلك لأن قوله تعالى : " هو الذي نزل عليك الكتاب " جمع، وقوله : " منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات " تفريق، وقوله تعالى : " فأما الذين في قلوبهم زيغ... إلى قوله :" وابتغاء تأويله " أحد طرفي التقسيم، قال : وهذا مثل قوله تعالى : ﴿ وَإِنَّا مِنَّا ٱلْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا ٱلْقَٰسِطُونَ ﴾ [الجن : 14] فقوله : وإنّا جمع، وقوله : " منّا

---

[1] هو أبو علي الحسن بن عثمان بن عطية الونشريسي الإمام الفقيه الفرضي أصله من تجين بالمغرب الأوسط له فتاوى في المعيار توفي سنة 788هـ . ينظر : ابن مخلوف : شجرة النور ، ج1 ، ص 324 . نويهض : معجم أعلام الجزائر ، ص 345. الحفناوي : تعريف الخلف ،ج 2 ، ص 123

[2] عبد الله كنون : تاريخ الأدب العربي ، ج 10 ، ص 93

[3] ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، ج 1 ، ص 555

المسلمون ومنّا القاسطون " تفريق، وقوله : فمن اسلم...وأمّا القاسطون " تقسيم، وهو من بديع التفسير "[1].

ومنه ما أجاب به أبو يحيى ابن الشريف التلمساني[2] من سأله عن الحكمة من تقديم الّسمع على البصر في غالب التنزيل فأجاب بكلام طويل منه : " اعلم أنّ آيات الله ضربان : آيات متلوة، وآيات مجلوة، ومدرك الأولى السمع ومدرك الثانية البصر، والمقام ذو الآيات المتلوة يناسب ذكر السّمع،... والمقام ذو الآيات المجلوة يناسب ذكر البصر... وليس بواجب على الجملة أن يكون مع كلّ واحد من النوعين ما يناسبه، ولكّنه إذا ذكر فقد يكون ذلك لخصوصية ممكنة أخرى سوى مطلق المناسبة، وقد يكون لمطلق المناسبة، وإن لم يذكر فواضح، وإن ذكر مع أحدهما ما يناسب الآخر فذلك لأنها بلغت من الوضوح والجلاء ما كأنها تُرى عيانا، وفي المجلوّة يذكر معها السّمع لأنها بلغت من التحقيق ما كان لها لسانا تنادي به الإقبال عليها وحسن الإصغاء..."[3].

فالملاحظ أنّ في هذا الجواب بصمة بلاغية تمثّلت في مناسبة الكلام لمقتضى الحال فقد عرف البقاعي علم المناسبات بأنّه : " علم تُعرف منه علل ترتيب أجزائه وهو سرّ البلاغة "[4] .

. التعرض لأوجه الإعراب : فقد أورد المقري في نفح الطيب استدلال أبي موسى عمران بن موسى بن يوسف المشذالي [5] بقوله تعالى :﴿ أَلَمِّٓ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتۡرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا ﴾ [

---

[1] المقري : نفح الطيب ، ج 1 ، ص 269

[2] هو أبو يحيى عبد الرحمن بن محمد بن أحمد بن علي الحسني التلمساني الإمام المحقّق العالم بالتفسير آخر المفسرين من علماء الظاهر والباطن ، ومن أكابر فقهاء المالكية أخذ عن أبيه الشريف التلمساني وغيره ولد بتلمسان سنة 757هـ وتوفي بها سنة 826 ينظر : ابن مريم : البستان ، ص 127 . ابن مخلوف : شجرة النور ، ج 1، ص 362 . الحفناوي : تعريف الخلف ، ج2 ، ص 200

[3] الونشريسي : المعيار ، ج 12 ، ص 327

[4] البقاعي : نظم الدرر ، ج 1 ، ص 6

[5] هو أبو موسى بن عمران بن موسى بن يوسف المشذالي البجائي الأصل التلمساني الدار حافظ تلمسان ومدرسها ومفتيها ، أخذ عنه أبو عبد الله السلاوي والمقري والشريف التلمساني توفي بتلمسان سنة 745هـ . ينظر : ابن مرزوق : المسند الصحيح الحسن في مآثر ومحاسن مولانا أبي الحسن ، ت : ماريا خيسوس بيغيرا ، دط(1401هـ . 1981م)الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر ، ص 268 . المقري : نفح الطيب ، ج 7 ، ص 223 . الحفناوي : تعريف الخلف ، ج 1 ، ص 78

العنكبوت : 01] على جواز حذف المفعول وإقامة المصدر مقام المفعولين ويمكن أن يقوم مقامه ما في معناه من " **أن** " و" **أن** "[1].

بل من الأخبار ما يثبت تفوق أعلام الجزائر في اللغة والإعراب، ذكر صاحب نفح الطيب أنّ ابن مرزوق الحفيد لما دخل جامع الزيتونة وجد الإمام ابن عرفة يفسّر قوله تعالى :﴿ وَمَنْ يَّعْشُ عَن ذِكْرِ اِلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰناً فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ ﴾ [الزخرف : 25] مستشكلا قائلا : قرئ : ومن يعشو بالرفع، ونقيض بالجزم، ووجّهها أبو حيان بكلام لم أفهمه والظاهر أن في النسخة تحريفا، وذكر كلامه، فشرح له وجهة ذلك صاحب الترجمة واستشهد لذلك [2]، وفي شجرة النور : قال له يا سيدي : معنى ما ذكر أنّ جزم نقيض بمن الموصولة لشبهها بالشرطية مما تضمنته من معنى الشرط، وإذا كانوا يعاملون الموصول الذي لا يشبه لفظه الشرط بذلك، فما يشبه لفظه لفظ الشرط أولى بتلك المعاملة، فوافق رحمه الله وفرح وكان الإنصاف طبعه، وأنكر علي ذلك جماعة من أهل المجلس وطلبوا مني إثبات معاملة الموصول معاملة الشرط بنصّ من إمام أو شاهد من كلام العرب، قال :و كنت قريب عهد بحفظ التسهيل، فقلت قال ابن مالك :... وقد يجزمه متسبب عن صلة الذي تشبيها بجواب الشرط، وأمّا الشاهد فقوله :

فَلا تَحْفِرَنَّ بِئْراً تُرِيدُ بها أَخَا   فإِنّكَ فيها أنتَ مِن دُونِه تَقَعْ
كذاكَ الذي يَبغِي على النّاسِ ظالما   تُصِبْهُ على رُغْمٍ عَواقِبُ ما صَنَعْ

فجاء الشاهد موافقا للحال "[3].

---

[1] المقري : نفح الطيب ، ج 5 ، ص 224
[2] المرجع نفسه : ج 5 ، ص 431
[3] ابن مخلوف : شجرة النور الزكية ، ج 1 ، ص 364

ثانيا : مجالس التفسير وفضاءاته خلال القرنين السابع والثامن

كان الكلام في التفسير في هذه المرحلة حاضرا في الفضاءات العلمية الواسعة وفي مختلف مجالات التدريس المنتشرة آنذاك فنجده في مجالس السلاطين، وفي نقاشات العلماء والطلبة، وضمن الأجوبة على الفتاوى والنوازل، ونجده في مجالس الوعظ للعامة، مثلما نجده في الدرس التفسيري المتخصِّص.

أ . التفسير بمجالس السلاطين :كان التفسير حاضرا في مجالس الملوك والسلاطين، بل منهم من كان يشرف على هذه المجالس العلمية بنفسه، يحدّثنا ابن مريم عن ذلك فيقول : " وروي أنّ علماء تلمسان توافقوا على قراءة التفسير فقدموا سيدي محمد بن العباس[1] يقرئ، فطالع ما في التعوّذ وما في البسملة والفاتحة وفسّرها الشيخ، ثمّ إنّ القارئ قرأ :﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحاً مُّبِيناً ﴾ [الفتح : 01]، خلاف ما طالع فعسر عليه الأمر لأنّ الفقهاء أرادوا أن يفضحوه، لأنّ هذه القراءة بين يدي السلطان، ثم إنّ سيدي أحمد وقف بين يدي الشيخ وقال له يا سيدي : إنّا محلّها من الإعراب محلٌّ خال... فلما فُتح له الطريق صار من الضحى وهو يفسّر إنا فتحنا إلى الزوال "[2].

وسجّل التنسي حضور السلطان أبي حمو مجالس التفسير فقال : "... وطوّل الله مدته حتى ختم السيد أبو عبد الله الشريف تفسير القرآن العزيز فيها (المدرسة) فاحتفل أيضا لحضور ذلك الختم وأطعم فيه الناس وكان موسما عظيما "[3].

كما ذكر ذلك صاحب البستان : "... قرأ القرآن في خمس وعشرين سنة فأتى فيه بالعجب العجاب ومجلسه عظيم هائل يحضره أكابر الملوك والعلماء والصلحاء وصدور الطلبة ومشيخة زمانه لا يتخلّف منهم أحد "[4]، لكن لم يصلنا شيء من تفسيره.

---

[1] هو محمد بن العباس بن محمد بن عيسى العبادي الإمام العلامة المحقق أخذ عن ابن مرزوق الحفيد وقاسم العقباني وابن زكري له مؤلفات وفتاوى في المازونية والمعيار توفي سنة 871هـ . ينظر : التنبكتي : نيل الابتهاج ، ص 547. نويهض : معجم أعلام الجزائر ، ص 77

[2] ابن مريم : البستان ، ص 40

[3] التنسي : محمد بن عبد الله التنسي ، تاريخ بني زيان ملوك تلمسان ، ت : محمود آغا بوعياد ، دط ، سنة 2011م ، موفم للنشر ، الجزائر ، ص 180

[4] المرجع السابق : ص 172

قال الشيخ أبو يحيى المطغري : لما اجتمع العلماء عند أبي عنان أمر الفقيه العالم المقري بإقراء التفسير فامتنع منه وقال : الشريف أبو عبد الله أولى مني بذلك، فقال له السلطان : تعلم أنت علوم القرآن وأهل لتفسيره فاقرأه، قال له : إنّ أبا عبد الله أعلم بذلك مني فلا يسعني الإقراء بحضرته، فعجبوا من إنصافه، ففسّر أبو عبد الله بحضرة العلماء كافة في دار السلطان "[1].

وذكر التنبكتي في ترجمة السنوسي أنه :" لما وصل في تفسيره سورة الإخلاص وعزم على قراءتها يوما والمعوذتين يوما، سمع به الوزير وأراد حضور الختم فبلغه ذلك فقرأ السور الثلاثة يوما واحدا خيفة حضوره عنده، وطلبه السلطان أن يطلع إليه ويقرأ التفسير بحضرته على عادة المفسرين فامتنع..."[2].

كلّها نصوص تثبت أنّ السلاطين والأمراء ساهموا في تأسيس تقليد علمي يتمثل في الإشراف على المجالس العلمية وحضورها شخصيا، ومنها مجلس التفسير، مما أعطى لهذه المجالس صفة الرسمية وبالتالي حافظت على استمراريتها حتى يختم القرآن الكريم تفسيرا كما رأينا مع السلطان أبي حمو والشريف التلمساني.

ب . التفسير الوعظي بالمساجد : وهي عبارة عن دروس تطوّعية تُلقى على العامّة، لا تخلو في الغالب من شرح بسيط لبعض الآيات القرآنية، تراعى فيها القدرة العقلية للناس وطاقتهم الاستيعابية وأحوالهم الاجتماعية وظروفهم النفسية، يدور موضوع التفسير فيها حول الخوف والمراقبة وذكر الموت وأهوال الآخرة والجنة ونعيمها والنار وجحيمها، ذكر الطاهر بونابي في كتابه التصوف في الجزائر : أنّ أبا إسحاق إبراهيم التنسي[3]، كان يجلس لتدريس التفسير والحديث بمسجد القيسارية بتلمسان فكان الناس يتهافتون لسماع دروسه فيمتلئ المسجد وتكتظّ الشوارع المتصلة به بالسامعين [4].

---

[1] التنبكتي : نيل الابتهاج ، ص 435

[2] المرجع نفسه : ص 563

[3] هو أبو إسحاق ابراهيم بن يخلف بن عبد السلام التنسي المطماطي العالم الفقيه المفتي أخذ عن الناصر المشذالي والإمام القرافي ، استوطن تلمسان ودرس بها وانتفع به خلق لا يحصون وتوفي بها سنة 680 . ينظر : ابن مريم : البستان ، ص 66 . التنبكتي : نيل الابتهاج ، ص 38 . ابن مخلوف : شجرة النور ، ج 1 ، ص 313

[4] الطاهر بونابي : التصوف في الجزائر خلال القرنين السادس والسابع الهجريين ، ص 235

ونجد في بجاية أبو تمام الواعظ الوهراني[1] الذي قال عنه الغبريني أنّه : اشتغل بعلم التذكير واستدعى الخلق لباب الله تعالى، وكان له مجلس يروق الحاضرين ويسرُّ الناظرين، وكان جلوسه بالجامع الأعظم شرّفه الله بذكره، وكان يوجد لكلامه بالنفس أثر، وكان الغالب عليه الخوف، وكذلك كان مجلسه إنما هو التخويف،..." [2] ولم يحفظ لنا من كلامه في الوعظ شيء لكن لا شكّ أنّ هذا الوعظ لا يخلو من تفسير بسيط لآيات الترغيب والترهيب والجنة والنار.

ج . **المناقشات التفسيرية** : عرف التفسير في الجزائر ما يعرف بالنقاش العلمي الذي يوضع فيه التلميذ أو المتعلّم في وضعية الحوار وتبادل الرأي مع شيخه، وقد أرجع البعض الفضل في استحداث هذه الطريقة إلى ابني الإمام وعمران المشذالي حيث نقلوها من إفريقية إلى تلمسان[3]، نجد ذلك واضحا من خلال ما أطلعتنا عليه بعض التراجم، من ذلك ما ذكره ابن مريم عند ترجمة الشريف التلمساني : "أنّ خاله عبد الكريم كان يحمله معه إلى مجالس العلم لما بدت له مخايل النجابة فيه، فحمله مرة إلى مجلس العالم أبي زيد ابن الإمام وكان يفسّر القرآن فذكر الجنة ونعيمها فقال له أبو عبد الله وهو صبي : يا سيدي هل يقرأ فيها العلم ؟ فقال له الشيخ : نعم فيها ما تشتهيه الأنفس وتلذّ الأعين، فقال أبو عبد الله : لو قلت لي لا علم فيها لقلت لك لا لذّة فيها فاستحسنه "[4].

ومن ذلك تناول بعض التفسير من خلال ما يرد على العلماء من أسئلة واستفسارات من ذلك ما جاء في البستان على لسان المقري أنه سئل عن سبب سوء حظ المسلمين في ملوكهم قال : " فأجبته بأنّ ذلك لأن الملك ليس في شريعتنا وذلك أنّه كان فيمن كان قبلنا شرعا قال الله تعالى مثنيا على بني إسرائيل :﴿ وَجَعَلَكُم مُّلُوكاً ﴾ [المائدة : 22] ولم يقل ذلك في هذه الأمة بل جعل لهم خلافة قال الله تعالى : ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي

[1] هو أبو تمام الواعظ الفقيه العابد الصالح من أهل وهران ، سكن بجاية واشتغل بها بعلم التذكير بالجامع الأعظم وهو من أهل القرن السابع الهجري . ينظر : الغبريني : عنوان الدراية ص 199

[2] الغبريني : عنوان الدراية : ص 199

[3] عبد العزيز فيلالي : تلمسان في العهد الزياني (دراسة عمرانية ، سياسية ، إجتماعية ، ثقافية) ، دط سنة 2002 موفم للنشر والتوزيع ، الجزائر ، ص 353

[4] ابن مريم : البستان ، ص 167

ﭐلاَرْضِ ﴾ [النور : 53] ﴿ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيٓـُٔهُمُۥٓ إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكاًۖ ﴾ [البقرة : 245] وقال سليمان :﴿ رَبِّ إِغْفِرْ لِے وَهَبْ لِے مُلْكاً ﴾ [ص : 34]، فجعلهم الله تعالى ملوكا ولم يجعل لنا في شرعنا إلّا الخلفاء..."[1].

وقد يستشكل عليهم ما في بعض كتب التفسير فيتناقشون فيه ويُبدي كلّ واحدٍ برأيه، من ذلك ما استشكله بعض الطلبة من كلام في تفسير سورة الفاتحة من كتاب فخر الدين وهذا نصّه : " ثبت في بعض العلوم العقلية أنّ المركب مثل البسيط في الجنس، والبسيط مثل المركب في الفصل، وأنّ الجنس أقوى من الفصل، فأخبروا بذلك الشيخ الآبلي[2] لما رجعوا إليه فاستشكله ثمّ تأمّله فقال : فهمته وهو كلام مصحَّف، وأصله أنّ المركّب قبل البسيط في الحسّ، والبسيط قبل المركّب في العقل، وأنّ الحسّ أقوى من العقل "[3].

ويؤكّد يحيى المازوني في إحدى مسائله وجود تدريس التفسير عن طريق النقاش والحوار فيقول : " وسئل الإمام سيدي أبو الفضل العقباني[4] عما أورده بعض الفضلاء على مدرس في مجلس تدريسه، قال المدرس في قوله تعالى : ﴿سَنَسِمُهُۥ عَلَى ٱلْخُرْطُومِ ﴾ [ن : 16] الخرطوم : الأنف، وخصّ بالسمة لأنّه أشرف أعضاء الوجه، فقال المعترض : لو كان الأمر كذلك للزم إذا سجد عليه دون الجبهة أجزأه، وليس الأمر كذلك، فسلّم المدرس الإيراد ورآه لازما " فأجاب : الجواب عندي في الآية الكريمة : أنّه إنما عدل عن ذكر الأنف إلى ذكر الخرطوم، مع كون الخرطوم لا يطلق لفظه على الإنسان لغة، إنما هو إخراج للموسوم عن الحقيقة الإنسانية ﴿ إِنْ هُمُۥٓ إِلاَّ كَالاَنْعَٰمِۖ بَلْ هُمُۥٓ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴾ [الفرقان

[1] ابن مريم : البستان ، ص 161

[2] هو أبو عبد الله محمد بن إبراهيم بن أحمد العبدري التلمساني المشتهر بالآبلي أصله من الأندلس من مدينة آبلة ، شيخ العلوم العقلية والنقلية في عصره وأحد أساتذة ابن خلدون ولسان الدين ابن الخطيب والشريف التلمساني وابن مرزوق الجد والعقباني توفي بفاس سنة 757م ينظر : ابن خلدون ، التعريف ، ص 21 وما بعدها. ابن مريم : البستان ، ص 214وما بعدها

[3] ابن مريم : البستان ، ص 216. التنبكتي : نيل الابتهاج ، ص 413

[4] هو أبو الفضل قاسم بن سعيد بن محمد بن محمد العقباني التلمساني المالكي ولد سنة 768هـ قرأ على والده وتولى خطة القضاء في صغره ، له تفسير لسورتي الأنعام والفتح توفي سنة 854هـ ينظر : السخاوي : شمس الدين محمد بن عبد الرحمن ، الضوء اللامع ، دط ، د سنة ، دار مكتبة الحياة ، بيروت ، ج 6 ، ص 181. ابن مريم : البستان ، ص 147. 148

: 44] وخصّ الأنف بالسمة تنبيها على أنّ الأنف في كلام العرب موضع الفخر، والكناية عن الحسب، قال الحطيئة :

قَوْمٌ هُمُ الأَنْفُ والأَذْنَابُ غَيْرُهُمْ ومَنْ يُسَوِّي بأَنْفِ النّاقَةِ الذّنَبا

وقول من قال : شمّ الأنوف من الطراز الأول وهو أكثر من أن يذكر "[1].

والهدف من إثارة هذه المناقشات هو تحفيز الطالب واستنهاض همته في هذا الشأن، ذكر صاحب نفح الطيب أنّ أبا زيد ابن الإمام[2] أخبرهم أنه سئل بالمشرق عن هاتين الشرطيتين ﴿ وَلَوْ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمْ خَيْراً لَّأَسْمَعَهُمْ وَلَوَ اَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّواْ وَّهُم مُّعْرِضُونَ ﴾ [الأنفال : 23]، فإنهما تستلزمان بحكم الإنتاج لو علم الله فيهم خيرا لتولّوا وهو محال، ثمّ أراد أن يرى ما عند الحاضرين، فقال ابن الحكم : قال ابن الخونجي : والإهمال بإطلاق لفظ . **أو** . و . **إن** . في المتصلة، فهاتان القضيتان على هذا مهملتان، والمهملة في قوة الجزئية ولا قياس على جزئيتين [3]

د . التفسير المتضمن في الفتاوى الفقهية : ضمّن كثير من الأعلام أجوبتهم أقوالا في التفسير، إمّا تدليلا على كلامهم، أو رغبة في إفادة المستفتي والحضور من الطلبة من ذلك :

ما ضمّنه ابن مرزوق في جوابه مستدلا على ثبوت الشرف من جهة الأمّ بقوله تعالى :﴿ وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَـٰنَ ﴾ [الأنعام : 85] إلى قوله : وعيسى حيث قال : " فأخبر سبحانه وتعالى عن عيسى أنّه من ذرية نوح أو إبراهيم على اختلاف المفسّرين في ضمير ذريته على من يعود منهما، وعلى كلّ تقدير فليس بابن ابن أحدهما، بل ابن بنت، إذ لا أب له "[4].

---

[1] الونشريسي : المعيار ، ج 1 ، ص 181 . 182

[2] هو أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله بن الإمام التنسي ، شيخ المالكية بتلمسان توفي سنة 741هـ ، الحفناوي : تعريف الخلف ، ج 2 ، ص 201

[3] المقري : نفح الطيب ، ج 5 ، ص 225

[4] الونشريسي : المعيار ، ج 12 ، ص 195

وفي نفس المسألة استدل بقوله تعالى :﴿ وَلاَ يَاتَلِ اُوْلُواْ اْلْفَضْلِ مِنكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُّوتُوٓاْ اُوْلِے اِ۬لْقُرْبِىٰ ﴾ [النور : 22] على أنّ ابن الخالة من القرابة، وأنّها لما نزلت أعاد أبو بكر النفقة إلى مسطح بن أثاثة وهو ابن خالته، وقد كان حلف ألا ينفق عليه لما خاض فيه من الإفك، وقال رضي الله عنه : بل أحب أن يغفر الله لي "[1].

وفيها أيضا نجد جواب أبي علي منصور بن أحمد المشدالي[2] نزيل بجاية (ت731هـ)، والذي تضمّن جملة من الأقوال في التفسير، منها ما يعتمد على سبب النزول كقوله :" استدلال من استدل بقوله تعالى :﴿ اَ۟دْعُوهُمْ ءَلِابَآئِهِمْ ﴾ [الأحزاب : 05] لا يصحّ، لأنّ سبب نزول الآية معلوم، وذلك أنّهم كانوا يتوارثون بالتبنّي في أوّل الإسلام، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم تبنَّى زيدا وطاف به على حِلق قريش أشهدهم أنّه ابنه وارثا وموروثا، فأنزل الله الآية فنُسخ حكم التبنّي، ومنع من إطلاق لفظ التبنّي لكن على سبيل الحقيقة، لا على سبيل المجاز، ومنها ما يعتمد على الأثر كقوله : يجوز أن يقول الانسان لابن غيره على سبيل المحبة والوداد : أنت ابني أو ابني هذا، ولذلك ثبت أنّه عليه الصلاة والسلام قال في الحسن : " إنّ ابني هذا سيّد " الحديث [3]، ومنها ما يعتمد على اللّغة كقوله : فإن قيل : قوله تعالى :﴿ اَ۟دْعُوهُمْ ءَلِابَآئِهِمْ ﴾ [الأحزاب : 05] معناه : انسبوهم لأنّه عدّى ذلك باللام، ولو كان المعنى نادوهم تعدّي بالباء، فمفهوم الآية : لا تنسبوهم لغير آبائهم، فالجواب :... أنّ مفهوم الآية : لا تنسبوهم كما كان أهل الجاهلية ينسبون "[4].

---

[1] الونشريسي : المعيار ، ج 12 ، ص 196

2 أبو علي منصور بن أحمد المشذالي الشيخ الفقيه المفسر المحصل المتقن رحل إلى المشرق ولقي العز بن عبد السلام وابن السبكي ورحل إلى الأندلس ودرس بها ومن تلاميذه ابن الخطيب الذي قال عنه : وحلق للناس متكلّما على الفروع الفقهية والتفسير ثم استقر بتلمسان يقرئ ويدرس إلى أن توفي سنة 731هـ . ينظر : الغبريني : عنوان الدراية ، ص 229. نويهض : معجم أعلام الجزائر ، ص 166. ابن الخطيب : الإحاطة ، ج 3 ، ص 248

[3] صحيح البخاري : باب قول النبي ص للحسن بن علي رضي الله عنهما : إبني هذا سيد ... وقوله جل ذكره : فأصلحوا بينهما ، رقم : 2704 ، ج 3 ، ص 186

[4] الونشريسي : المعيار ، ج 12 ، ص 389

وفي مسألة التلقين يستدلّ ابن مرزوق على أنّه يكون عند الاحتضار فيقول : "ومثله :﴿ فَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ [البقرة : 131] أي : دوموا عليه لتموتوا عليه فيتم نفعه "[1].

وفي المعيار أيضا : " وسئل الشيخ أبو عبد الله المسفر الباهلي عن مرض الصغار وموتهم ودخولهم الجنة فجاء في جوابه : "... وقيل في قوله تعالى :﴿ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ ﴾ [الإنسان : 19] أنّ الولدان صغار المؤمنين "[2].

وهكذا ما من مسألة لها مستندٌ من آي القرآن إلّا وتعرّض لها المفتي أو المجيب أو المدرّس بالتفسير والبيان، ذاكرا ما يحضره فيها من الآثار والأقوال، ولذلك حملت هذه التفاسير طابع الارتجال، إذ من النادر أن يُنسب فيها القول لقائله والأثر لمظانّه.

[1] الونشريسي : المعيار ، ج 1 ، ص 306

[2] المرجع نفسه : ج 1 ، ص 326

المبحث الثاني : الإنتاج التفسيري وأعلامه خلال القرن السابع والثامن

عرف التفسير في الجزائر ابتداء من القرن السابع نشاطا واسعا واهتماما بالغا، يعكس ذلك كثرة أعلامه الذين شهد لهم أهل التراجم والسير بالبراعة والتفوّق فيه، كما نوّهوا بانتاجهم التفسيري تدريسا وتأليفا، غير أنّه لم يصلنا منه إلّا نزر قليل.

أولا : أعلام التفسير : برز في ساحة التفسير في هذه المرحلة مجموعة من الأعلام تصدّوا لتدريس التفسير وإقرائه، ونقلت لنا كتب التراجم والسير والفتاوى والنوازل مقتطفات من أقوالهم في التفسير، وسنحاول الإشارة إلى تراجم أبرز هؤلاء الأعلام مع ذكر ما يثبت اشتغالهم بالتفسير :

. أبو إسحاق إبراهيم بن يخلف التنسي المطماطي (**ت 670هـ**) : ذكر صاحب البستان عنه أنه قال : " لما دخلت مكة وطفت بالبيت ذكرت قوله تعالى :﴿ وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنًاۗ ﴾ [آل عمران : 97] فقلت في نفسي : تعارضت الأقوال واختلفت المذاهب في معنى : الآمن، فصرت أكرر وأقول : آمنا آمنا آمنا مماذا ؟ فسمعت هاتفا خلف ظهري يصوت آمنا من النار يا إبراهيم ثلاث مرات أو مرتين "[1]، ففي هذا النص إشارة إلى درايته باختلاف المفسّرين في اللفظ المذكور، وإلى تطلُّعه إلى معرفة المراد على الحقيقة منه.

. ابن مرزوق الجد الخطيب (**ت 781هـ**) : كانت له اليد الطولى في التفسير بشهادة ابن الخطيب الذي قال عنه : "عذب التلاوة متسع الرواية مشاركا في فنون من أصول وفروع وتفسير"[2]، وبشهادة ابن مريم الذي قال عنه : " كان رحمه الله آية في تحقيق العلوم والاطلاع المفرط على المنقول... من معرفة التفسير ودرره، والاضطلاع بحقائق التأويل وغرره، فلو رآه مجاهد لعلم أنه في علوم القرآن العزيز مجاهد، أو لقيه مقاتل لقال له تقدم أيها المقاتل، أو الزمخشري لعلم أنه كشاف الخفيات على الحقيقة، وقال لكتابه تنح لهذا الحبر عن سلوك الطريقة، أو ابن عطية لعلم كم لله من فضل وعطية، أو أبو حيان لاختفى منه إن أمكنه في نهره، ولم تسل له نقطة من بحره..." [3].

---

[1] ابن مريم : البستان ، ص 67

[2] ابن الخطيب : الإحاطة ،ج ، 3 ص 75

[3] المرجع السابق : ص 202. 203

. **ابنا الإمام** : أبو زيد عبد الرحمن (ت 741هـ)، وأبو موسى عيسى (ت 749هـ) ابنا محمد بن عبد الله ابن الإمام التنسي، العالمان الراسخان الشامخان كما وصفهما تلميذهما المقري [1]، وقد كانت لهما مجالس لتدريس التفسير بدليل ما أورده ابن مريم في البستان من أنّ الشريف التلمساني حمله خاله عبد الكريم مرة إلى مجلس العالم أبي زيد ابن الإمام وكان يفسّر القرآن فذكر الجنة ونعيمها...." [2]

أما أخوه أبو موسى فنجد من فتاويه في المعيار ما يدلّ على مشاركته في علم التفسير من ذلك جوابه عن مسألة العهود المبرمة بين الملوك وحكم نقضها جاء فيه "... وحسبك من أدلته قوله تعالى :﴿ وَأَوْفُواْ بِعَهْدِ اِ۬للَّهِ إِذَا عَٰهَدتُّمْ وَلَا تَنقُضُواْ اُ۬لْاَيْمَٰنَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اُ۬للَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًاۖ﴾ [النحل : 91]... وقد بيّن الله سبحانه ما لديه على الوفاء ونقيضه فقال جلّ وعلا : ﴿بَلَىٰ مَنَ اَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ وَاتَّقَىٰ فَإِنَّ اَ۬للَّهَ يُحِبُّ اُ۬لْمُتَّقِينَ ﴾ [آل عمران : 75]...﴿ فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦۖ ﴾ [الفتح : 11]، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم من الوفاء بالعهد في المرتبة التي تليق بعلي منصبه فقال : نفي بعهدهم ونستعين الله عليهم "[3]...، فالوفاء بما ذكرتم من العهود واجب بمواثيقه متحتّم..."[4].

. **أبو عبد الله محمد بن يحيى الباهلي المعروف بابن المسفّر (ت 744هـ)** : عالم بجاية وفقيهها وقاضيها من شيوخ المقري الجدّ، قال عنه ابن فرحون في الديباج المذهب :" الإمام العلامة المتفنّن المفسّر المصنّف..."[5].

. **أبو محمد عبد الله بن محمد بن أحمد الشريف التلمساني (ت 792هـ)** : كان من أهل البراعة في التفسير، وكان له مجلس خاص بالتفسير بشهادة ما أورده الحفناوي حيث قال : " قال الإمام ابن مرزوق : جمع شيخنا الإمام العلامة أبو محمد الشريف وقد سئل في مجلس تفسيره وهو يفسّر قوله

---

[1] ينظر : المقري : نفح الطيب ، ج 5 ، ص 215

[2] ينظر : ابن مريم : البستان ، ص 167

[3] صحيح مسلم : باب الوفاء بالعهد ، رقم : 1787 ، ج 3 ، ص 1414

[4] الونشريسي : المعيار ، ج 6 ، ص 343

[5] ينظر : نويهض : معجم أعلام الجزائر ، ص 31. المقري : نفح الطيب ، ج 5 ، ص 250. ابن فرحون : الديباج المذهب ، ج 2 ، ص 326

تعالى :﴿ فَلَنْ يُقْبَلَ مِنَ اَحَدِهِم مِّلْءُ الاَرْضِ ذَهَباً ﴾ [آل عمران : 90] عن حكمة ذكر الذهب دون الياقوت ونحوه مما هو أرفع قيمة من الذهب لأنّ القصد المبالغة في عدم ما يتقبل من الكافر في الفداء، فأجاب : بأنه إنما عظمت قيمة ما ذكر لأنّه يباع بذهب كثير فإذا المقصود الذهب وغيره وسيلة إليه، قال ابن مرزوق : وهذا غاية في الحسن "[1].

. محمد بن الحسن القلعي (**ت 673هـ**) : هو الشيخ الفقيه النحوي اللغوي المحصل التاريخي أبو عبد الله محمد بن الحسن بن علي بن ميمون التميمي القلعي، كان جده ميمون قاضيا بقلعة بني حماد، نشأ بالجزائر وقرأ بها ثم استوطن بجاية ولقي بها أبا الحسن الحرالي وغيره،...كان له درس يحضره من الطلبة فضلاؤهم ونبهاؤهم، وتجري فيه المذاكرات المختلفة في التفسير والحديث... "[2] .

. سعيد العقباني (**ت 811هـ**) : اتفق كل من ترجم له أن له تفسير سورتي الفتح والأنعام وأنه أتى بفوائد جليلة [3]، وكان له مجلس يقرئ فيه التفسير بدليل ما جاء في البستان عند ترجمة أبي يحيى الشريف :" وحضر عليه في التفسير "[4]، وذكر المجاري في برنامجه أنه أخذ عنه في التفسير فقال :" قرأت عليه بموضع إقرائه بالمدرسة... وحظا وافرا من تفسير القرآن..."[5].

. أبو علي منصور بن علي بن عبد الله الزواوي (**ت 770هـ**) : نزيل تلمسان درس التفسير بمدارس الأندلس مقرئا للفقه والتفسير مع الفتيا [6]، وذكر الشاطبي في الإفادات والإنشادات ما يدلّ على اهتمامه بالتفسير فقال : حدثني الأستاذ أبو علي الزواوي عن شيخه الأستاذ الشهير أبي عبد الله المسفر أنه قال : إن تفسير ابن الخطيب (الرازي) احتوى على أربعة علوم نقلها من أربعة كتب، مؤلفوها كلهم معتزلة : فأصول الدين نقلها من كتاب الدلائل لأبي الحسين، وأصول الفقه نقلها من كتاب

---

[1] الحفناوي : تعريف الخلف ، ج 2 ، ص 239

[2] الغبريني : عنوان الدراية ، ص 67

[3] ابن مريم : البستان ، ص 106

[4] المرجع نفسه : ص 128

[5] المجاري : برنامج المجاري ، ص 129

[6] التنبكتي : أحمد بابا ، كفاية المحتاج لمعرفة من ليس في الديباج ، ت : محمد مطيع ، (1421هـ . 2000م) ، مطبعة فضالة ، المحمدية ، المملكة المغربية ج 2 ، ص 250

المعتمد لأبي الحسين أيضا... والتفسير من كتاب القاضي عبد الجبار والعربية والبيان من الكشاف للزمخشري "[1].

وهو نصٌّ أيضا في الاهتمام بتفسير مفاتح الغيب للرازي ودراسته بعمق وتمحيص.

. **أبو علي الحسن بن عطية الونشريسي (ت 788هـ)** : له مجموعة من الرسائل : منها رسالة رفع الحرج والجناح عمن أرادت من المراضع النكاح والتي ضمّنها عدد من أقوال التفسير وكلام المفسّرين أوردها الونشريسي في المعيار[2].

. **أبو العباس أحمد بن العباس النقاوسي (ت 765هـ)** : النحوي الفقيه ذو الإحاطة بالتفسير والحديث من أهل نقاوس بالجزائر سكن تلمسان ثمّ استقر بتونس واشتغل بالتدريس [3].

. **أبو يحيى عبد الرحمن بن محمد بن أحمد الشريف التلمساني (ت 826هـ)** : اشتهر بالتفسير وعرف به وبرع فيه، وله في المعيار كثير من الكلام في التفسير، منه ما جاء جوابا عن مسألة كقول الونشريسي : وسئل سيدنا العلامة العارف المفسّر السيد أبو يحي الشريف التلمساني رضي الله عنه عن معنى قوله تعالى : ﴿ لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ ﴾ [الفتح : 02]، فأفاض في ذكر ما حملت الآية من معاني لغوية ومسائل كلامية وأحكام شرعية، واستحسن هذا الكلام أخوه الأكبر بعدما اطلع عليه وقال : وقفت وفقكم الله على ما أولتموه، وفهمت ما أوردتموه، فألفيته مبنيا على قواعد التحقيق والإيقان، مؤدّيا صحيح المعنى بوجه الإبداع والإتقان، بعد مطالعة كلام المفسّرين ومراجعة الأفاضل المتأخرين وتلك شنشنة أعرفها من أخزم "[4].

---

[1] الشاطبي : أبو إسحاق إبراهيم بن موسى ، الإفادات والإنشادات ، ت : محمد أبو الأجفان ، ط 1 (1403هـ . 1983م) مؤسسة الرسالة ، بيروت ، لبنان ، ص 100

[2] الونشريسي : المعيار ، ج 3 ، ص 295

[3] البلوي : خالد بن عيسى ، رحلة البلوي : تاج المفرق في تحلية علماء المشرق ، ت : الحسن السائح ،دط ، د سنة ، مطبعة فضالة ، المحمدية ، المغرب ، ج 1 ، ص 188. التنبكتي : نيل الابتهاج ، ص 96 .

[4] ابن مريم : البستان ، ص 128

. أبو العباس أحمد بن إدريس البجائي (ت بعد 760هـ) : الإمام الفقيه العالم الصالح المحقق كبير علماء بجاية في وقته، أخذ عنه أبو زيد عبد الرحمن الوغليسي وأضرابه وابن عرفة...له شرح على ابن الحاجب [1] وقد حفظ لنا تفسير ابن عرفة وتقيد المسيلي عليه جملة من أقواله في التفسير منها :

عند قوله تعالى : ﴿وَأَن تَصُومُواْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة : 183] قال : " استدلّوا به على أنّ الصوم للمسافر خيرٌ وأفضل، قلت : وقال لي سيدي الشيخ الصالح الفقيه أبو العباس أحمد بن إدريس البجائي : لا دليل فيها لأنّ قوله : يأيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام... إلى قوله : وأن تصوموا خير لكم إن كنتم تعلمون منسوخ بقول الله تعالى :﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ ﴾ [البقرة : 184]، ويدلُّك على النسخ قوله تعالى : ﴿ أَيَّاماً مَّعْدُودَاتٍ ﴾ [البقرة : 173]، وهو جمع قلّة ولا يتناول الشهر كما قال الزمخشري معناه : أياما مؤقتات بعدد معلوم أو قلائل، كقوله :﴿ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ ﴾ [يوسف : 20] "[2].

وقوله في قوله تعالى :﴿ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ ﴾ [البقرة : 184]، قلت : وكان سيدنا الشيخ أبو العباس أحمد بن إدريس رحمه الله تعالى يقول : هذه الآية تدلّ على أنّ المسافر غير مأمور بالصوم لأنّ ' شهد ' بمعنى حضر والمسافر ليس بحاضر..."[3].

. أبو زيد عبد الرحمن الوغليسي (ت 786هـ) : الفقيه الأصولي المحدّث المفسّر، أخذ عن أبي العباس أحمد بن إدريس البجائي وهو شيخ شيوخ الثعالبي صاحب التفسير المشهور[4]، ومن كلامه في

---

[1] ينظر : التنبكتي : نيل الابتهاج ، ص 99. نويهض : معجم أعلام الجزائر ، ص 32

[2] ابن عرفة : محمد بن محمد الورغمي التونسي ، تفسير ابن عرفة ، ت : جلال الأسيوطي ، ط 1 (2008م)دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ج 1 ، ص 218

[3] المصدر نفسه : ج 1 ، ص 222

[4] ينظر : الحفناوي ، تعريف الخلف ، ج 1 ، ص 68. ابن مخلوف : شجرة النور الزكية ، ج 1 ، ص 342

التفسير ما جاء في مقدمته عند قوله تعالى : ﴿ فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [النحل : 43] وأهل الذكر هم أهل العلم "[1].

ثانيا : الإنتاج التفسيري ومناهجه (القرن 7 و8هـ)

لم يحظ التأليف في التفسير في هذه المرحلة بالعناية التي حظي به الفقه، وظلّ يتناول تدريسا للطلبة في المدارس والمساجد ووعظا للعامّة من الناس، رغم التطوّر الذي عرفه مجال التأليف، ولكن بالرجوع إلى كتب التراجم والفتاوى والنوازل نجد كمّا هائلا من النماذج التفسيرية التي تعطينا تصوّرا كافيا عن المكانة التي وصل إليها أعلام الجزائر في التفسير والتي تظهر فيها جليا بصمة الإبداع والتفنّن والتدقيق من هذه النماذج :

. النموذج الأول : المقرّي الجدّ

أ . ترجمته : هو الإمام العلّامة النظّار المحقّق القدوة الحجة الجليل، أحد مجتهدي المذهب وأكابر فحوله المتأخرين الأثبات، قاضي الجماعة بفاس وتلمسان : محمد بن محمد بن أحمد بن أبي بكر بن يحيى بن عبد الرحمن القرشي التلمساني المشتهر بالمقرّي، ولد بتلمسان وبها نشأ وقرأ وأقرأ، أخذ عن عبد الله السلوي والآبلي وابني الإمام وعمران المشذالي وابن عبد السلام التونسي... وعنه أخذ جماعة منهم : الإمام الشاطبي ولسان الدين ابن الخطيب وابن خلدون، ألّف كتاب القواعد وحاشية على مختصر ابن الحاجب، ورسالة في التصوف تعرف بالحقائق والرقائق توفي سنة 756هـ ونقل إلى تلمسان تربة سلفه فدفن بها [2] .

ب . أقواله في التفسير : عُرف المقرّي بتحرّجه من التفسير وعدم ميله إليه، بل كان لا يحب الخوض فيه كثيرا حيث يقول : " والحقّ أنّ تفسير القرآن من أصعب الأمور، فالإقدام عليه جراءة، وقد قال الحسن البصري لابن سيرين : تُعبّر الرؤيا كأنك من آل يعقوب، فقال له : تفسّر القرآن كأنك شهدت التنزيل، وقد صحّ أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يكن يفسّر القرآن إلا آيات معدودة،

---

[1] الوغليسي : عبد الرحمن بن أحمد ، المقدمة الوغليسية على مذهب السادة المالكية ، ت : أمل محمد نجيب ، ط 1 (1428هـ . 2007م) مركز نيجبويه للمخطوطات ، ص 63

[2] ينظر : التنبكتي : نيل الابتهاج . ص 427 . ابن مخلوف : شجرة النور ، ج 1 ، ص 334 . ابن الخطيب : الإحاطة ، ج 2 ، ص 116

وكذلك الصحابة والتابعون بعدهم "[1]، ومع ذلك نقلت لنا كتب التراجم والسير ومؤلّفات الفتاوى والنوازل جملة من كلام المقرّي في التفسير وجاء فيها أنه مهتمٌّ بالتفسير وتدريسه، وصفه ابن الخطيب بأنه : " يقوم أتم القيام على العربية والفقه والتفسير "[2]، ومنها ما ذكره الونشريسى في المعيار تحت عنوان مسائل في التفسير وهي عبارة عن استشكالات أجاب عنها الإمام المقرّي وعقّب عليها أبو الفضل ابن الإمام جاء فيها :

قال المقرّي : قوله تعالى : ﴿إِنَّ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِے لِلتِے هِيَ أَقْوَمُ ﴾ [الإسراء : 09] يدلّ على وجوب العمل بالراجح، وقد حكي الإجماع عليه...، وقوله أيضا بعدها : ﴿ وَأَنَّ ٱلذِينَ لاَ يُومِنُونَ بِالاَخِرَةِ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَاباً اَلِيماً ﴾ [الإسراء : 10] دليل على جواز التبشير بمصاب العدوّ والفرح به وإن كان أخرويا، وقد اختلف في جواز الدعاء عليه بالموت على الكفر، وأفتى شرف الدين الكركري بكفر من قال لرجل : أماته الله على الكفر، قال : لأنّ محبة الكفر كفر، ورددته بقول صالح ابن آدم ﴿ إِنِّيَ أُرِيدُ أَن تَبُوٓأَ بِإِثْمِے وَإِثْمِكَ ﴾ [المائدة : 31] فكتب الفقيه العلامة الإمام سيدي أبو الفضل ابن الإمام عقب كلام المقرّي هذا ما نصه : " قوله في الآية الأولى تدلّ على وجوب العمل بالراجح مما يمنع وذلك أن . يهدي . يحتمل أن يكون مفسّرا بيدعو على نهج ﴿ وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَـٰهُمْ فَاسْتَحَبُّواْ ٱلْعَميٰ عَلَى ٱلْهُدىٰ ﴾ [فصلت : 16] وعلى هذا القول إن إجابة دعوته تجب لأنّ الإدعاء منه إلى التي هي أقوم بأوامر ونواهي يوقف مع كل منهما، وتارة يكون معنى . يهدي . يرشد، وإرشاده من وجوه لا تحصى ولا تنحصر، كما أن . التي . أيضا يحتمل أن يراد بها الطريقة ويحتمل أن يراد بها الحالة، وأقوم يحتمل أن يكون على ظاهره مقتضيا للتفضيل ويحتمل أن لا "[3].

وجاء في نفح الطيب أنه سئل عن قوله تعالى : ﴿ وَهُوَ ٱلذِے خَلَقَ ٱلَيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ فِے فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴾ [الأنبياء : 33] لم عاد ضمير من يعقل إلى ما لا يعقل فقال بعضهم : لما اشترك مع من يعقل في السباحة وهي العوم عومل لذلك معاملته، قال : وهذا لا ينهض

[1] التنبكتي : نيل الابتهاج ، ص 416 . المقري : نفح الطيب ، ج 5 ، ص 278

[2] ابن مريم : البستان ، ص 155

[3] الونشريسي : المعيار ، ج 12 ، ص 333

جوابا فإن السباحة لمن لا يعقل كالحوت، وإنما لمن يعقل العوم لا السباحة، وأيضا فإلحاقه بما العوم له لازم كالحوت، أولى من إلحاقه بما هو غير لازم له [1].

ج . منهجه في التفسير : لخّص لنا المقرّي منهجه في التفسير، وأعطى لنا صورة واضحة عن طريقة تعامله مع القرآن، وكيفية تفّهمه، بما سجّله حفيده في نفح الطيب من فوائده حيث ذكر قوله : " ولا رخصة في تعيين الأسباب والناسخ والمنسوخ إلّا بتوقيف صحيح أو برهان صريح، وإنما الرخصة في تفهم ما تعرفه العرب بطبائعها من لغة وإعراب وبلاغة وبيان إعجاز ونحوها "[2].

ومنه يمكن القول أنه يعتمد على الأثر والرواية، ويستعين بالرأي والدراية، وتتمثّل ملامح ذلك فيما سنسوقه ممزوجا بأمثلة ونماذج تفسيرية :

. تفسير القرآن بالسنّة : جاء في المسائل التفسيرية للمقري أنّه قال : " نظرت في قوله تعالى :﴿ وَمَا مَنَعَنَآ أَن نُّرْسِلَ بِالآيَٰتِ إِلآَّ أَن كَذَّبَ بِهَا ٱلاَوَّلُونَ ﴾ [الإسراء : 59] مع ما في الصحيح من قوله عليه السلام : " ما بعث من نبيء قبلي إلا أوتي ما مثله آمن عليه البشر وإنما كان الذي أوتيت وحيا وأرجوا أن أكون أكثرهم تابعا يوم القيامة "[3]، ففيهما من ذلك سرّ رفع العذاب العام والمسخ وغير ذلك مما نال الأمم المتقدمة، وذلك أن تلك الآيات آيات اضطرار، فكانت العقوبة على تكذيبها عقوبة عناد، وآية الوحي آية اعتبار، فالعقوبة على ردّها عقوبة اعتراض وإلحاد..."[4] .

وفيها أيضا قوله : لما نزل قوله تعالى :﴿ قُلْ هُوَ ٱلْقَادِرُ عَلَىٓ أَنْ يَّبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَاباً مِّن فَوْقِكُمْ ﴾ [الأنعام : 66] قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أعوذ بوجهك، أو من تحت أرجلكم، قال : أعوذ بوجهك، أو يلبسكم شيعا ويذيق بعضكم بأس بعض، قال : هذه أخف [5]، فمن ثم وربك أعلم منع هذه دون تينك على ما ثبت في الصحيح من قوله : سألت ربي ثلاثا فأعطاني إثنتين

[1] المقري : نفح الطيب ، ج 5 ، ص 267

[2] المقري : نفح الطيب ، ج 5 ، ص 279 . التنبكتي : نيل الابتهاج ، ص 416

[3] صحيح البخاري : باب كيف نزل الوحي وأول ما نزل ، رقم : 4981 ج 6 ص 181

[4] الونشريسي : المعيار ، ج 12 ، ص333

[5] صحيح البخاري : باب قوله : قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذابا من فوقكم أو من تحت أرجلكم ، رقم : 4628 ، ج 6 ، ص 56

ومنعني واحدة، سألته ألا يهلك أمتي بالسنة فأعطانيها، وهذه والله أعلم هي العذاب من فوق، وسألته ألّا يُهلك أمّتي بالغرق فأعطانيها، وهذه والله أعلم العذاب من تحت، وسألته ألّا يجعل فتنتهم بينهم فمنعنيها، وهذه هي الإلباس والإذاقة، فتأمّل ذلك تجد الحديث كالكفاء للآية "[1].

وذكر قوله تعالى ﴿ إِنِّيَ أُرِيدُ أَن تَبُوٓأَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ ﴾ [المائدة : 31] فقال : على معنى لست بحريص على قتلك، فالإثم الذي يلحقني لو كنت حريصا على قتلك أريد أن تحمله أنت مع إثمك في قتلي، على ما أشار عليه السلام بقوله : " إِذَا الْتَقَى المسلِمانِ بِسَيْفَيْهِما فالقَاتِلُ والمقتُولُ في النّارِ، قيل يا رسول الله : هذا القاتلُ فما بالُ المقتولِ ؟ قال : إنّهُ كان حريصًا على قَتلِ صَاحِبِه "[2]..."[3].

. اهتمامه بالقراءات : للإمام أبي عبد الله المقري باع في القراءات والروايات وآراء في بعض مسائلها ما أورده الونشريسي حول الاختلاف في ضابط القراءة المتواترة والمشهورة حيث قال : " وقال القاضي أبو عبد الله المقري رحمه الله : أطلق الناس في قراءات السبع التواتر أو الشهرة، وأنا قاطع بتواتر ماله صورة في الخط مما بين الدفتين في جميع أيمة مصاحف الآفاق والأمصار، وبنقل ما يختلف بالمعنى والإعراب فيه ونحوه من هذه القراءات وتنوعه إلى متواتر وآحاد، وبعدم تواتر ما يرجع إلى كيفية الأداء وطريق التجويد والإمالة والفتح والتفخيم والترقيق والإدغام والإظهار والتحقيق والتسهيل والإبدال والوقف والوصل وما أشبه ذلك وانقسامه إلى هذه ومختاره، ومن أنصف عرف "[4].

. البلاغة والأسلوب : فعند قوله تعالى : ﴿ إِنِّيَ أُرِيدُ أَن تَبُوٓأَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ ﴾ [المائدة : 31] قال : ويأتي في كلام هابل من اللطائف والحكمة أنه جمع فيه الاستعطاف والزجر، لأنه إذا نفى أن يبسط إليه يده في الوقت الذي يجب فيه البسط فذلك من أقوى الدعاوى في تعطف قابل، لأن المقاومة ممانعة، والممانعة توجب الطلب في الممنوع والرغبة :

وزادَني كَلَفًا في الحُبِّ أنّي مُنعته   وأحبُّ شيءٍ إلى الإنسانِ ما مُنِعا

---

[1] الونشريسي : المعيار ، ج 12 ، ص 337

[2] صحيح البخاري : باب : وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما ، رقم : 31 ، ج 1 ، ص 15

[3] المرجع السابق : ج 12 ، ص 336

[4] الونشريسي : المعيار ، ج 12 ، ص 76

ثمّ أردف الاستعطاف بالتسليم الباطني حيث نفى أن تكون له نزعة من حرص ليتطلب من ذلك الوقوف على صفاء باطنه، ثم الصفاء مع المشوشات للباب ربما تخيل من خلاله الأخوة النسبية، ثمّ أردف بالوعيد لها وهو : فتكون من أصحاب النار، إذ لا زاجر وراء ذلك..."[1].

. الاستعانة باللغة في التفسير : إنّ تفسير القرآن الكريم يحتاج إلى إلمام واسع باللغة العربية وأساليبها وتراكيبها وهو ما عناه ابن عباس بقوله : التفسير على أربعة أوجه : وجه تعرفه العرب من كلامها... "[2]، وقد أحرز المقري الحظ الأوفر من معرفة كلام العرب ولغتهم وأشعارهم وهذا ما يظهر جليا في هذه النماذج التي أوردها حفيده في نفح الطيب :

قوله : ولما نزلت بظاهر قسمطينة تلقاني رجل من الطلبة فسألني عن هذه الآية : ﴿وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ﴾ [المائدة : 69]، فإن ظاهرها أنّ الجزاء هو الشرط، أي : وإن لم تبلّغ فما بلغت، وذلك غير مفيد، فقلت : بل هو مفيد أي : وإن لم تبلّغ في المستقبل لم ينفعك تبليغك في الماضي، لارتباط أوّل الرسالة بآخرها كالصلاة ونحوها، بدليل قصة يونس، فعبر بانتفاء ماهية التبليغ عن انتفاء المقصود منه، إذ كان إنما يطلب ولا يعتبر بدونه كقوله عليه الصلاة والسلام : لا صلاة إلا بطهور[3] "[4].

وقوله : إنّ أهل المنطق وغيره يزعمون أنّ الأسماء المعدولة[5] لا تكاد توجد في كلام العرب، وهي موجودة في القرآن وذلك قوله : ﴿ لَّا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ عَوَانٌۢ بَيْنَ ذَٰلِكَ ﴾ [البقرة : 67]، فإن زعم زاعم أنّ ذلك على حذف المبتدأ، ودخلت لا على الجملة، وتقديره : لا هي فارض ولا هي بكر،

---

[1] الونشريسي : المعيار ، ج 12 ، ص 337

[2] الطبري : جامع البيان ، ج 1 ، ص 75

[3] قال الزيلعي : غريب بهذا اللفظ ، أبو عبد الله محمد بن يوسف بن محمد ، تخريج الأحاديث والآثار الواقعة في تفسير الكشاف للزمخشري ، ت : عبد الله بن عبد الرحمن السعد ، ط1 (1414هـ) دار ابن خزيمة ، الرياض ، ج 2 ، ص 462

[4] المقري : نفح الطيب ، ج 5 ، ص 251

[5] العدل عند النحويين هو تحويل الاسم من حالة إلى حالة أخرى مع بقاء المعنى الأصلي مثاله : عمر معدول عن عامر ،الحازمي : أبو عبد الله أحمد بن عمر ، شرح ألفية ابن مالك ، المكتبة الشاملة ، ج 105 ، ص 11

قيل له : إن كان يسوغ لك ذلك في هذا الموضع ، فلا يسوغ في قوله تعالى :﴿ لاَّ شَرْقِيَّةٍ وَلاَ غَرْبِيَّةٍ ﴾ [النور : 35]، فصحّ أن الاسم المعدول موجود فصيح في كلام العرب "[1].

. الإلمام بقواعد التفسير : فنجده يذكر لنا بعض القواعد التي يفهم بها كلام الله منها :

. تتابع الصفات يخصّص العام حيث يقول : قد تتابع صفات العام حتى يصير كأنه أشير به إلى شخص بعينه فيختص ومن ثمّ قيل في قول الله عزّ وجلّ :﴿ وَلاَ تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ ﴾ [ن : 10]، إنّه الأخنس بن شريق، وفي قوله تعالى :﴿ وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ ﴾ [الهمزة : 01]، أنه أمية بن خلف، وفي قوله تعالى :﴿ ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيداً ﴾ [المدثر : 11]، إنّه الوليد بن المغيرة "[2].

. جواز تخصيص العام المؤكد بمنفصل أورد صاحب نفح الطيب أن أبا عبد الله المقري سئل عن ذلك فأجاب بالجواز محتجا بالآية :﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ﴾ [الأعراف : 31] وقال : هذا عامل مؤكد وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " ولم يحلّ الله من الفواحش إلّا مسألة الناسي "[3].

. العناية باستخلاص الأحكام الفقهية : الإمام المقري فقيه مالكي متضلّع وصل إلى الاجتهاد المذهبي وإلى درجة التخيير والتزييف بين الأقوال[4]، ففي قوله تعالى : ﴿ فَرِهَانٌ مَّقْبُوضَةٌ ﴾ [البقرة : 282] قال : يقتضي أن قبض الرهن مخالف لقبض الأمانة، لأن الظاهر كونه مستأنفا لا عاما معطوفا على خاص، فالرهن كالكتب جعل الرهن بدلا منه ليست يد المرتهن عليه بيد أمانة لكن يد ضمان كالعارية، لأنّ كلّ واحد منهما مقبوض لمنفعة القابض خاصّة ،كالقرض فهو مضمون بالأصالة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " الرهن بما فيه "[5] الحديث "[1].

---

[1] المقري : نفح الطيب ، ج 5 ، ص 267

[2] المرجع نفسه : ج 5 ، ص 264

[3] المرجع نفسه : ج 5 ، ص 266

[4] التنبكتي : نيل الابتهاج ، ص 420

[5] سنن الدارقطني : كتاب البيوع ، رقم : 2916 ، ج 3 ، ص 436

وفي نفس الجواب أيضا ذكر تفسيرا لآية الدَّين فقال: ندب الله إلى الكَتب بما هو توسعة على الناس، لأن الإنسان إذا توثق من حقه سارع إلى إخراج شيئه، والوثيقة إذا خفت مؤونتها لم يرجع أحد على المعاملة عليها مع ما في ذلك من الحوطة على المال، والرفق في الحال والمآل، فهذا إرشاد لا عزيمة، ومعونة لا مؤونة، ثم لما كان التوثق بالكتب قد يتعذر أرشد إلى التوثق بأثقل منه مما لا يعسر فقال :﴿ وَإِن كُنتُمْ عَلَىٰ سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُواْ كَاتِباً فَرِهَـٰنٌ مَّقْبُوضَةٌ ﴾ [البقرة : 282]، وإلى تمام التوثُّق أشار بلفظ القبض كأنّه يقول : إن تعذّر الكتب فلا تمنعوا من التعامل الذي هو أصل صلاح أحوالكم لوجود ما هو أوثق منه وهو الرهن المقبوض، فلم يَذكر أوّلا المتيسّر الأخفّ، وذكره ثانيا لأنّ ذكره أجحف، والباب كلّه باب تعريف، لا باب تكليف "[2].

. التعرّض للناسخ والمنسوخ : جاء في المسائل التفسيرية إشارة لذلك حيث أنّه ذكر قوله تعالى : ﴿وَإِن تُبْدُواْ مَا فِيٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُ ﴾ [البقرة : 283] فقال : أي يوقفكم عليه و يقرّره عليكم، فيغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء، ولا يلزم من السؤال عن الشيء والإيقاف عليه التكليف به والمطالبة بفعله أو تركه، بل إظهار بإبلاء السرائر، وتعظيم الأمر بكشف ما في الضمائر، كما جاء في اقتصاصات الجمادات وما لا تكليف عليه من الحيوانات، فلا منافاة بين هذه الآية وبين : ﴿ لاَ يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْساً اِلاَّ وُسْعَهَا ﴾ [البقرة : 285]، حتى تكون ناسخة لها إن صحّحنا النّسخ في بعض الأخبار..."[3].

. الكلام على العقائد والردّ على الغالين والمنحرفين : قوله : " أوّل ما تكلّم به عيسى في المهد أنّه قال : ﴿إِنِّي عَبْدُ ٱللَّهِ ﴾ [مريم : 29]، وهو حجّة على الغالين فيه، يقال لهم : إن صدق فقد كذبتم، وإلّا فمن عبدتم، ولمن ادّعيتم "[4] .

---

[1] الونشريسي : المعيار ، ج 12 ، ص 338

[2] المرجع نفسه : ج 12 ، ص 338

[3] المرجع نفسه : ج 12 ، ص 341

[4] المقري : نفح الطيب ، ج 5 ، ص 291

ومنه قوله : قيل نزلت ﴿وَمَآ أَضَلَّنَآ إِلاَّ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴾ [الشعراء : 99] في القدرية لأنّهم أضافوا الحول والقوة في الشرّ إلى البشر، فأشركوه في الخلق، أما ترى قوله تعالى :﴿ إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ فِي ضَلَٰلٍ وَسُعُرٍ ﴾ [القمر : 47] إلى قوله تعالى :﴿ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ﴾ [القمر : 49] "[1].

. التوجّه الصوفي : أخذ المقري عن جملة من أعلام التصوف ونزع منزعهم، أشار إلى ذلك تلميذه ابن الخطيب بقوله : " يتكلّم في طريقة الصوفية كلام أرباب المقال ويعتني بالتدوين فيها "[2]، وصرّح بأنه ينتمي إليهم وينتسب إلى طريقتهم فقد ذكر عندما عدد من شيوخه سلسلة المصافحة فقال : " ومن شيوخي الصلحاء الذين لقيت بها : خطيبها الشيخ أبو عثمان سعيد بن إبراهيم بن علي الخياط، أدرك أبا إسحاق الطيار، وقد صافحته وأنا صغير لأنه توفي سنة تسع وعشرين، بمصافحته أباه، بمصافحته الشيخ أبا تميم، بمصافحته أبا مدين، بمصافحته أبا الحسن بن حرزهم، بمصافحته ابن العربي، بمصافحته الغزالي، بمصافحته أبا المعالي، بمصافحته أبا طالب المكي، بمصافحته أبا محمد الجريري، بمصافحته الجنيد، بمصافحته سريا، بمصافحته معروفا، بمصافحته داود الطائي، بمصافحته حبيبا العجمي، بمصافحته الحسن البصري، بمصاحفته علي بن أبي طالب، بمصافحته رسول الله صلى الله عليه وسلم [3]، وكذلك خبر رقعة التصوف التي ألبسه إياها أحد أشياخه وهو محمد بن محمد بن مرزوق العجيسي[4]، ولذلك نزع في كلامه في التفسير نزعة صوفية إشارية نلمحها من خلال رسالته " الحقائق والرقائق " التي نورد نماذج منها : قال رحمه الله :

حقيقة : قيل : عرض الكليم بطلب القوت في رحلة الهجرة ﴿رَبِّ إِنِّي لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴾ [القصص : 34] فحمل على كاهل ﴿ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ ﴾ [القصص : 35]، وصرح في سفر التأديب ﴿ لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذتَّ عَلَيْهِ أَجْراً ﴾ [الكهف : 76] فحمل على كاهل ﴿ قَالَ

[1] الونشريسي : المعيار ، ج 5 ، ص 294
[2] ابن الخطيب : الإحاطة ، ج 2 ، ص 119
[3] المرجع نفسه : ج 2 ، ص 123. 124
[4] المقري : نفح الطيب ، ج 5 ، ص 424

﴿ هَٰذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ ﴾ [الكهف : 77]، قلت : لما تمحض الطلب اكتفى، فلما تعلّق حقّ الغير به وفّى، ولذلك قضى أبا المرأتين أبعد الأجلين [1].

رقيقة : كان خرق السفينة إراءة لكرامة ﴿ فَاقْذِفِيهِ فِي الْيَمِّ ﴾ [طه : 38] في مرآة ﴿ وَكَانَ وَرَاءَهُم مَّلِكٌ ﴾ [الكهف : 78]، وربما صحّت الأجسام بالعلل، وقتل الغلام إشارة إلى اشتمال فتنة ﴿ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ ﴾ [القصص : 14]، على رحمة ﴿ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ ﴾ [الأنبياء : 87]، برمز فخشينا أن يرهقهما طغيانا وكفرا، والمحن الصم حبائل المنح، وإقامة الجدار إشارة لفتوة فسقى لهما، ليخفض له جناح إني لما أنزلت إلي من خير فقير، فيستظل من حرور لو شئت لتخذت عليه أجرا، وفي تيه هذا فراق بيني وبينك وما فعلته عن أمري "[2].

وفي نفح الطيب نجد له كلاما في التفسير يحمل طابع أهل التصوف منه قوله رحمه الله : سمع ابن الشاطر[3] إنسانا يقول : الجنة رخيصة فقال : كيف تكون رخيصة والله عز وجل يقول :﴿ إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ ﴾ [التوبة : 112]، ثمّ قال مولاي الجدّ بأثر هذا الكلام قلت : ما الأنفس والأموال في جنب ما فيها مما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، لاسيما وفوق هذه الحسنى زيادة الإكرام بالنظر والرضا "[4] .

---

[1] المقري : أبو عبد الله محمد بن محمد ، الحقائق والرقائق ، ت : عمرو سيد شوكت ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ص 156

[2] المصدر نفسه : ص 157

[3] هو أبو عبد الله بن أحمد بن شاطر الجمحي المراكشي الصوفي وصفه المقري بالنادرة ، قال ابن الخطيب كان حيا سنة 757 . ينظر : ابن الخطيب ، الإحاطة ، ج 3 ، ص 203 . المقري : نفح الطيب ، ج 5 ، ص 248

[4] المقري : نفح الطيب ، ج 5 ، ص 271

النموذج الثاني : الشريف التلمساني

أ . ترجمة الشريف التلمساني : هو أبو عبد الله محمد بن أحمد بن علي الإدريسي الحسني المعروف بالشريف التلمساني، ويلقب بالعلوي نسبة إلى قرية العلويين من أعمال تلمسان، إمام المغرب ولد بتلمسان سنة 710هـ ونشأ بها، وأخذ العلم عن مشيختها واختص بأولاد الإمام، ثمّ لزم الآبلي، ارتحل إلى تونس فلقي ابن عبد السلام وغيره، له : مفتاح الوصول إلى بناء الفروع على الأصول، وشرح جمل الخونجي في المنطق، وكتاب في القضاء والقدر، وفتاوى في مسائل علمية مختلفة، توفي سنة 771هـ بتلمسان ودفن بها [1].

ب . أقواله في التفسير : ذكرت كتب التراجم أن الشريف التلمساني فسّر القرآن الكريم تدريسا مدة خمس وعشرين سنة، قال ابن مريم : " فسّر القرآن في خمس وعشرين سنة أتى فيه بالعجب العجاب،...[2]، وهي مزية لم تسجّل لغيره في المغرب الأوسط، قال البشير الإبراهيمي : " لم ينقل لنا تاريخ العلماء بهذا الوطن أنّ عالما ختم تفسير القرآن كلُّه درسا إلّا ما جاء فيه عن الشريف التلمساني " [3]، وحضر هذا الدرس أكابر الملوك والعلماء وصدور الطلبة، وعلى رأسهم إبناه : أبو محمد الذي سجل حضوره التنبكتي بقوله : وحضر عليه في تفسير القرآن بين يديه من سورة النحل إلى الختم، ومن أوّله في المرّة الثانية إلى قوله تعالى :﴿ يَسْتَبْشِرُون بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ ٱللَّهَ لاَ يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُومِنِينَ ﴾ [آل عمران : 171]، وكان يقرأ عليه كتابا في التفسير ليلا "[4]، ويقرأ من التفسير نحو ربع حزب كلّ يوم مع البحث "[5].

ومع ذلك لم يقيّد هذا التفسير ولم يحفظ، وربما قيّد وضاع وضاعت هذه الثروة العلمية والتفسيرية لأحد أهمّ أعلام التفسير منذ الفتح الإسلامي، لكن حفظت لنا كتب التراجم والنوازل نزر من أقواله في

---

[1] ينظر : الزركلي : الأعلام ، ج5 ، ص 327 . الحفناوي : تعريف الخلف ، ج1 ، ص 106 . 107 . ابن مريم : البستان ، ص 164 . عبد الرحمن الجيلالي : تاريخ الجزائر العام ، ج2 ، ص 205

[2] ابن مريم : البستان ، ص 172 . الحفناوي : تعريف الخلف ، ج 1 ، ص 113

[3] البشير الإبراهيمي : مقدمة البشير الإبراهيمي ، العقائد الإسلامية لعبد الحميد ابن باديس ، ط 1 (1416هـ . 1995م) دار الفتح ، الشارقة ، إ.ع.م ، ص 16

[4] ينظر : ابن مريم : البستان ، ص 118 . التنبكتي : نيل الابتهاج ، ص 226

[5] التنبكتي : نيل الابتهاج ، ص 438

التفسير منها : ما جاء في البستان أنّه لما ورد حضرة تونس أتى مجلس ابن عبد السلام[1]... فجلس حيث انتهى به المجلس ففسّر الشيخ آية :﴿ ٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكْراً كَثِيراً ﴾ [الأحزاب : 41]، فقال : ما المراد بالذكر اللّسان أو القلب ورجّح الثاني بأنّ الذكر نقيضه النسيان لقوله : ﴿ وَمَآ أَنسِينِيهِ إِلاَّ ٱلشَّيْطَٰنُ أَنَ اَذْكُرَهُۥ ﴾ [الكهف : 62]، والنسيان محلُّه القلب وكذا الذّكر لأنّ الضدّين يجب اتحاد المحلّ فيهما، فقال له الشريف : هذا منقلب بأن تقول : الذكر ضد الصمت، والصمت محلُّه اللّسان فكذا ضدُّه "[2].

ج . **منهجه في التفسير** : لا يختلف منهج الشريف التلمساني في التفسير عن قرينه المقرّي، ولا يتميّز عنه بشيء لاتحاد شيوخهما الآبلي وابني الإمام، إلّا ما عُرف به المقرّي من تحرّج من التفسير عكس الشريف التلمساني الذي عُرف بكثرة الدرس التفسيري، إذ ظلّ يفسّر القرآن طيلة خمس وعشرين سنة، ولخّص لنا حفيده منهجه صاحب المناقب بقوله : " فكان رحمه الله عالما بحروفه ولغته ونحوه وقراءاته واختلاف رواياته ، وبيانه وإعجازه وبراعته وإيجازه، وأحكامه ومعانيه وأمره ونواهيه، وناسخه ومنسوخه، ونزوله وتاريخه، وخاصّه ومجمله وظاهره ومؤوّله، ومنطوقه ومفهومه وكثير من أنواع علومه، صدفه ولبّه قشره وقلبه "[3].

ويمكن استخلاص هذا المنهج من خلال ما نقل إلينا من أقواله في كتب الفتاوى والنوازل ومؤلّفه مفتاح الوصول وذلك في العناصر التالية :

. تفسير القرآن بالسنّة : جاء في معرض حديثه عن قوله صلى الله عليه وسلم : " حُبِّب إليَّ من دنياكم الطّيب والنّساء وجُعلت قرّة عيني في الصلاة "[4]، ذكر الباقيات الصالحات الواردة في قوله تعالى :

---

[1] هو عبد الله محمد ابن عبد السلام التونسي القاضي الفقيه شارح مختصر ابن الحاجب نزيل تلمسان ودفيتها بالعباد بجوار قبر أبي مدين من تلاميذه المقري الجد وابن عرفة توفي سنة 749هـ ينظر : ابن مريم : البستان ، ص 122 . ابن فرحون : الديباج المذهب ، ج 2 ، ص 329

[2] ابن مريم : البستان ، ص 166

[3] الثغري : عبد الله بن محمد بن يوسف ، مناقب التلمسانيين ، ت : ماحي قندوز ، ط 1 (1439هـ . 2018م) دار الوعي ، الجزائر ، ص 17

[4] سنن النسائي ، باب حب النساء ، رقم : 3940 ، ج 7 ، ص 61

﴿ وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَاباً وَخَيْرٌ أَمَلًا ﴾ [الكهف : 45]، فقال : " جاء في الحديث أنّه : سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم[1]، وفي شرح حديث التحبيب ذكر قوله تعالى : ﴿ فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ ۝ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ ﴾ [القيامة : 17 . 18] فقال : أي : اقبله واحفظه حتى يتبيّن لك، ولهذا المعنى أشار صلى الله عليه وسلم في حديث أبي أيوب : إني أناجي من لا تناجون "[2].

. التطرّق لمناسبات النزول : فمعرفة المناسبة مما يقرّب فهم المعنى المراد فقد جاء في جوابه عن مسألة ثبوت الشرف من جهة الأمّ قوله : " وحديث مسلم عن أبي هريرة قال : لما نزلت ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ﴾ [الشعراء : 213] دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم قريشا فاجتمعوا فعمّ وخصّ..."[3].

وفي نفس المسألة قال : " ورد في الحديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يخطب فرأى أحد ابني ابنته يبكي فنزل وأخذه وضمه إليه وتلا : ﴿ إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ ﴾ [التغابن : 15] "[4].

. التعرض للناسخ والمنسوخ : فقد مثل لمفهوم المخالفة بقوله تعالى : ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِن تَرَكَ خَيْراً الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالأَقْرَبِينَ ﴾ [البقرة : 179]، ثمّ قال : ويقول أهل الظاهر : هذه الآية منسوخة بقوله صلى اله عليه وسلم : " لا وصية لوارث "[5]،

[1] الونشريسي : المعيار ، ج 12 ، ص 174
[2] المرجع نفسه : ج 12 ، ص 181
[3] المرجع نفسه : ج 12 ، ص 212
[4] المرجع نفسه : ج 12 ، ص 217
[5] سنن الترمذي : باب ما جاء لا وصية لوارث ، رقم : 2120 ، ج 4 ، ص 433

والجواب عند أصحابنا أنّ الآية لها جهتان في الدلالة، جهة منطوق وجهة مفهوم، فلا يلزم من نسخ مقتضى إحدى الجهتين نسخ مقتضى الأخرى "[1].

. الاهتمام باللّغة والبلاغة : وللشريف التلمساني تفسير لقوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ ﴾ [محمد : 37] سلك فيه مسلك التنكيت البلاغي حيث قال :" هي من باب قصر الموصوف على الصفة، وهي قصر قلب، ردٌّ على من زعم من الكفرة منكري الآخرة ألّا خُسر ولا ربح إلّا في الدنيا، ومن المعلوم أن قصر الموصوف على الصفة إنما هو مبالغة على طريق المجاز لا تمكن فيه للحقيقة، لأنّ كلّ ذات لابد لها من صفات متعددة أو ثبوتية أو سلبية أو مختلفة، فيستحيل حصر أحوالها في صفة واحدة بخلاف قصر الصفة على الموصوف، وإذا كان المقصود منها المبالغة لاسيما في قصر القلب لم يلزم عنه في العبارة لوازم الحقيقة، لاسيما في هذه المادة الخاصة، انظر كيف قال سبحانه وتعالى في الآية الأخرى : ﴿ ٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرُۢ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ ﴾ [الحديد : 19] فحصرها في ستّ حالات وهي أحوال الإنسان ما بين مبدئه ومحتضره، وحين أراد الإبلاغ في ذمّها حصرها في أخس هذه الأحوال وهي اللعب واللهو، إذ هما حالة الطفولية من عمر الإنسان "[2].

وقوله في قوله تعالى : ﴿ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِى قُلُوبِكُمْ ﴾ [الحجرات : 07] : " تأمّل كيف تجد ذلك أبلغ من تقدير قوله تعالى : ولكنّكم تحبّون وأحببتموه، والسبب فيه أنّ الصيغة تدلّ على قصد الفاعل، وقصد الفاعل القادر العالم للشيء المفعول يدلّ على رسوخه في الثبات، بخلاف ما حصل بالاتفاق "[3].

. التعرّض لقواعد التفسير : ففي رسالة مثارات الغلط في الأدلة ذكر جملة من القواعد التفسيرية ومثل لها بآيات من القرآن الكريم نجد فيها بصمات تفسيرية دقيقة منها :

[1] الشريف التلمساني : أبو عبد الله محمد بن أحمد ، مفتاح الوصول إلى بناء الفروع على الأصول ، ت : محمد علي فركوس ، ط1 (1419هـ . 1998م) مؤسسة الريان ، بيروت ، لبنان ص 602 . 603

[2] الونشريسي : المعيار ، ج 12 ، ص 176

[3] المرجع نفسه : ج 12 ، ص 178

. أنّ الاشتراك في جوهر اللفظ من مثارات الغلط ومن أمثلة هذه القاعدة لفظ النكاح في قوله تعالى :﴿ وَلاَ تَنكِحُواْ مَا نَكَحَ ءَابَآؤُكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ ﴾ [النساء : 22] فهو مشترك بين الوطء والعقد، ولفظ القرء في قوله تعالى : ﴿ وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوٓءٍ ﴾ [البقرة : 225]، فهو مشترك بين الطهر والحيض.[1]

. أنّ الاشتراك في هيئة اللفظ من مثارات الغلط ومن أمثلتها لفظ : (تضار) في قوله تعالى : ﴿ لاَ تُضَآرَّ وَالِدَةٌۢ بِوَلَدِهَا ﴾ [البقرة : 231]، فإنّ صيغة الفعل مشتركة بين الفعل المضارع المبني للفاعل وبين الفعل المبني للمفعول النائب عن الفاعل وأيضا قوله تعالى : ﴿ وَلاَ يُضَآرَّ كَاتِبٌ وَلاَ شَهِيدٌ ﴾ [البقرة : 281]، قال ابن عباس وعطاء : معناه : لا يمتنع كاتب من الكتب ولا شهيد من الشهادة إذا دعي إلى ذلك، فالفعل عندهما مبني للفاعل، وقال عكرمة وجماعة : معناه : أنّ الداعي لا يضرّ بهما في وقت شغل أو عذر، فالبناء عندهم للمفعول النائب عن الفاعل..."[2].

معرفة معهود كلام العرب : وهي قاعدة جليلة لتفسير القرآن الكريم لأنه نزل بلسانهم الذي عهدوا فيه ألفاظا خاصة وأساليب معينة قال الشاطبي : لا بدّ في فهم الشريعة من اتباع معهود الأميين وهم العرب الذين نزل القرآن بلسانهم، فإن كان للعرب في لسانهم عرف مستمر، فلا يصحّ العدول عنه في فهم الشريعة، وإن لم يكن ثمّ عُرفٌ فلا يصحّ أن يجري في فهمها على ما لا تعرفه "[3].

وقد أشار الشريف التلمساني إلى هذه القاعدة بقوله : وهذا جار على معهود كلام العرب... ومثاله في هذا الباب من الاقتصار على البعض قوله تعالى : ﴿ فِيهِ ءَايَاتٌۢ بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ ﴾ [آل عمران : 97] أي : بعضها، أو منها مقام إبراهيم ومثله من غير هذا الباب قول جرير :

كَانتْ حَنِيفَةُ أَثْلاثًا فَثُلُثُهُمْ   مِنَ العَبِيدِ وثُلُثٌ مِن مَواليها

---

[1] ينظر : الشريف التلمساني : أبو عبد الله محمد بن أحمد ، مثارات الغلط في الأدلة ، ت : محمد علي فركوس ، ط 1(1419هـ . 1998م) مؤسسة الريان ، بيروت ، لبنان ص 765

[2] المصدر نفسه : ص 766

[3] الشاطبي : إبراهيم بن موسى بن محمد الغرناطي ، الموافقات ، ت : أبو عبيدة مشهور ، ط 1 (1417هـ . 1997م) دار ابن عفان ، ج 2 ، ص 131

فاقتصر في تقسيمه على ذكر ثنتين وسكت عن الثلث الثالث وهم أحرار بني حنيفة، لأن ذكرهم لا يناسب قصده من الهجاء "[1].

. التطرق للقراءات : للإمام الشريف التلمساني إلمام واسع بالقراءات وتوجيهها واختلافها وشاذها ومتواترها ففي كتابه مفتاح الوصول نجد عدة إشارات تدل على ذلك منها قوله : احتجاج العلماء على وجوب غسل الرجلين بقوله تعالى :﴿ وَأَرْجُلَكُمْ ﴾ [المائدة : 07] بالنصب فيكون معطوفا على قوله : وجوهكم وأيديكم "[2].

. التعرض للأحكام الفقهية : اتفق كل من ترجم للشريف التلمساني على أنه بلغ درجة الاجتهاد في الفقه وحصل شروطه إذ كان ذا اطلاع واسع بمذاهب الفقهاء لذلك لا شك أنه كان يتوقف في درسه التفسيري عند آيات الأحكام ويورد ما حملته من مسائل واستنباطات فقهية يدل على ذلك ما حوته فتاويه وتآليفه من استدلال ببعض آي القرآن وتعرض لها بالتفسير والبيان من ذلك :

تفسير التراضي الوارد في قوله تعالى :﴿ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَـٰرَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ ﴾ [النساء : 29] بقوله : وهو أمرٌ خفيٌّ لا يمكن إناطة الحكم به فاعتبر الشرع مظنّته، وهو الإيجاب والقبول لدلالتهما عليه،..."[3].

وفي مفتاح الوصول أفاض في التمثيل للقواعد الأصولية مبرزا إحاطته بآيات الأحكام فهما واستنباطا نذكر منها : ذكر استدلال المالكية بقوله تعالى : فإما منا بعد وإما فداء على أنّ الإمام مخيّرٌ في الأسرى بين المنّ والفداء، ومخالفة الحنفية لذلك استدلالا بقوله تعالى في نفس الآية : ﴿حَتَّىٰ تَضَعَ ٱلْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ﴾ [محمد : 04]، ووضع الحرب أوزارها مجهول، فإنّه يحتمل أن يكون المراد منه : حتى لا يبقى شرك أي : إلى يوم القيامة، ويحتمل أن يريد : حتى يفترق القتال... والجواب عند أصحابنا : أنّ أئمة التفسير قد رووا عن ابن عباس : حتى ينزل عيسى ابن مريم، وحتى لا يبقى على الأرض مشرك "[4].

[1] الونشريسي : المعيار ، ج 12 ، ص 171
[2] الشريف التلمساني : مفتاح الوصول ، ص 459
[3] المرجع السابق : ج 9 ، ص 335
[4] المصدر السابق : ص 433

فهذا مثالٌ دالٌّ على إلمام الشريف التلمساني بأقوال المفسرين واختلاف الأحكام تبعا لتأويلاتهم ومستند كلّ مذهب منها.

. الردّ على الغالين والمنحرفين : ويظهر ذلك في جوابه عن وجه الجمع بين قوله تعالى : ﴿ قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ اللَّهِ ﴾ [النساء : 77]، وقوله :﴿ مَّآ أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ ﴾ [النساء : 78]، حيث قال : " اختلف المفسرون في وجه الجمع بين الآيتين، ولهم فيما أحسب أنّي وقفت عليه طرق ثلاثة :

الطريقة الأولى : قالت فرقة : في الكلام حذف به يتمّ المعنى ويلتئم، وتقديره : " فمال هؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثا، يقولون : ما أصابك من حسنة فمن الله، وما أصابك من سيئة فمن نفسك " فيكون هذا التفصيل محكيا عنهم ومنكَرا عليهم، والحقّ ما دلّ عليه تعالى في قوله : ﴿ قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ اللَّهِ ﴾، ومنهم من قدّر همزة الإنكار بعد قوله : ﴿ فَمِنَ اللَّهِ ﴾ وذلك من كلام الله غير محكي عنهم، وتقدير الكلام بعده : " أوما أصابك من سيئة فمن نفسك "[1].

واعترض الشريف التلمساني على هذه الطريقة بقوله : " وبالجملة فهذان القولان يتضمنان إنكار إسناد السيئات إلى العبد، والقرآن صريح في نسبتها إليه كقوله : ﴿ وَمَآ أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ ﴾ [الشورى : 28]، وقوله : ﴿ قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ ﴾ [آل عمران : 165] فكيف ينكر عليهم قولا قد أجابهم به حين قالوا : " أنّى هذا "[2].

الطريقة الثانية : قالت فرقة : يراد بالحسنة والسيئة تارة النعمة والبليّة كقوله تعالى : ﴿ وَبَلَوْنَاهُم بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ ﴾ [الأعراف : 168]، وقوله : ﴿ فَإِذَا جَآءَتْهُمُ الْحَسَنَةُ قَالُوا لَنَا هَٰذِهِۦ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا بِمُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥ ﴾ [الأعراف : 130]، وتارة الطاعة والمعصية كقوله تعالى : ﴿ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ﴾ [هود : 114]، وقوله : ﴿مَن

[1] الثغري : مناقب التلمسانيين : ص 211

[2] المصدر نفسه : ص 212

جَآءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَن جَآءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾ [الأنعام : 160]،... قالوا : فيناسب الآية الأولى قوله : ﴿ قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ اللَّهِ ﴾ [النساء 77] فإنّه يناسب النعمة والبليّة، والآية الثانية : ﴿ مَّآ أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ ﴾ [النساء : 78] يناسب الطاعة والمعصية اللتين هما سبب الثواب والعقاب، ومتعَلّقا التكليف الذي من أجله بعثت الرسل، وإنّما وقع التفصيل بين الطاعة والمعصية في النسبة إلى الله تعالى وإلى العبد . وإن كان كلٌّ منهما تقديرا وخلقا، لأنّ الطاعة واقعة بقدر الله تعالى ومشيئته وأمره ورضاه، وأمّا المعصية وإن وقعت بالقدر والمشيئة فلا حظّ لها في الأمر والرضا، فلذلك نسبت الطاعة إلى الله تعالى والمعصية إلى العبد.[1]

واعترض على هذه الطريقة بقوله : " وفي هذا التفسير نظر، بل الظاهر أنّ المراد بالحسنة والسيئة في الآيتين جميعا : النعمة والبليّة، فإنّ لفظ الإصابة يقترن شائعا ذائعا بالنعمة والبليّة بخلاف الطاعة والمعصية، وأيضا فسبب النزول يشهد لما قلناه، على ما ذكره المفسّرون، فمنهم من قال : إنّ المنافقين كانوا إذا خرجوا مع النبي صلى الله عليه وسلم في غزو، إن غنموا قالوا : هذا من الله لا من بركة محمد، وإن انهزموا قالوا : هذا من شؤمه، ومن سوء تدبيره، وقيل : الزاد والخصب والجذب، وذلك أنّ النبي صلى الله عليه وسلم حين قدم المدينة أصابهم جذب، وقد كان قبل ذلك خصب، فكانوا يقولون : هذا من شؤم محمد "[2].

الطريقة الثالثة : قالت فرقة : ينبغي أن يعلم الفرق بين قول القائل : " هذا من زيد " و " هذا من عند زيد "، فإذا قلت : " هذا من عند زيد " فهو أعمّ من المباشرة ومن التسبّب، وإذا قلت : " هذا من زيد " فلا يكون إلا مباشرة، وذلك أنّ (**من**) هي لابتداء الغاية على إيصال الشيء بما دخلت عليه (**من**)، وأمّا **'عند'** فهي دالّة على الجهة، فدلّ لفظ **' من '** فيها على إيصال الشيء بجهة زيد ولا ينعكس، فقوله : ﴿ قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ اللَّهِ ﴾ لا ينافي قوله : ﴿وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ ﴾ فلأنّ الحسنة من الله ومن عنده، وأمّا السيئة فمن عند الله وليست منه، قالوا : وإنما كانت

[1] الثغري : مناقب التلمسانيين ، ص 213

[2] المصدر نفسه : ص 213

الحسنة من عند الله ومنه، لأنّها واقعة بإرادته سبحانه،وأمره ورضاه وتوفيقه، وأمّا السيئة فإنّها وإن كانت بإرادته، ليست بأمره ولا برضاه ولا بتوفيقه "[1].

فاعترضها بقوله : " هذا يناسب تفسير الحسنة والسيئة بالطاعة والمعصية، فإنهما متعلقا الأمر والرضا والتوفيق والنهي والسخط والخذلان، وقد قدّمنا أن تفسير الحسنة والسيئة بالنعمة والبلية أدعى إلى المقام، وأجرى على قوام النظم في الكلام، على أن من الناس من كاد يعكس في التفسيرين المذكورين ل : من وعند بأن قال بعض : " من " تدلّ على البداية وذلك لا يقتضي الاستقلال والاستبداد بالنسبة، وأما لفظ " عند " فهي دالة على الاستقلال والاستبداد بالنسبة، فقولك : هذا من عند الله يدلّ على عدم الواسطة، كما في قوله تعالى : ﴿قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾ [آل عمران : 37] لا مشاركة فيه لغيره، وكذلك لفظ (لدن) في قوله : ﴿ وَعَلَّمْنَـٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْماً ﴾ [الكهف : 64] أي : لا بواسطة تعليم معلّم غيرنا، وكأنّ هؤلاء رأوا أنّ الظرف من شأنه أن يكون محيطا بالمظروف، فكأنّ الجهة الإلهية أحاطت بالشيء المنسوب إليها بخلاف لبعض " من " ، وهذا كلُّه خارج عن النظر في الآية، وقد قال تعالى في السيئات : ﴿ قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ﴾ [آل عمران : 165] فيدلّ على هذا استقلال العبد بالنسبة إليه، وقال تعالى : ﴿ قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ﴾ فدلّ على استقلال الله بالنسبة إليه "[2].

ثمّ ختم الجواب بالتفسير الذي يرجّحه ويرتضيه بقوله : " **الطريقة الرابعة** : وهي المرضية عندنا وذلك أنّ الحسنة والسيئة قد قدّمنا أنّهما في الآيتين بمعنى النعمة والبليّة، ولا شكّ أنّهما مخلوقتان له تعالى، ومقدورتان له، فوجب نسبتهما إلى الله تعالى حقا وتقديرا، وأيضا فالله عزّ وجلّ يبتلي بهما خلقه كما قال : ﴿ وَبَلَوْنَـٰهُم بِالْحَسَنَـٰتِ وَالسَّيِّـَٔاتِ ﴾ [الأعراف : 168]، ولما كانت البلايا لاحقة للإنس بسبب اكتسابهم سيئاتهم، نسبت إليهم قال الله تعالى : ﴿ وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوْمٍ سُوٓءاً فَلاَ مَرَدَّ لَهُۥ ﴾ [الرعد : 12]، وقوله عزّ وجلّ : ﴿وَمَآ أَصَـٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ بِمَا كَسَبَتَ أَيْدِيكُمْ﴾ [الشورى : 28]، وقوله تعالى : ﴿ مَنْ يَّعْمَلْ سُوٓءاً يُجْزَ بِهِۦ ﴾ [النساء : 122] ولما نزلت هذه

[1] الثغري : مناقب التلمسانيين ، ص 214

[2] المصدر نفسه : ص 217

الآية شقّ ذلك على أبي بكر وعمر، قال رسول الله صلى الله عيه وسلم : " يا أبا بكر ألست تمرض ؟ ألست تحزن ؟ ألست تصيبك اللأواء ؟ "، فبيّن هذا أنّ البلايا الدنيوية سواء كانت نفسانية أو جسمانية، فإنّما هي جزاءٌ بما اقترف العبد، فقوله تعالى : ﴿ قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ اِ۬للَّهِۖ ﴾ يعني الحسنات والسيئات تقديرا وخلقا، وقوله تعالى : ﴿وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٖ فَمِن نَّفْسِكَۖ ﴾ يعني بسبب ذنبك وكسبك، كما أنّ الملك يعاقب على الذنب فيصحّ نسبة العقوبة إلى الملك وإلى الجاني بالجهتين.

فإن قيل : هذا المعنى الذي ذكرتم في السيئة، هو بنفسه قائم في الحسنة، فإنّ النعم أيضا في الدنيا هي بسبب الطاعات المكتسبة قال الله تعالى : ﴿ وَأَن لَّوِ إِسْتَقَٰمُواْ عَلَى اَ۬لطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَٰهُم مَّآءً غَدَقاً ﴾ [الجن : 16]، وقال تعالى: ﴿وَكَثِيرٞ مِّنْهُمْ سَآءَ مَا يَعْمَلُونَ ﴾ [المائدة : 68] وقال تعالى : ﴿ فَقُلْتُ إِسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمُۥٓ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّاراً ۝١٠ يُرْسِلِ اِ۬لسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَاراً ۝١١ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٖ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّٰتٖ وَيَجْعَل لَّكُمُۥٓ أَنْهَٰراً ﴾ [نوح : 10 . 11 . 12] وقال صلى الله عليه وسلم : " إِنَّ اللهَ لا يَظْلِمُ مُؤْمِناً حَسَنَةً، يُؤتَى بها في الدُّنيا ويُجزَى بها في الآخِرة "[1]، فدلّت هذه الدلائل على أنّ النعم أيضا جزاء على كسب الخلق، كما أنّ البلايا كذلك، فلئن صح نسبة السيئة إلى العبد بذلك، فليصح نسبة الحسنة إليه، فما وجه الفرق بين الحسنة والسيئة في الآية ؟ قلنا : هذا هو سرّ المسألة، وبإيضاحه يتمّ الفرق، وهو أن تعلم أنّ النعم كما قلنا تابعة للطاعات، وأنّ البلايا تابعة للمعاصي كما تقرّر من الآيات والأخبار، لكن الطاعة والمعصية ليستا سواء في النسبة إلى الله تعالى، ولا بالنسبة إلى العبد، وذلك أنّ الطاعة والمعصية لهما سببان باطنان حقيقيان وهما : القدر الإلهي، والإرادة الربّانية، لكن العبد لم يفعل الفعل لأنّ الله أراده وقدّره، لأنّ هذا مما لا يعلمه إلا بعد وقوعه، فلا يصح بناء الأفعال عليها، أمّا بالنسبة إلى الطاعة فهو إرادة العبد، لكن الباعث المحرك للإرادة المتعلقة بالطاعة الأمر التكليفي الشرعي، وأمّا الباعث المحرك للإرادة المتعلقة بالمعصية فإنما هو هوى النفس، فظهر إسناد السبب الظاهر في الطاعة إلى الله تعالى، بخلاف السبب الظاهر في المعصية فإنّه مستند إلى النفس "[2].

---

[1] صحيح مسلم : باب جزاء المسلم بحسناته في الدنيا ، رقم : 2808 ، ج 4 ، ص 2162

[2] الثغري : مناقب التلمسانيين ، ص 219

فإن قيل : كما أنّ الطاعة مأمور بها، كذلك المعصية منهي عنها، والأمر والنهي هما السببان في كون الفعل طاعة و معصية، فكانت الطاعة والمعصية معا مسندين إلى الله تعالى، قلنا : إنما أثر النهي في كون الفعل معصية وليس ذلك من فعل العبد ولا من كسبه، أمّا الأمر هو وإن كان أثّر في كون الفعل طاعة، فهو نفسه المحرك لإرادة الطاعة، بل النهي محرك وباعث على الكف على المعصية.

فوضح بما قررناه أنّ الطاعة منسوبة إلى الله تعالى بسببها الظاهر والباطن، وأمّا المعصية فإنها منسوبة إلى الله تعالى بالسبب الباطن لا بالسبب الظاهر، فلذلك يصح نسبتها إلى الله تعالى كما في الآية الأولى، ويصح التفصيل كما في الآية الثانية، وإنّما جمعهما نسبة إلى الله تعالى نظرا إلى الحقيقة،، وإنّما فرّقهما في الآية الثانية ردّا على المنافقين، إذ نسبوا السيئات إلى النبي صلى الله عيه وسلم شؤما وتدبيرا، فقال : ﴿ هَـٰذِهِۦ مِنْ عِندِكَۚ ﴾ يعني بسببك لا بسبب غيرك، والخطاب عامّ غير خاصّ بالنبي صلى الله عليه وسلم كقوله : ﴿فَإِذَا جَآءَتْهُمُ ٱلْحَسَنَةُ قَالُوا۟ لَنَا هَـٰذِهِۦۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا۟ بِمُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓۗ ﴾ [الأنعام : 130]، وقول الشاعر :

إِذَا أَنتَ أَكْرَمْتَ الكَرِيمَ مَلكْتَهُ   وإِنْ أَنتَ أَكْرمْتَ اللئِيمَ تمرَّدَا

فهذا هو الذي حضرني في الجمع بين الآيتين والله الموفق "[1].

ففي هذه الرسالة دليل على براعة الشريف التلمساني في التفسير، وإلمامه بأقوال المفسرين، ومعرفته لمستند كلّ قول من الأقوال، مع قدرة على ابداء الرأي الذي يرتضيه ويرجّحه، وإفاضة الأدلة عليه، وهو أمر لا يقدر عليه إلّا من عاش مع علم التفسير وتوسّع في مطالعة كتب المفسرين السابقين.

[1] الثغري : مناقب التلمسانيين ، ص 219. 220

النموذج الثالث : ابن مرزوق الخطيب

أ . ترجمته : هو أبو عبد الله محمد بن أحمد بن محمد بن محمد بن محمد بن مرزوق الخطيب العجيسي التلمساني، شمس الدين شهر بالخطيب وبالجدّ ابن مرزوق، شارح العمدة في الحديث والشفاء، المشارك في الفنون من أصول وفروع وتفسير، ولد سنة 710هـ بتلمسان، ارتحل مع والده إلى المشرق، وتوفي بالقاهرة سنة 781هـ، ودفن بين ابن القاسم وأشهب، من أشهر تلامذته : لسان الدين ابن الخطيب، وابن قنفد، وأبو إسحاق الشاطبي، وغيرهم [1].

ب . منهجه في التفسير : سنقتصر في بيان منهجه في التفسير على أقواله التي وردت في رسالة جنى الجنتين (تفسير سورة القدر)، وعلى بعض الأقوال التي وردت في شرحه لعمدة الأحكام المسمّى : " تيسير المرام " والتي يظهر من خلالها أنه ذو مشاركة كبيرة في هذا العلم واطّلاع واسع على أقوال المفسّرين، فما من آية يستشهد بها في شرحه إلّا وذكر شيئا يتعلّق بتفسيرها أو إعرابها أو أوجه القراءة فيها، أو نقل نكتة بلاغية تتصل بها، وهو في ذلك كلّه إمّا معتمدا على أقوال المفسّرين وهو الغالب، وإما مدليا بدلو اجتهاده ومعرفته، ويمكن حصر معالم منهجه في العناصر التالية :

. تفسير القرآن بالقرآن : قوله : " قد ذكر بعضهم أنّ قوله : ﴿صِرَٰطَ ٱلذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ ﴾ [الفاتحة : 06] إشارة إلى ما في هذه الآية، وهو قوله : ﴿مَعَ ٱلذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم ﴾ [النساء : 68] فكأن هذا تفسير لتلك "[2].

. الاستعانة بسبب النزول ومناسباته : فعند قوله تعالى :﴿ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَّتَطَهَّرُواْ ﴾ [التوبة : 109] قال : " قيل : كانوا يستنجون، وقيل يجمعون بين الماء والحجارة، وأنزلت في أهل قباء لهذا المعنى، وفي بعض الأخبار : لما أنزلت قال رسول الله صلى الله عيه وسلم : " ما هذا الذي أثنى الله به عليكم يا أهل قباء ؟ فقالوا : ما مِنّا أحدٌ إلَّا ويَستنجِي بالماء "[3] الحديث [1].

[1] ينظر : التنبكتي ، نيل الابتهاج ص 450 . ابن الخطيب : الإحاطة ، ج 3 ، ص 75 . ابن فرحون : الديباج ، ج 2 ، ص 290 . ابن مريم : البستان ، ص 184 . ابن مخلوف : شجرة النور ، ج 1 ، ص 340

[2] ابن مرزوق الخطيب : تيسير المرام ، ص 747

[3] المصدر نفسه : ص 672 . 673

وبيّن سبب نزول سورة القدر فقال : " ذكر غير واحد من المفسّرين رحمة الله عليهم للتفضل بهذه الليلة على رسول الله صلى الله عليه وسلم أسبابا، أوجهها عندي ما جاء من طريق تعتمد صحّتُه ويعوّل على نقله، وهو ما رويناه بأسانيدنا المتعدّدة إلى إمام دار الهجرة أبي عبد الله مالك بن أنس رضي الله عنه في موطئه، أنّه سمع من يوثق به من أهل العلم يقول : أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم أُرِيَ أعْمارَ النّاسِ قَبلَهُ أَو ما شَاء اللهُ مِن ذلك، فكأنَّهُ تَقاصَرَ أَعْمَارَ أُمَّتِهِ أَنْ لا يَبلُغُوا من العمل مِثْلَ الذي بَلغَ غَيرُهُم في طُولِ العُمُرِ، فأَعطاهُ اللهُ ليلةَ القَدْرِ خَيرٌ مِنْ ألفِ شَهْرٍ "[2].

. تفسير القرآن بالسنّة : من ذلك قوله : " وقد قيل عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى : ﴿ وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ﴾ [البقرة : 123] قال : " أمره بعشر خصال : ثم عدّدهن على نحو ما جاء في الحديث فلمّا فعلهنّ قال :" إني جاعلك للناس إماما " ليقتدى بك "[3]، يشير إلى قوله صلى الله عليه وسلم : " عشر من الفطرة :..."[4].

. التفسير بأقوال الصحابة والتابعين :عند قوله تعالى : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ﴾ [الأحزاب : 56] قال ابن عباس : إن الله وملائكته يباركون على النبي، وقيل : إن الله يترحم على النبي، وملائكته يدعون له "[5].

وعند قوله تعالى :﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ ﴾ [المائدة : 07] يقول : " وعن السدي وزيد بن أسلم : معنى الآية : إذا قمتم إلى الصلاة، يريد من المضاجع، يعني : النوم"[6].

وعند كلامه عن أصل تسمية سورة القدر بهذا الاسم ومعناه، عدّد أقوالا للصحابة والتابعين فقال : " قال مجاهد : سمّيت ليلة القدر لأنها ليلة الحكم، وهو التقدير، وقال أيضا : سمّيت بذلك لأنّ الله تعالى

---

[1] أخرجه الترمذي في التفسير ، باب ومن سورة التوبة وقال : غريب من هذا الوجه ، رقم : 3100 ، ج 5 ، ص 280

[2] ابن مرزوق الخطيب : أبو عبد الله محمد بن أحمد ، جنى الجنتين في شرف الليلتين ، ت : إبراهيم بن راشد المريخي ، ط 1 (1437هـ . 2016م) دار الضياء ، الكويت ، ص 69

[3] المصدر نفسه : ص 887

[4] صحيح مسلم : الطهارة ، باب خصال الفطرة رقم : 261/56 ، ج 1، ص 223

[5] ابن مرزوق الخطيب : تيسير المرام ، ص 274

[6] المصدر نفسه : ص 419

يقدِّر فيها ما شاء من أمره إلى محلّها من السنة المقبلة، من أمر الموت والأجل والرزق وغيره، وتسليمه إلى مدبرات الأمور، وهم أربعة من الملائكة : إسرافيل وميكائيل وجبريل وملك الموت عليهم السلام .

وقال ابن عباس رضي الله عنهما : يكتب من أمّ الكتاب ما يكون في السنة من رزق ومطر وحياة وموت حتى الحاج.

قال عكرمة : يكتب حُجّاج بيت الله في ليلة القدر بأسمائهم وأسماء أمّهاتهم، فلا يغادر منهم أحد ولا يزاد فيهم وقاله سعيد بن جبير.

وقال ابن عباس : إنّ ذلك إنما يكون في النصف من شعبان ويُسلَّم لأرباب التقدير في ليلة القدر ."[1]

. الاهتمام بالقراءات : يظهر من خلال ما أورده في هذا الباب من أقوال درايته التامّة بالقراءات، ومعرفته لوجوهها المتواتر والشاذ منها، فنجده يذكر اختلاف القرّاء في بعض الألفاظ فمثلا في " الحمد لله " يقول : " رفع الدال من الحمد لله هي اللغة الفصحى، وكسر اللام من لله، وهي قراءة القراء السبعة وعليها الجمهور، وروي عن سفيان بن عيينة ورؤبة بن العجاج : فتح الدال بالنصب على المصدر أو على إضمار فعل، وقرأ ابن أبي عبلة بضم الدال واللام، على إتباع حركة اللام حركة الدال، وقرأ الحسن بن أبي الحسن البصري بكسر الدال واللام، على إتباع حركة الدال لحركة اللام، وروي مثله عن زيد بن علي، وأما وجه قراءة الجمهور وهي رفع الدال وكسر اللام، فالحمد رفع بالابتداء، ولله : الخبر، والابتداء عامل معنوي غير ملفوظ به، وهو خلو الاسم المبتدأ من العوامل اللفظية، واللام متعلقة بالخبر المحذوف الذي قامت اللم مقامه، كما كانت الباء في بسم، تقديره : الحمد ثابت أو مستقر لله "[2] .

يستدل ببعض القراءات على بعض المعاني، من ذلك استدلاله على أن : أله بمعنى : تعبّد بقوله تعالى : ﴿وَيَذَرَكَ وَءَالِهَتَكَ﴾ [الأعراف : 126] على هذه القراءة، فإن ابن عباس وغيره قالوا : وعبادتك "[3].

---

[1] ابن مرزوق الخطيب : جنى الجنتين ، ص 75

[2] ابن مرزوق الخطيب : تيسير المرام ، ص 223 . 224

[3] المصدر نفسه : ص 219

يشير إلى توجيه بعض القراءات وذلك نحو قوله : "وقد تأول مجموعة من الفقهاء قوله تعالى : ﴿ وَامْسَحُواْ بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ ﴾ [المائدة : 07] بالخفض، يعني : إذا كانا في الخفين"[1].

ينسب القراءات لأصحابها : فيقول مثلا عند قوله تعالى : ﴿وَأَرْجُلَكُمْ﴾ وهي قراءة أبي عمر ابن العلاء، وابن كثير، وحمزة..."، وهو صنيعه في الغالب، وقد لا ينسب نحو قوله : ﴿وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ ﴾ [يوسف : 45] مثلا : " ومن قرأ " بعد أمة " بفتح الهمزة وتخفيف فسيان "[2].

ومن أمثلة القراءة الشاذة ويوجهها ففي سورة القدر قال : " وأمّا من قرأ : "من كلّ أمري "فظاهر وتأوّلوا على هذه القراءة **'من'** بمعنى على أي : يسلّمون على كلّ امرئ واحتجوا بما روي عن أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "إذا كان ليلة القدر نزل جبريل عليه السلام في كتيبة من الملائكة "[3]

. استعمال اللغة في بيان معاني الألفاظ : فعند ذكر قوله تعالى : ﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوىٰ ﴾ [النجم : 01] قال : أي إذا سقط، يهوي بالكسر، وهوي بالكسر [4].

وعند قوله تعالى :﴿ فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ اِلَى اْلسَّمَآءِ ﴾ [الحج : 15] قال :أي فليمدد بحبل "[5].

وكذلك عند قوله تعالى :﴿عَلَىٰ شَاكِلَتِهِۦ ﴾ [الإسراء : 84] يقول : يعني على نيته "[6]، وأيضا عند قوله : " والصبح إذا تنفس " يقول : تبلج "[7].

[1] ابن مرزوق الخطيب : تيسير المرام ، ص 772

[2] المصدر نفسه : ص 603

[3] المصدر نفسه : ص 85

[4] المصدر نفسه : ص 769

[5] المصدر نفسه : ص 834

[6] المصدر نفسه : ص 402

[7] المصدر نفسه : ص 681

وفي سورة القدر قال : " القدر قال في الصحاح : قَدْرُ الشيءِ : مبلغه، وقَدَرُ الله وقَدْرُهُ بمعنى ، وهو في الأصل مصدر، وقال تعالى :﴿ مَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ ﴾ [الحج : 74] أي : ما عظّموا الله حقّ تعظيمه، والقدَر والقدْر أيضا ما يقدّره الله سبحانه من القضاء وأنشد الأخفش :

ألا يا لَقومي للنّوائبِ والقَدْر   وللأمْرِ يأْتي المرءَ من حيثُ لا يَدْري

وقال الخليل : لأنّ الأرض تضيق فيها بالملائكة كقوله تعالى :﴿ وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُۥ ﴾ [الطلاق: 07] "[1].

. النقل من كتب أهل اللغة : يعتمد ابن مرزوق على أقطاب اللغة كالفارسي، والزجاج، والفراء، وأبو عبيدة، وابن كيسان ممن ألفوا في معاني القرآن فمثلا عند قوله تعالى : ﴿ قُلۡ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلۡفَوَٰحِشَ ﴾ [الأعراف : 31] قال أبو علي الفارسي في شيرازياته : " يقول ناس من النحويين : إن المعنى : ما حرم ربي إلا الفواحش، قال : ووجدت ما يدل على صحة قولهم في هذا، وهو قول الفرزدق :

أنا الذّائِدُ الحامِي الذِّمارَ وإنما   يُدافِعُ عن أحسَابهم أنا أَو مِثلي

قال الزجاج : والذي أختاره في قوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةَ وَالدَّمَ ﴾ [النحل : 115] أن تكون ' ما ' هي التي تمنع ' إن ' من العمل، ويكون المعنى : ما حرم عليكم إلا الميتة، لأن إنما يأتي إثباتا لما يذكر بعدها ونفيا لما سواها، قال أبو علي : التقدير في البيت : وما يدافع عن أحسابهم إلا أنا ومثلي "[2].

---

[1] ابن مرزوق الخطيب : جنى الجنتين ، ص 179

[2] ابن مرزوق الخطيب : تيسير المرام ، ص 385. 386

وينتقد بعض أقوال أهل اللغة فمثلا عند قوله تعالى : ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴾ [الإخلاص : 01] يقول : " قال الفراء : هو : عماد، ومعناه : الله أحد، وهذا ضعيف لأن العماد لا يكون هنا، إلا بعد إن وأخواتها..."[1].

. يتعرض لبعض أوجه الإعراب : فعند إيراد قوله تعالى :﴿ فَأَمَّا مَنَ اَعْطِىٰ وَاتَّقِىٰ ۝ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنِىٰ ۝ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرِىٰ ﴾ [الليل : 05 . 06 . 07] قال : " **من**" رفع بالابتداء، و "**سنيسره**" الخبر وهو شرط، وجواب ﴿ فَأَمَّا ٱلْيَتِيمَ فَلاَ تَقْهَرْ ﴾ [الضحى : 09] انتصب اليتيم لأنّه مفعول مقدّم وقع عليه ﴿ فلا تقهر ﴾"[2] .

. يقرر ما تحمله الآيات من عقائد : من ذلك عند قوله تعالى : ﴿ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيماً حَكِيماً ﴾ [النساء : 17] قال : " إنه لما علم الناس أنه عليم حكيم قيل لهم ذلك، وكذلك كان الله جلّ جلاله في الأزل على ما هو عليه الآن ولا يزال جلّ جلاله "[3].

وعند قوله تعالى : ﴿ هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيّاً ﴾ [مريم : 65] أي : من تسمى باسمه الذي هو الله، فالله تعالى إسم لواجب الوجود، الحق الجامع لصفات الإلهية، المنعوت بنعوت الربوبية، المنفرد بالوجود الحقيقي لا إله إلا هو... وقيل : معناه الذي يستحق أن يعبد، وقيل معناه : واجب الوجوب الذي لم يزل ولا يزول سبحانه والمعاني متقاربة "[4].

. الاهتمام بالنكت البلاغية : فأورد بعض الأقوال للفاكهاني تحمل بصمة بلاغية منها : عند قوله تعالى : ﴿ ثُمَّ أَدْبَرَ يَسْعِىٰ ﴾ [النازعات : 22] والمراد على ما قيل : ثم أقبل يسعى... فوضع أدبر موضع أقبل لئلا يوصف بالإقبال، قاله الزمخشري في تفسيره "[5].

---

[1] ابن مرزوق الخطيب : تيسير المرام ، ص 242

[2] المصدر نفسه : ص 301

[3] المصدر نفسه : ص 815

[4] المصدر نفسه : ص 217

[5] المصدر نفسه : ص 585

وعند ذكر قوله تعالى : ﴿ سَرَٰبِيلَ تَقِيكُمُ ٱلْحَرَّ ﴾ [النحل : 81]، قال : " ولم يذكر البرد للعلم به "[1].

وقال عند قوله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ ﴾ [البقرة : 220] قال : " فابتدأ بالتوبة المطهِّرة للأمر الآكد أوّلا، ومستقذرات الباطن أشدّ بلاء "[2].

. يتعرّض للأحكام الفقهية : وهو الفقيه المالكي شارح ابن الحاجب، ذو الاطلاع على المذاهب والأقوال، فنجده يذكر ما يتعلق بالآية محلّ الاستشهاد من أحكام ومسائل من ذلك : استدلاله بقوله تعالى : ﴿ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ ﴾ [الزمر : 62] على أن الردّة تُنقض الوضوء قال : " فيجب الوضوء بعد الرجوع إلى الإسلام "، ثمّ أشار إلى الخلاف في المسألة فقال : " ووافق المازري من أصحابنا الشافعي فقال : لا تنقض لقوله تعالى : ﴿ وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ ﴾ [البقرة : 215] وهو من باب ردّ المطلق للمقيّد "[3].

وعند قوله تعالى : ﴿إِذَا قُمْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ ﴾ [المائدة : 07] قال : " وقال جمهور أهل العلم : معنى الآية : إذا قمتم إلى الصلاة محدثين، وليس في الآية على هذا تقديم ولا تأخير، وهو قول أكثر الصحابة كسعيد بن أبي وقاص، وابن عباس، وأبي موسى الأشعري وغيرهم، وإليه ذهب الشافعي "[4].

. اعتماده على كتب التفسير : يعتمد ابن مرزوق على أشهر كتب المفسرين وينقل أقوالهم، يصرح بصاحب القول أحيانا لكن في الغالب يقول : قال بعضهم، أو جاء في بعض التفاسير، وذهب محققوا المفسرين، فمن الأول : قوله في قوله تعالى : ﴿الحمد لله ﴾ [الفاتحة : 01] قال الطبري : " الحمد لله :

[1] ابن مرزوق الخطيب : تيسير المرام ، ص 606
[2] المصدر نفسه : ص 675
[3] المصدر نفسه : ص 837
[4] المصدر نفسه : ص 418

ثناء أثنى به على نفسه وفي ضمنه أمر عباده أن يثنوا عليه، فكأنه قال : قولوا : الحمد لله، وعلى هذا يجيء قولوا : إياك نعبد، وقال : وهذا من حذف العرب ما يدل ظاهر الكلام عليه "[1].

وأيضا قوله عند قوله تعالى : ﴿ وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ﴾ [البقرة : 60] : "... على ما قاله صاحب الكشاف ولفظه : إن قلت : فقتل الأنبياء لا يكون إلّا بغير الحقّ، فما فائدة ذكره ؟ قلت : معناه : أنهم قتلوهم بغير الحق، لأنهم لم يقتلوا ولا أفسدوا في الأرض، ولا استوجبوا القتل لسبب يكون شبهة لهم ومستندا ، بل نصحوهم ودعوهم إلى ما ينفعهم، فقتلوهم، فلو سئلوا وأنصفوا من أنفسهم، لم يذكروا وجها يوجب عندهم القتل "[2].

ونقل القاضي أبو بكر بن العربي رحمة الله عليه الاختلاف في ذلك فقال : هي ليلة القدر، والقدْر والقدَر فأما الأول فالمراد به الشرف كقولهم لفلان قدر في الناس يعنون بذلك مزية وشرفا "[3].

وعند قوله تعالى : ﴿ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ ﴾ [القدر : 02] قال : " وهذا بيان صريح للفضل، قال الإمام فخر الدين ابن الخطيب رحمة الله عليه : يعني ولم تبلغ درايتك غاية فضلها ومنتهى علوّ قدرها، قلت هذا خلاف ما قاله الفراء فإنّه حكى عنه غير واحد أنّه قال : كلّ ما في القرآن من قوله : وما أدريك فقد أدراه إياه، وما كان من قوله : يدريك فلم يدره، وحكي مثله عن سفيان وعلى كلا التقديرين ففيه الإبهام المقتضي التعظيم "[4].

ومن الثاني : قوله : "وجاء في بعض التفاسير في قوله تعالى :﴿ ٱلذَيْنِ أَضَلَّانَا مِنَ ٱلْجِنِّ وَالِانسِ نَجْعَلْهُمَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا لِيَكُونَا مِنَ ٱلاَسْفَلِينَ ﴾ [فصلت : 28] فإنّه أراد بالذين من الجنّ والإنس : إبليس لأنّه أوّل من سنّ الكفر، وقابيل لأنّه أوّل من سنّ القتل.."[5] .

---

[1] ابن مرزوق الخطيب : تيسير المرام ، ص 226

[2] المصدر نفسه : ص 748

[3] ابن مرزوق الخطيب : جنى الجنتين ، ص 76

[4] المصدر نفسه : ص 77

[5] ابن مرزوق الخطيب : تيسير المرام ، ص 712

وعند قوله تعالى : ﴿ لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنَ ٱلْفِ شَهْرٍ ﴾ [القدر : 03] قال : "... فبيّن سبحانه وتعالى فضلها وعظمها ولا شك أنّ فضيلة الزمان إنما تكون بكثرة ما يقع فيه من الفضائل، وأمّا الأزمان في أنفسها فلا تفاوت فيها..."[1].

وقد قال جمع من المفسّرين : أي : العمل فيها خير من العمل في ألف شهر ليس فيها ليلة القدر، وقاله أبو العالية وقال : عني بألف شهر جميع الدهر، وروينا في الصحيح من غير طريق أنّه صلى الله عليه وسلم قال من قام ليلة القدر إيمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه رواه أبو هريرة ، ولهذا قال غير واحد من المفسّرين إنّ الألف شهر فيها الدهر كلّه، قالوا : والعرب تذكر الألف في غاية الأشياء كما قال تعالى : ﴿ يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ ﴾ [البقرة : 95] يعني جميع الدهر "[2].

فهؤلاء الأعلام رغم أنّهم لم يصنّفوا في التفسير لكن هذا الكمّ الهائل من الأقوال التفسيرية المنثورة في مؤلّفاتهم في غيره من العلوم تدلّ دلالة واضحة وساطعة على أنّهم من أهل البراعة فيه.

---

[1] ابن مرزوق الخطيب : جنى الجنتين ، ص 97

[2] المصدر نفسه : ص 80

الفصل الرابع

خصائص مدرسة التفسير الجزائرية واتجاهاتها

المبحث الأول : خصائص مدرسة التفسير الجزائرية

المبحث الثاني : اتجاهات مدرسة التفسير الجزائرية

المبحث الأول : خصائص مدرسة التفسير الجزائرية

تمهيد : يتّفق أهل التفسير بصفة عامّة على قواعد مضبوطة، ويسيرون وفق شروط واضحة لا بدّ من توفّرها فيمن يتصدّى لكلام الله بالبيان والتفسير، وقد خصّ عدد من العلماء هذه القواعد والشروط بمؤلّفات تجمعها، منها : قواعد التفسير لابن تيمية، التيسير في قواعد علم التفسير لمحمد بن سليمان الكافيجي ت 879هـ، أصول التفسير وقواعده لخالد بن عبد الرحمن العك، إضافة إلى جملة من الأصول والقواعد التي تضمّنتها كتب علوم القرآن كالبرهان للزركشي والإتقان للسيوطي...، لكن لكلّ مدرسة من مدارس التفسير أسلوب خاص بها، وبصمةٌ تفسيريةٌ عُرفت بها، وميزة غلبت عليها، وهذا ما نعنيه بكلمة الخصائص، ولمدرسة التفسير الجزائرية بعض الخصائص التي تتميّز بها وإن اشتركت مع غيرها فيما سواها وهي على نوعين : منهجية وفكرية

أوّلا : الخصائص المنهجية : ونعني بها الخطة التي يسير وفقها المفسّر، والطريقة التي اختار تفسير القرآن بها، وكيف وصل إلينا تفسيره، والملامح العامّة للدرس التفسيري، ويمكن حصرها في عدم العناية بالتأليف والاهتمام بتدريس التفسير شفويا، وربما قيّد بعض الحاضرين شيئا منه، مع ملاحظة مراعاة المباحث اللغوية في التفسير، والنقل والاعتماد بشكل واسع على أقوال المفسّرين السابقين.

أ . قلّة التأليف والعناية بالتدريس :يعتبر تدريس التفسير تقليدا علميا عريقا حافظ عليه أعلام المغرب الأوسط، بداية من الباغاني الذي تصدّر للإقراء بالمسجد الجامع بقرطبة، إلى أبي زكريا الزواوي وأبي علي المسيلي بمساجد بجاية، وصولا إلى الشريف التلمساني الذي ظلّ يفسّر القرآن مدة خمس وعشرين سنة، وابناه أبو محمد وأبو يحي اللذان خلفاه في مجلس تفسيره بالمدرسة اليعقوبية، أمّا عند الإباضية فبداية من عبد الرحمن بن رستم الذي كان يقوم على التدريس بنفسه بمسجد تيهرت، إلى محمد بن يانس الذي ذكروا أنّه من مفسّري القرآن شفويا[1]، إلى هود بن محكّم، إلى أبي يعقوب الوارجلاني.

إذن فقد اهتمّ أعلام الجزائر بصفة عامّة بتدريس التفسير دون التأليف فيه، بل منهم من كان يذمّ التأليف ويرى بأنّه سبب في فساد العلم كما قال الآبلي : " إنما أفسد العلم كثرة التآليف، وأذهبه بنيان المدارس وكيف يُنتصف له من المؤلّفين والبنّاءين "[2]، ومنهم من أحجم عن التفسير تحرُّجا وهيبة وإجلالا

---

[1] معجم أعلام الإباضية : ج 2 ، ص 396

[2] ابن مريم : البستان ، ص 216. عبد الرحمن الجيلالي : تاريخ الجزائر العام ، ج 2 ، ص 158

لكلام الله عزّ وجلّ، وخوفا من تحميل آياته ما لم تتحمّله، وفي هذا نذكر قول المقرّي الجدّ : "... وأنت تبصر ما اشتملت عليه كتب التفسير من الخلاف، وما حملت الآي والأخبار من التأويلات الضعاف، قيل لمالك : لم اختلف الناس في تفسير القرآن ؟ فقال : قالوا بآرائهم فاختلفوا، أين هذه من قول الصدّيق : أيّ سماء تظلّني وأيّ أرض تقلّني إذا قلت في كتاب الله عزّ وجلّ برأيي، كيف وبعض ذلك قد انحرف عن سبيل العدل إلى بعض الميل... والحقّ أنّ تفسير القرآن من أصعب الأمور، فالإقدام عليه جراءة..."[1].

وهو كلام يعكس درجة التهيّب من التفسير عند جملة من الأعلام، فإذا كانت هذه حال المقرّي وهو العالم المجتهد، الذي يقوم أتمّ القيام على العربية والفقه والتفسير كما وصفوه فكيف بغيره ممّن هو دونه.

وفي ترجمة الشريف التلمساني أنّه : " كان قليل التأليف، وإنما اعتناؤه بالإقراء فتخرّج عليه من التلامذة من لا يحصى من صدور العلماء وأعيان الفضلاء"[2]، فاشتغاله بالدّرس وكثرة الطلبة ربما جعله لا يجد وقتا للتأليف أو مشى على رأي شيخه الآبلي في ذمّ ذلك والنفور منه.

إضافة إلى أنّ الغالبية العظمى من هؤلاء الأعلام كانوا ذوو نزعة صوفية زهدية تميل إلى الخمول وعدم حبّ الشهرة وذيع الصيت، فاكتفوا بالتدريس وتكوين الطلبة، وامتنعوا عن التأليف مع أهليتهم له.

بينما الدرس التفسيري الشفوي نجده يتنوّع بعدة اعتبارات، فهو باعتبار الفئة الموجّه إليها التفسير : إمّا عامّ في المساجد يحضره عامّة الناس، وإمّا خاصّ بطلبة معيّنين ويكون غالبا في المدارس والبيوت، فمن الأوّل : درس أبي علي المسيلي وأبي زكريا يحي الزواوي بمساجد بجاية، ومن الثاني : ما ذكروا من مجالس التفسير التي كان يعقدها الشريف التلمساني وابناه من بعده بالمدرسة اليعقوبية بتلمسان، وذكر ابن مريم أنّ أبا محمد عبد الله بن الإمام كان يقرأ على والده كتابا في التفسير ليلا "[3].

وهو باعتبار المقدار المفسّر منه : فإنّه إمّا تفسير كامل للقرآن لفظة لفظة وآية آية من البدء إلى الختم في حلقات دورية، وإمّا تفسير جزئي لبعض الآيات :

---

[1] المقري : نفح الطيب ، ج 5 ، ص 278. ابن مريم : البستان ، ص 219

[2] ابن مريم : البستان ، ص 174

[3] المصدر نفسه : ص 118

. تفسير القرآن لفظة لفظة وآية آية : من خلال وصف بعض دروس التفسير في كتب التراجم نجد بعض الإشارات التي تدلّ صراحة على أنّ هؤلاء الأعلام كانوا يتناولون تفسير كتاب الله لفظة لفظة وآية آية، فأبو الحسن الحرّالي ذكر الغبريني أنّه :"...تكلّم عليه لفظة لفظة وحرفا حرفا "[1]، والشريف التلمساني ذكروا أنّه كان يفسّر كلّ يوم ربعا من القرآن، مدة خمس وعشرين سنة [2]، ذكر التنبكتي في ترجمة ابنه أبي محمد عبد الله :"وحضر عليه في التفسير من سورة النحل إلى الختم ومن أوله إلى قوله تعالى :﴿ يَسْتَبْشِرُون بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ ﴾ [آل عمران : 171] وقرأ عليه التفسير "[3]، فالظاهر من هذه الأقوال أنّه كان كلّما أتمّ ختمة شرع في أخرى حتى آخر حياته.

وهناك من الأعلام من بدأه بهذه الطريقة ولم يختمه كأبي زكريا الزواوي الذي ذكر أنّه : " كان قد رتّب ميعادا بالقراءة لسماع تفسير القرآن العظيم "[4]، ولا يخفى ما تحمله كلمة " ميعاد " من التزام دائم بوقت محدّد ومكان معلوم وجزء مخصوص من القرآن لتفسيره يكون محلّ اتفاق عليه بين الطلبة وشيخهم.

. تفسير جزئي لبعض الآيات : وهو ما يقع في الغالب إمّا جوابا لسائل عن معنى آية من القرآن، أو توجيها لقول مفسّر فيها، وإمّا تقييدا لمناقشة تفسيرية جرت بين بعض أعلام التفسير :

فمن الأوّل : ما نجده في كتب الفتاوى والتراجم كقول الونشريسي : وسئل سيدي أبو يحيى الشريف عن وجه جعل الزمخشري ﴿ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا ﴾ [النساء : 01] معطوفا على محذوف تقديره : خلقها لا على خلقكم من نفس واحدة ؟ فأجاب : وجهه أنّ قوله : ﴿وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا ﴾ تفسير لقوله : ﴿خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ ﴾، فإنّ خلق الناس من نفس واحدة يتفكّر فيه العقل بديهة، فجاء قوله :﴿ وخلق منها زوجها ﴾ تفسير للجملة، فلهذا جعله الزمخشري معطوفا على

[1] الغبريني : عنوان الدراية ، ص 145
[2] ينظر : التنبكتي : نيل الابتهاج : ص 438 . ابن مريم : البستان ، ص 172
[3] التنبكتي : نيل الابتهاج ، ص 226
[4] الغبريني : عنوان الدراية ، ص 128

محذوف، وقال أبو حيان : إنما عطفه على محذوف، لأنّ مذهبه أنّ الواو ترتّب، فلو عطفه على الظاهر لما صحّ له، وهذا بعيد من مراد الزمخشري "[1].

ومن الثاني : المسائل التفسيرية للمقرّي التي تباحث فيها مع ابن الإمام وغيرها.[2]

ب . ظاهرة التقييد : كثير من أعلام الجزائر اشتغلوا بالتفسير تدريسا لا تأليفا، ومع ذلك حفظت عنهم أقوال معتبرة فيه، وفي بعض الحالات جمع من هذه الأقوال تفسيرا كاملا، بفضل ظاهرة التقييد التي كانت سائدة في المجالس العلمية، وهي تعكس الرغبة في التحصيل والحضور الذهني العالي للطالب، غير أنّ هذه التقييدات تفتقر إلى منهجية التأليف، فلا عزو فيها للأقوال لأصحابها فيكتفى بالقول : قال بعضهم، ولا ترتيب للآيات فهي أشبه بالكناشات المدرسية، ومما سهّل كثرة التقييدات في الدرس التفسيري منهج الإملاء الذي كان يسلكه بعض العلماء، فقد نقلت لنا كتب التراجم والفتاوى عبارات تدلّ على ذلك منها عبارة : وسئل رحمه الله في مجلس تفسيره عن قوله تعالى، وهي عبارة تدلّ على الأخذ والردّ والمناقشة بين الشيخ وتلامذته، وتدلّ على الحرص على التقاط الفوائد التفسيرية وتقييدها، وعبارة : "ما وجه قول ابن عربي أو ابن عطية أو الزمخشري..." وهي عبارة تدلّ على تناول تفاسيرهم بالدرس والبيان والتوجيه.

أشار إلى خاصية الإملاء والتقييد محمد الفاضل بن عاشور وهو يتكلّم على تفسير ابن عرفة بقوله : " وكان منهج التدريس المغربي دراسة للعلوم وبحثا وإملاء...، وكان ابن عرفة يسلك مسلك الجمع والتحليل والإملاء، فتتلى الآية أو الآيات بين يديه، ثمّ يأخذ معناها بتحليل التركيب، وإيراد كلام أئمة اللّغة أو النحو على معاني المفردات ومفاد التراكيب، منشدا على ذلك الشواهد وموردا الأمثال والأحاديث... "[3].

هذه الطريقة تجعل الطالب يقيّد الكثير من المسائل والفوائد، وربما جمع من ذلك كلّه تفسيرا ونسبه إلى شيخه وهو ما حصل مع ما ينسب إلى ابن عرفة من تفسير قال الفاضل بن عاشور :" ولم يتولّ الشيخ ابن عرفة بنفسه كتابة هذا التفسير المتضمّن خلاصة دروسه القيّمة، ولكن طلبته من الأجيال

---

[1] الونشريسي : المعيار ، ج 11، ص 158

[2] المرجع نفسه : ج 12 ، ص 333

[3] الفاضل بن عاشور : التفسير ورجاله ، ص 103 . 105

المتعاقبة هم الذين اضطلعوا بذلك فقيّدوا أمالي شيخهم وفوائده، حتى خرجت تفسيرا ينسب إليه وإن لم يكن من تحرير قلمه... وأشهر الذين عرفوا بتدوين هذا التفسير هم ثلاثة من أكابر أصحابه : تونسي وجزائري ومغربي...، وأمّا الجزائري فهو الشيخ أحمد البسيلي "[1] .

. تقييد البسيلي[2](ت 830هـ) على المشهور : لأحمد بن محمد بن أحمد المسيلي الشيخ العالم المفسّر[3]، من أهل المسيلة له تقييد جليل في التفسير قيّده عن ابن عرفة فيه فوائد وزوائد ونكت[4]، رحل إلى تونس فتتلمذ على ابن عرفة الذي كان مجلسه يغصّ بكبار المفسّرين كعيسى الغبريني والقصار، وكان ذلك عام خمس وثمانين وسبعمائة (785هـ) [5]، فقيّد من أمالي شيخه ابن عرفة وما دار في مجلسه من آراء ومناقشات وأجوبة تفسيرية، وأضاف إليه ما استفاده من غيره، ومن مطالعاته لكتب المفسّرين، وما جادت به قريحته من فهوم لمعاني الآيات، قال رحمه الله في مقدمة تفسيره : " هذا تقييد على كتاب الله المجيد، قصدت فيه جمع ما تيسر حفظه وتقييده من مجلس شيخنا أبي عبد الله محمد بن عرفة رحمه الله تعالى مما كان بيديه هو أو بعض حذاق طلبة المجلس، زيادة على كلام المفسرين، وأضفت على ذلك في بعض الآيات شيئا من كتب التفسير مما سمح به الخاطر هذا مع ممانعة ما اقتضته الحال من الذهن الجامد والفكر الخامد "[6]، ولذلك اشتمل على أقوال كثيرة لمفسّرين مشهورين أمثال ابن عطية وابن العربي وأبي حيان والرازي والزمخشري وهو عبارة عن تقييدين : الكبير و الصغير :

---

[1] الفاضل بن عاشور : التفسير ورجاله ، ص 106

[2] قال الطرهوني : والبسيلي أصلها : المسيلي أبدلت الميم باء على لهجة كما في مكة وبكة على قول فالباء والميم قد يتعاقبان ، ...وأوردها الحفناوي ونويهض بالميم ، قال الحافظ بن حجر : المسيلي بالفتح وكسر المهملة ثم ياء ساكنة ثم لام نسبة إلى بلد المسيلة بالمغرب . ينظر : الطرهوني : أبو الأرقم محمد بن رزق ، التفسير والمفسرون بغرب إفريقيا ، ط 1 (1426هـ) دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع ، م.ع.س ،ج 1 ، ص 176

[3] الحفناوي : تعريف الخلف ، ج 2 ، ص 87

[4] التنبكتي : نيل الابتهاج ، ص 115

[5] المرجع نفسه : ص 116

[6] البسيلي : أبو العباس أحمد بن محمد بن أحمد البسيلي التونسي ، التقييد الكبير في تفسير كتاب الله المجيد ، دط ، دت ، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، المملكة العربية السعودية ، الرياض ج 1 ، ص 199

أ . التقييد الكبير : وهو المسمّى : التقييد الكبير جمعه من إملاءات شيخه ابن عرفة وزاد عليه كما ذكر في ديباجته مع كلامه كلام غيره من المفسّرين، قال التنبكتي :" أنّ أوفى تلك التقييدات إنّما هو تقييد البسيلي "[1].

ب . التقييد الصغير : وهو المسمّى : نكت وتنبيهات في تفسير القرآن المجيد، وهو مختصر للكبير اقتصر فيه على نكت التفسير ودقائقه ومشكلاته، وقد ذكر أهل التراجم قصصا لسبب هذا الاختصار ، منها ما أورده التنبكتي أنّ البسيلي لما أتمّ التقييد الكبير، سمع بذلك الأمير الفقيه الحسين ابن السلطان أبي العباس الحفصي فراسله فيه وطلبه منه فامتنع وماطله أياما، ثمّ أرسل إليه وأمر رسله أن لا يفارقوه حتى يسلّمه لهم، فلما رأى الشيخ صاحب الترجمة الجِدّ في الأمر، أخذ منه من سورة الرعد إلى الكهف ودفع لهم الباقي، فمشوا به، ثمّ مات ومات الأمير أيضا، وبيع التقييد في تركته...، وقد كان الشيخ لما طولب به اختصر منه تقييدا صغيرا جدا وهو موجود بيد الناس "[2].

ولهذين التقييدين الفضل الكبير في حفظ جملة من الروايات التفسيرية لأعلام جزائريين، كأبي العباس أحمد بن إدريس البجائي، وأبي علي المشذالي، وأبي علي المسيلي، والمقرّي، وإن كانت قليلة إلّا أنها تحمل مغزى جليلا يتمثل في أنّ هذه الروايات التفسيرية كان لها شأنها ومكانتها ولذلك حفظت عنهم، كما تدلّ على أنّ أصحابها كانوا أهل صدارة في هذا العلم.

ج . نقل كلام المفسّرين : مما يؤخذ على أعلام التفسير في الجزائر عدم الابتكار، والاقتصار في الغالب على الإنتاج التفسيري الأندلسي أو المشرقي، فما من مرحلة من المراحل إلّا ونجد اهتبالهم بأحد التفاسير التي ذاع صيتها واشتهرت، ونالت إعجاب الشيوخ وحظيت بإقبال الطلبة بداية من تفسير يحيى بن سلام البصري في القرن الثاني الهجري الذي تلقوه بالقبول وتلقفوه بالتدريس والاختصار، إلى تفسير ابن عطية الذي اشتغلوا عليه بالتوجيه والاختصار أيضا، وهذا ما عبّر عنه سعد الله بقوله : "... مجتمع المغرب العربي الذي كان دائما يلعب دور الوسيط في الإنتاج الثقافي وليس دور المنتج"[3].

---

[1] الفاضل بن عاشور : التفسير ورجاله ، ص 106

[2] التنبكتي : نيل الابتهاج ، ص 115

[3] سعد الله : تاريخ الجزائر الثقافي ، ج 1 ، ص 47

فالدرس التفسيري في الجزائر كان يتغذى من رافد الأندلس ورافد المشرق، أمّا الاجتهاد التفسيري المحلّي فهو نادر جدّا، يتجلّى ذلك في كثرة النقل من مؤلفات التفسير الأندلسية والمشرقية وسنعرض جملة من الأقوال تبين مدى إقبالهم على التفاسير الذائعة الصيت في زمانهم بالدرس والتفهيم والتوجيه منها :

ما حدث به ابن المسفر طلبة تلمسان أنهم كانوا زمان ناصر الدين يستشكلون كلاما وقع في تفسير سورة الفاتحة من كتاب فخر الدين "[1]، وهو نصّ صريح أنهم كانوا يشتغلون على تفسير الرازي وفهم كلامه وتوجيهه.

ويظهر هذا الأمر أيضا في أجوبتهم التي تشحن بأقوال المفسرين، فما من آية يتكّلمون في تفسيرها إلّا ويوردون في طيّ كلامهم أقوالا لابن عطية أو ابن العربي والزمخشري، من ذلك قول ابن مرزوق في مسألة ثبوت الشرف من قبل الأم : "وفي تفسير الزمخشري لما نزل قوله تعالى : ﴿ اِلاَّ اُلْمَوَدَّةَ فِے اِ۬لْقُرْبِيٰٓ ﴾ [الشورى : 21]، قيل يا رسول الله من قرابتك الذين وجبت علينا مودتهم قال : علي وفاطمة وأبناؤهما "[2].

وليس معنى اعتماد هؤلاء الأعلام النقل من كتب المفسرين التسليم بكلّ ما أوردوه، بل يكون ذلك بعد نقد وتمحيص لكلامهم وعرضه على القواعد العلمية المعروفة، فيردّون بعضه ويوجّهون البعض الآخر في كثير من الأحيان ومما يشهد لذلك : ما جاء في الدرر المكنونة للمازوني : من توجيه لكلام الفخر الرازي في جواب لابن مرزوق قال : "ومن الغريب أن الفخر على استبحاره في علم الأصول اتفق له سهو في هذا، فذكر في تفسيره أنّ قوله تعالى :﴿ وَالْمَلَٰٓئِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَن فِے اِ۬لَارْضِۖ ﴾ [الشورى : 03] عام يخصّصه قوله تعالى في غافر :﴿وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلذِينَ ءَامَنُواْ ﴾ [غافر : 06]، بل حقّه أن يقول هي مخصّصة بنحو قوله تعالى :﴿ مَا كَانَ

[1] المقري : نفح الطيب ، ج 5 ، ص 246

[2] الونشريسي : المعيار ، ج 12 ، ص 205

لِلنَّبِيِّ وَالذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنْ يَّسْتَغْفِرُواْ لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوٓاْ أُوْلِے قُرْبِيٰ ﴾ [التوبة : 114] "[1].

وفي نفس الجواب نجد ردّا على كلام الزمخشري حيث قال : "ونظير هذا الوهم امتناع الزمخشري من إعراب " أن أعبدوا الله " من قوله تعالى : ﴿ مَا قُلْتُ لَهُمُۥٓ إِلاَّ مَآ أَمَرْتَنِے بِهِۦٓ أَنُ اُعْبُدُواْ اُللَّهَ رَبِّے وَرَبَّكُمْۖ ﴾ [المائدة : 119] بدلا من الضمير في "به" ظنّا منه أنّ المتدل منه في قوة الساقط، فتبقى الصلة بلا عائد، وهو وهمٌ لأنّ العائد موجود فلا مانع "[2].

وإذا نظرنا في تقييد المسيلي على ابن عرفة نجد جملة من التعقيبات على كلام ابن عطية والزمخشري فعند قوله تعالى : ﴿ تِلْكُمُ اُلْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [الأعراف : 42] قال : " وقول ابن عطية : " إنْ دخولها بفضل الله، ورفع الدرجات بالعمل " باطل، بل الجميع بفضل الله عزّ وجلّ "[3].

وعند قوله تعالى : ﴿ اُلْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالأُنثِيٰ بِالأُنثِيٰۖ ﴾ [البقرة : 177]، يقول : وغلط الزمخشري هنا في نقله عن الإمام مالك رضي الله عنه لأنه قال : مذهب مالك والشافعي أنّ الحرّ لا يقتل بالعبد، والذكر لا يقتل بالأنثى أخذا بهذه الآية، واختلفوا في هذه الآية فقيل أنها منسوخة بآية المائدة، وقيل مجملة وتلك مبيّنة لها..."[4].

ونجده أيضا ينتقد ابن عطية ويستشهد على ما يخالفه بآية من القرآن الكريم فعند قوله تعالى : ﴿ فَأَوْجَسَ فِے نَفْسِهِۦ خِيفَةً مُّوسِيٰ ﴾ [طه : 66] قال : " قول ابن عطية : أضمر في نفسه خيفة،

---

[1] الونشريسي : المعيار ، ج 2 ، ص 90

[2] المرجع نفسه : ج 2 ، ص 94

[3] ابن عرفة : أبو عبد الله محمد بن محمد الورغمي التونسي ، تفسير ابن عرفة ، ت : جلال الأسيوطي ، ط 1 (2008م) دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ج 4 ، ص 10

[4] المصدر نفسه : ج 1 ، ص 213

يعني أدرك خيفة " صوابه : تصوّرها في ذهنه لا أدركها لقوله تعالى : ﴿ إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيَّ الْمُرْسَلُونَ ﴾ [النمل : 10] "[1].

وعقّب ابن مرزوق الخطيب في رسالة ' جنى الجنتين ' على قول ابن عطية بقوله : " في أخبار ذكرها غير واحد من المفسرين في قصة ابني آدم، وهذا على قول بأنّ قابيل كان كافرا وهو الأظهر وهو خلاف ما ارتضاه ابن عطية، وفي كلامه هناك تدافع لمن يتأمّله، حسبما أوضحناه في مجلس الإقراء على الآية الكريمة "[2].

وهذا النص الأخير يدلّ بوضوح على مناقشة أقوال المفسرين بين الشيخ وطلبته في مجلس التفسير، وعدم أخذها تسليما لقائلها، ولو كان من الأعلام الذين يشار إليهم بالبنان في هذا الفنّ كابن عطيّة، بل تُعرض على الأصول الصحيحة وتنقّح من التدافع والتناقض، وهو عمل يدلّ على اكتساب كلّ ما يحتاج إليه المفسّر من علوم، ومهارة في التفسير واطلاع على الأقوال فيه.

د . قلّة الاهتمام بالأسانيد : إنّ ظاهرة السند تعتبر من خصائص العلوم الشرعية التي حرص عليها علماء الأمة، رغم أنّه لم تعد الحاجة إليها ملحّة بعد تدوين العلوم، وذلك من باب التبرّك بالصلة بالأوائل، ومعرفة فضل جهودهم " أما وقد دُوّنت الدواوين، وجُمعت الأحاديث النبوية فيها، فإنّ الحاجة إلى طلب العلوّ لم تعُد ملحّة، بل صار القصد من السماع والرواية في الأزمنة المتأخرة هو الحرص على بقاء سلسلة الإسناد في الأمّة "[3].

لذا نجد هذا الحرص عند كثير من أعلام التفسير، فقد حفظوا أسانيدهم في التفسير، ودوّنوها فيما يُعرف عندهم بالإجازات [4]والفهارس[5] والأثبات[1]، سواء ما تعلّق منها برواية أقوال شيوخهم في التفسير،

[1] المسيلي : نكت وتنبيهات ، ج 2 ، ص 115

[2] ابن مرزوق الخطيب : جنى الجنتين في شرف الليلتين ، ص 146

[3] جمال بن محمد السيد : ابن القيم الجوزية وجهوده في خدمة السنة ، الجامعة الإسلامية ، المدينة المنورة ط 1 ، سنة 2004م ، ج 1 ، ص 177

[4] الإجازة وهي إذن المحدث للطالب أن يروي عنه كتابا من كتب الحديث أو غيرها من غير أن يسمع عنه أو يقرأ عليه . أبو صفوان ذياب بن سعد الغامدي ، الوجازة في الأثبات والإجازة ، ط1(1428هـ) دار قرطبة ، بيروت ، لبنان ، ص 21

[5] الفهرس : بالكسر الكتاب الذي يجمع فيه الكتب معرب فهرست . الفيروزآبادي : أبو طاهر محمد بن يعقوب ، القاموس المحيط ، ط 8 (1426هـ . 2005م) مؤسسة الرسالة ، بيروت ، لبنان ، ص 564

أو المصنّفات التي أجيزوا في دراستها، يقول الإمام النووي : " إنّ الأسانيد من المهمّات المطلوبات، بحيث ينبغي لمعلِّم العلم وطالبه معرفتها، ويقبح به جهالتها، فإنّ شيوخ الإنسان في العلم آباؤه في الدين، ووصلة بينه وبين ربّ العالمين، وكيف لا يقبح جهل الأنساب والوصلة بهم مع أنه مأمور بالدعاء لهم والثناء عليهم ومن ثّم اعتنى بتحريرها الأئمة الثقات، وألّفوا في تدوينها الأثبات "[2].

وفي مقابل كلام النووي نجد الكتاني وهو ممن أولع بجمع الأسانيد يغمز في تقدير قيمتها والاهتمام بها فيقول : " ... والثالث جمعه وكتابته وسماعه وتطريقُه وطلب العلوّ فيه والرحلة إلى البلدان، والمشتغل بها مشتغل عمّا هو الأهمّ من العلوم النافعة، فضلا عن العمل به الذي هو المطلوب الأصلي، إلا أنّه لا بأس به لأهل البطالة، لما فيه من بقاء سلسلة الإسناد المتّصلة بأشرف البشر...، وممّا يزهّد في ذلك أنه فيه يتشارك الكبير والصغير والفاهم، والجاهل والعالم، وقد قال الأعمش : حديث يتداوله الفقهاء خير من حديث يتداوله الشيوخ "[3].

ورغم كلّ ما قيل في ذلك فإنّ أعلام التفسير في الجزائر لم تكن لهم عناية كبيرة بهذه الأسانيد مثل غيرهم، كما قال المجاري[4] وهو يتحدّث عن أبي عثمان بن محمد العقباني : " ولم يخبرني بما قرأ عليهم والذي ظهر لي منه أنّه لم تكن له عناية بالرواية "[5].

ومع ذلك وجدنا : فهرست ابن مرزوق، وبعض الأسانيد للمقري في : نظم اللآلئ في سلوك الأمالي، ودوّن الغبريني مشيخته في عنوان الدراية، ونجد كذلك إجازات بعض المفسرين لتلامذتهم الجزائريين.

---

[1] الثبت : الكتاب الذي يجمع فيه المحدث مشيخته ويثبت فيه أسانيده ومروياته وقراءته على أشياخه المصنفات ونحو ذلك ينظر : الكتاني : محمد عبد الحي بن عبد الكبير ، فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات ،ت : إحسان عباس ،ط2 (1982م) دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، مادة ثبت ص 69

[2] محمد بن عبد الله الترمسي : كفاية المستفيد لما علا من الأسانيد ، دط ، دت ، دار البشائر الإسلامية ، بيروت ، ص 06

[3] الكتاني : عبد الحي ، فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات ، ط 1(1982م) دار الغرب الإسلامي ، ج 1 ، ص 73

[4] هو أبو عبد الله محمد بن محمد بن علي بن عبد الواحد المجاري الأندلسي ، فقيه ، محدث ، من شيوخ القراءات ، رحالة ، توفي سنة 862هـ

[5] المجاري : أبو عبد الله محمد بن محمد بن علي ، برنامج المجاري ، ت : محمد أبو الأجفان ، ط 2 (1400هـ . 1982م) دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، لبنان ، ص 132

فسلسلة سند التفسير بالجزائر تبدأ بدخول تفسير الصحابي عبد الله بن عباس، وتفسير التابعي الحسن البصري رضي الله عنهما إلى بلاد المغرب بعد قرنين من وصول الاسلام، وهذا يعكس رغبة المغاربة عموما في طلب السموّ في السند والاتصال بمنبع العلم، فتفسير يحي بن سلام الذي كان يلقيه بالقيروان وهو تلميذ تلامذة الحسن البصري، رواه عنه ابنه محمد بن يحي بن سلام، وتلقّاه هود بن محكم الهواري عن يحي بن محمد بن يحي بن سلام، هذا الأخير الذي كان في أوائل القرن الثالث الهجري وأواسطه التفسير الجديد الكامل الذي طبقت شهرته إفريقية الإسلامية وذاع صيته، فحداثته كافية لأن تجذب الأنظار والهمم إليه، وكون مؤلِّفه بصريا استوطن القيروان تمنح الكتاب ميزة خاصة تزيد الناس إغراء بالاطلاع عليه وولوعا بتلقيه "[1].

ومع بداية القرن الرابع توقفت الرواية ولم تعد الحاجة إلى اتصال الأسانيد في الحديث النبوي (والتفسير في هذا العهد باب من أبوابه) واستغني عنها بتدوين الدواوين والجوامع والمسانيد، وإنما بقي الحرص على السند لأجل بركة الاتصال بجهود الأوائل، وسنذكر بعض أسانيد كتب التفسير في الجزائر ومنها :

. **أسانيد الغبريني في التفسير** : ذكر سند خمسة تفاسير : فقال :" أمّا علوم تفسير القرآن العزيز : فحدّثني بكتاب الكشف والبيان عن تفسير القرآن لأبي إسحاق أحمد بن محمد الثعلبي، المقرئ أبو العباس أحمد بن محمد بن خضر الصدفي الشاطبي، عن الفقيه أبي زكرياء ابن عصفور، عن الإمام **أبي عبد الله محمد بن عبد الحق بن سليمان،** عن أبي الحسن علي بن عتيق بن مؤمن الأنصاري، عن الشريف أبي محمد عبد الله بن العثماني، عن أبي بكر المبارك ابن كامل، عن أبي منصور بن عتيق، عن أبي الحسن علي بن أحمد الواحدي، عنه أي المؤلِّف "[2].

وحدّثني بكتاب أحكام القرآن لأبي الحسن علي بن محمد الطبري، أبو جعفر بن محمد الصدفي، عن أبي زكرياء ابن عصفور، عن **أبي عبد الله محمد بن عبد الحق التلمساني،** عن أبي بكر بن خير

[1] هود بن محكم الهواري : تفسير الكتاب العزيز : مقدمة التحقيق ، ج 1 ، ص 33

[2] الغبريني : عنوان الدراية ، ص 360

الأموي، عن أبي الحسين محمد بن خلف بن صاعد الغساني، عن يوسف بن عبد العزيز اللخمي، عن المؤلِّف[1].

وأبو عبد الله المذكور في سند هذين التفسيرين هو محمد بن عبد الحق بن سليمان الكومي اليعفري التلمساني المتوفي سنة 625هـ، ذكر عادل نويهض أنّ له كتابا في علوم القرآن يسمّى ' فرقان الفرقان وميزان القرآن '[2]، وله أقوال معتبرة في التفسير في كتابه ' الاقتضاب في غريب الموطّأ وإعرابه على الأبواب ' سنتكلّم عليها فيما يأتي عند الكلام على اتجاهات التفسير في الجزائر.

وحدّثني بكتاب التحصيل لفوائد كتاب التفصيل الجامع لعلوم التنزيل " تأليف أبي العباس أحمد بن عمار المهدوي الأستاذ أبو العباس أحمد بن محمد المكتب قال لنا أبو الحسن بن السراج : عن أبي محمد عبد الله عن القاضي أبي الفضل عياض، عن محمد بن سليمان النفري، عن خاله الأديب أبي محمد بن غانم، عن المؤلِّف[3].

وحدثني بكتاب الوجيز في شرح كتاب الله العزيز تأليف القاضي أبي محمد عبد الحق بن غالب بن عطية المحاربي الغرناطي غير واحد عن أبي بكر بن محرز عن أبي محمد عبيد الله عنه[4].

وعبارة ' غير واحد ' تدلّ على أنّ هذا التفسير كان متداولا بكثرة وسنده شائعا عند كثير من الأعلام.

وحدّثني بكتاب الكشّاف عن حقائق التنزيل لأبي القاسم محمود الزمخشري الفقيه أبو عبد الله الكناني عن أبي الحسن ابن السراج عن أبي عبيد الله السلفي عن المؤلف.[5]

---

[1] الغبريني : عنوان الدراية ، ص 361

[2] نويهض : معجم أعلام الجزائر ، ص 77

[3] المصدر السابق : ص 362

[4] الغبريني : عنوان الدراية ، ص 363

[5] المصدر نفسه : ص 364

ومن أسانيد التفسير التي ذكرها ابن الأبار، سند تفسير عبد بن حميد الذي حدث به في بجاية عبد الحق الإشبيلي إلى مؤلفه.[1]

وعبد الحق الإشبيلي من تلاميذ ابن برّجان وأخذ عنه تفسيره [2]، لكن لم نجد ما يثبت أنه قد حدّث يه في بجاية.

. أسانيد المقري الجدّ في التفسير : رواية المقري الجد عن أبي حيان : لأبي حيان مكانة عالية وقدم راسخ في التفسير وهو صاحب التأليف فيه، وقد أجازه بكل مروياته حين لقيه في رحلته إلى الحج بمصر وأخذ عنه حيث قال : " رويت عنه واستفدت منه "[3].

فإذا علمنا مع هذا أنّ أبا حيان له سند إلى الزمخشري وابن عطية مثلما ذكر في خطبة كتابه : البحر المحيط بقوله : " فما كان في كتابي هذا من تفسير الزمخشري رحمه الله فأخبرني به أستاذنا العلامة أبو جعفر أحمد بن إبراهيم بن الزبير قراءة مني عليه فيه... عن أبي طاهر الخشوعي وهو آخر من حدث عنه عن الزمخشري، وما كان في هذا الكتاب من تفسير ابن عطية...عن أبي الحسن علي بن أحمد بن علي الغافقي الشقوري بقرطبة وهو آخر من حدث عن ابن عطية "[4] فاتصل إذن سند المقري بهما وبكتابيهما.

. أسانيد ابن مرزوق الجدّ في التفسير : رواية ابن مرزوق الجدّ عن أبي حيان : وهو من تلامذته، ففي نفح الطيب سند مرويات أحمد المقرّي ت 1041هـ جاء فيه : "وتتصل روايتي عن الإمام أبي حيان من طرق عديدة منها : عن عمّي وليّ الله العارف به شيخ الإسلام مفتي الآنام الخطيب الإمام ملحق الأحفاد بالأجداد سيدي سعيد بن أحمد المقري التلمساني عن شيخه العالم أبي عبد الله التنسي، عن

---

[1] ابن الأبار : أبو عبد الله محمد بن أبي بكر القضاعي ، المعجم في أصحاب القاضي الإمام أبي علي الصدفي ، ط 1 (1420هـ . 2000م) مكتبة الثقافة الدينية ، الظاهر ، ص139

[2] هو أبو الحكم اللخمي عبد السلام بن عبد الرحمن بن أبي الرجال ، الصوفي الإشبيلي المعروف بابن برجان ، كان من أهل المعرفة بالقراءات الحديث والتحقق بعلم الكلام والتصوف ، روى عن عبد الحق الإشبيلي ، له تآليف منها : تفسير القرآن , وشرح الأسماء الحسنى ، مات سنة 536هـ . الداودي : طبقات المفسرين ، ج 1 ، ص 306

[3] المقري : شهاب الدين أحمد بن محمد ، أزهار الرياض في أخبار عياض ، ت : سعيد أحمد أعراب ، عبد السلام الهراس ، دط (1400هـ . 1980م) مطبعة فضالة ، المحمدية ، المغرب ج 5 ، ص 74

[4] أبو حيان : البحر المحيط في التفسير ، ج 1 ، ص 21 ، 22

والده حافظ عصره سيدي محمد بن عبد الله بن عبد الجليل التنسي ثمّ التلمساني الأموي، عن عالم الدنيا أبي عبد الله بن مرزوق عن جدّه الرئيس الخطيب سيدي أبي عبد الله محمد بن مرزوق عن الأثير أبي حيان بكل مروياته "[1].

وهو سند اشتمل على جملة من أعلام الجزائر كلهم يروي عن أبي حيان، وأجلّ ما في تلك المرويات تفسيره البحر المحيط، وقد جاء ذلك صراحة في غنيمة الواحد للثعالبي إذ يقول : " ومن مروياتي تصانيف أبي حيّان عن ابن مرزوق عن جدّه عن مؤلّفها محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيّان النِّفزي الغرناطي، فمنها البحر المحيط في تفسير القرآن..."[2].

وذكر ابن فرحون شيوخ ابن مرزوق بالديار المصرية فأورد منهم :"... والشيخ أثير الدين أبي حيان : محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان النِّفزي الغرناطي "[3]، وبأبي حيان أيضا يتصل سند ابن مرزوق بالمحرر الوجيز والكشاف.

. تفسير ابن أبي زمنين وأحكام القرآن لابن عربي : ذكر المجاري في برنامجه أنه قرأ على شيخه البلنسي تفسير ابن أبي زمنين وتفسير أحكام القرآن لابن عربي فقال : " وتفقهت عليه في مسائل من بعض الكتب المذكورة، وسمعت عليه تفقها بعضا من كل كتاب يذكر بعد فمن ذلك تفسير الإمام أبي عبد الله بن أبي زمنين،... وأحكام القرآن للقاضي أبي بكر بن عربي... وأجاز لي جميع ذلك وحدثني بأسانيده المعلومة له فيها في برنامجي شيخيه أبي القاسم بن جزي وأبي عبد الله بن مرزوق... "[4].

مما يدلّ على أنّ لابن مرزوق الخطيب سند لهذين التفسيرين وعلى تداولهما في تلمسان بعد ذلك.

إضافة إلى تتلمذه على أبي محمد عبد الواحد بن محمد بن شرف الدين بن المنير[5] الذي " جمع تفسيرا حسنا في عشر مجلدات "[6].

---

[1] المقري : نفح الطيب ، ج 2 ، ص 574

[2] الثعالبي : أبو زيد عبد الرحمن ، غنيمة الواحد ، ص 65

[3] ابن فرحون : الديباج المذهب ، ج 2 ، ص 293

[4] المجاري : برنامج المجاري ، ص 112

[5] ابن المنير : هو أبو محمد عبد الواحد بن شرف الدين بن المنير ، يلقب بعز القضاة ، الفقيه ، الأديب المفسّر ، جمع تفسيرا حسنا في عشر مجلدات ،توفي سنة 736هـ . ابن فرحون : الديباج المذهب ، ج 2 ، ص 62

[6] ينظر : ابن مخلوف : شجرة النور ، ج 1 ، ص 294 . ابن فرحون : لديباج المذهب ، ج 2 ، ص 62

إجازة ابن كثير لأبي عبد الله الكومي، الندرومي التلمساني(ت 777هـ)[1]: ذكر الزركلي أنّه اطلع على ثبت له خاص فيه أسماء شيوخه فقال : " وفي (الثبت) نصوص بالإجازة له من بعض العلماء، بخطوطهم، كصلاح الدين خليل ابن كيكلدي العلائي، ومحمد بن محمد التونسي، وسليمان ابن سا لم الغزي، والإمام ابن كثير (إسماعيل بن عمر) وآخرين"[2]، وهي إجازة عامّة يدخل فيها التفسير.

. **أسانيد ابن مرزوق الحفيد في التفسير** (842هـ) [3]: فهو يمثّل حلقة الوصل بين القرنين الثامن والتاسع ، فقد أجازه الكثير من أعلام التفسير من أهل القرن الثامن الهجري، وهو بدوره أجاز الكثير من أهل القرن التاسع الهجري، فبالنسبة للفريق الأول (المجيزون) نجد قول الكتاني وهو يتحدّث عن شيوخ الحفيد يقول : " أخذ عن أبيه وعمّه وجدّه وسعيد العقباني، وبتونس عن ابن عرفة وأبي العباس القصار،... وأبي محمد عبد الله بن جزيّ الكلبي... وأجازه جميع من ذكرنا الإجازة العامّة بما لهم من المصنّفات والمرويات، وهذا فخر كبير اجتماع هؤلاء كلّهم له وناهيك منهم بجدّه والعراقي وابن عرفة وابن خلدون..."[4].

وأغلب هؤلاء الأعلام من جلّة المفسّرين ومن أهل التأليف في التفسير.

كما ثبت أنّ ابن حجر أجاز ابن مرزوق الحفيد في حدود 829هـ، وأجاز أولاده من بعده في جميع مروياته وهي كثيرة، فقد ذكر ذلك الوادي آشي في برنامجه بمناسبة حديثه عن شيخه ابن مرزوق الكفيف وسنده في البخاري فقال : " وقد أنبأه رضي الله عنه به بمثل هذا العدد الإمام الحافظ شهاب الذين أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن محمد ين علي الكناني العسقلاني الشهير بابن حجر رحمه الله تعالى في

---

[1] هو أبو عبد الله محمد بن محمد بن يحيى الكومي، الندرومي التلمساني: عالم بالحديث، مشارك في عدة علوم، من فقهاء المالكية. من أهل ندرومة. رحل الى المشرق فأخذ عن معاصريه من علماء الحديث في بيت المقدس ودمشق ومكة والقاهرة. له " ثبت" ترجم فيه بايجاز للعلماء الذين أخذ عنهم، يستفاد منه انه كان في بيت المقدس سنة 751 - 767 هـ وحج 757 ومر بمصر سنة 758 وكان في دمشق سنة 775هـ. توفي سنة 777هـ " . نويهض : معجم أعلام الجزائر ، ص 330

[2] الزركلي : الأعلام ، ج 7 ، ص 40

[3] هو أبو عبد الله محمد بن أحمد بن محمد بن محمد بن أبي بكر بن مرزوق العجيسي التلمساني ، عرف بالحفيد الحافظ المحقق الأصولي المفسر ولد بتلمسان سنة 766هـ ، أخذ عن والده وعمّه وسعيد العقباني رحل إلى تونس ثم القاهرة وحجّ رفقة ابن عرفة ، توفي سنة 842هـ . المقري : نفح الطيب ، ج 5 ، ص 420 . نويهض : معجم أعلام الجزائر ، ص 290

[4] فهرس الفهارس : ج 1 ، ص 524

إجازته العامة لأولاد مرزوق في عام تسعة . بتقديم التاء . وعشرين وثماني مائة ثم لعشر بقين من صفر منها..."[1].

وبتتبع المعجم المفهرس لابن حجر نجد أنّ هذه الإجازة تشمل عددا هائلا من كتب التفسير نذكر منها : كتاب التفسير لعبد الرزاق، كتاب التفسير لمحمد بن يوسف الفريابي، كتاب التفسير لعبد بن حميد، تفسير ابن جرير الطبري، تفسير يحيى بن سلام، معالم التنزيل للبغوي، المحرر الوجيز لابن عطية، شفاء الصدور لأبي بكر النقاش، الكشف والبيان للثعلبي، ..."[2].

أمّا بالنسبة لمن بعده من أعلام التفسير في القرن التاسع الهجري (المجازون) فنجد على رأسهم أبا زيد عبد الرحمان الثعالبي (ت 875هـ)[3]، فقد ذكر في غنيمة الواجد ما أسنده عن شيخه ابن مرزوق الحفيد من مصنفات ومنها بعض كتب التفسير [4]، وأخذ محمد بن يوسف السنوسي (ت 895هـ)[5] عن الثعالبي وأجازه[6].

---

[1] البلوي : أبو جعفر أحمد بن علي ، ثبت البلوي ، ت : عبد الله العمراني ، ط 1 (1403هـ) دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، لبنان ، ص 260

[2] ابن حجر العسقلاني : أبو الفضل أحمد بن علي ، المعجم المفهرس ،. ت : محمد شكور المياديني ، ط 1 (1418هـ . 1998م) مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ص 107 . 108 . 109

[3] هو عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف، يكنى أبا زيد ويلقب بالثعالبي، الجزائري، المغربي المالكي، مفسر من أعيان الجزائر، ولد سنة 786هـ، تلقى الثعالبي العلم وأخذه عن جملة من المبرِّزين في عصره ، في بجاية وتونس ومصر ومكة المكرمة له التفسير المسمى – الجواهر الحسان في تفسير القرآن، توفي رحمه الله سنة 875هـ.ينظر: معجم أعلام الجزائر، ص 90

[4] الثعالبي : أبو زيد عبد الرحمن بن مخلوف ، غنيمة الوافد وبغية الطالب الماجد ، ت : محمد شايب شريف ، ط 1 (1436هـ . 2005م) دار ابن حزم ، بيروت ، لبنان ، ص 65

هو أبو عبد الله محمد بن يوسف بن عمر السنوسي الحسني، عالم في التفسير والحديث وعلم الحديث، توفي بتلمسان سنة 895هـ .

[5]ينظر: معجم أعلام الجوائر، ص 180 . شجرة النور : ج1، ص 385

[6] ابن مخلوف : شجرة النور ، ج 1 ، ص 385

ثانيا : الخصائص الفكرية : ونعني بها الخلفيات الفكرية التي ينطلق منها المفسّر، والمتمثلة فيما يعتنقه من مذهب عقدي أو فقهي أو سلوكي، ولا يستطيع أيّ مفسّر أن ينسلخ منه، لكن يتفاوت المفسّرون في درجة التمسّك به، وبالنظر في أقوال أعلام الجزائر في التفسير نجدهم قد تأثروا إلى درجة كبيرة بمعالم التكوين الفكري السائد في بلادهم رغم رحلاتهم المتكررة إلى المشرق، واطلاعهم على مختلف الآراء والمذاهب، ومحاولة فرض بعضها بالقوة في بعض الفترات، ومع ذلك بقوا متمسّكين بمذهب مالك في الفقه، وتكلّموا في تفسير آيات الأحكام بما يوافقه، وكذا الإباضية تناولوه بنفس الأسلوب أو أكثر، إلى جانب ذلك نجد المعتقد الأشعري حاضرا في التفسير منذ زمن الموحّدين، والطابع الصوفي بنوعيه الفلسفي والنظري، كلّ ذلك أعطى مدرسة التفسير الجزائرية ميزة خاصة وطابعا تختص به ويمكن حصر ملامحها في الآتي :

أ. تفسير آيات الأحكام بما يقتضيه المذهب المالكي :

سجلت المدرسة الجزائرية حضورها مبكرا في العناية بتفسير آيات الأحكام منذ القرن الخامس الهجري وتجسد ذلك في تفسير أحمد بن علي الباغاني الذي قال عنه الداودي : " كتاب حسن في أحكام القرآن نحا فيه نحوا حسنا وهو على مذهب مالك "[1]، فهو يبيّن في الغالب رأي الإمام مالك رحمه الله وقد يذكر بعض خلاف الفقهاء ولكن بقلة فمن ذلك مثلا ما ذكره في سورة التوبة حيث قال : قال الله عزّ وجلّ : ﴿إِنَّمَا ٱلْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا۟ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَٰذَا﴾ [التوبة : 28] ... قال مالك وعمر بن عبد العزيز : يمنع اليهود والنصارى وسائر الكفار من دخول الحرم ومن دخول جميع المساجد "[2].

وفي القرن الخامس الهجري أيضا نجد تفسير الداودي يذكر قول مالك في معنى الآية فمثلا عند قوله تعالى : ﴿ وَأَنِ ٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ﴾ [المائدة : 51] يقول: " قال مالك : ولا يحكم بينهم إذا اختار الحكم إلّا في المظالم، فيحكم بينهم بما أنزل الله، ولا يحكم فيهم في الزنا إلّا أن يعلنوه،

[1] الداودي : شمس الدين محمد بن علي بن أحمد ، طبقات المفسرين ، دط ، دت ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ج 1 ، ص 53

[2] علي بن سليمان العبيد : تفاسير آيات الأحكام ومناهجها ، ط 1 (1431هـ . 2010م) دار التدمرية ، م . ع السعودية ، الرياض ، ج 1، ص 175

فيعاقبون بسبب إعلانه، ثمّ يردّون إلى أساقفتهم، قال مالك : وإنما رجم النبي صلى الله عليه وسلم اليهوديين قبل أن تكون لهم ذمّة "[1].

ونجده أيضا يستدلّ بآي القرآن على قول مالك من ذلك ما جاء عنه في كتاب الأموال " واختلفوا في زكاة أموال المماليك : فمن رأى أن العبد يملك لا يرى عليه الزكاة، ومن لا يراه يملك يقول إنما هو مال السيد وعليه الزكاة، والأول قول مالك وأصحابه ومن حجتهم أن الله سبحانه قال : ﴿ وَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ مِنكُمْ طَوْلًا اَنْ يَّنكِحَ اَلْمُحْصَنَاتِ اِلْمُومِنَاتِ فَمِن مَّا مَلَكَتَ اَيْمَانُكُم مِّن فَتَيَاتِكُمُ اُلْمُومِنَاتِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِكُم بَعْضُكُم مِّنْ بَعْضٍ فَانكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ وَءَاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ ﴾ [النساء : 25]، فقد أمر أن تُعطى صداقها "[2].

ونجد بعد ذلك تلميذه البوني يشرح موطأ مالك فيستعين في شرح معاني الأحاديث بتفسير آيات الأحكام وفق ما يقتضيه مذهب مالك من ذلك قوله : " وقد استدل مالك في جواز إنكاح الرجل ابنته البكر ولا يستأمرها بقوله عزّ وجلّ فيما ذكر عن شعيب وموسى عليهما الصلاة والسلام حين قال شعيب: ﴿ إِنِّيَ أُرِيدُ أَنُ انكِحَكَ إِحْدَى اَبْنَتَيَّ هَاتَيْنِ ﴾ [القصص : 27] ولم يذكر أنّه استأمرها..."[3].

وفي القرن السابع الهجري نجد أبا عبد الله الكومي في الاقتضاب كثيرا ما يذكر قول مالك عند إيراد تفسير آية من آيات الأحكام فعند قوله تعالى :﴿ فَمَنْ عُفِيَ لَهُۥ مِنَ اَخِيهِ شَيْءٌ فَاتِّبَاعُۢ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَآءٌ اِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ ﴾ [البقرة : 177] يقول : العافي عند مالك : هو القاتل، والمعفوّ له وليّ الدم "[4].

---

[1] الثعالبي : الجواهر الحسان ، ج 2 ، ص 384

[2] الداودي : كتاب الأموال ، ص 161

[3] البوني : تفسير الموطأ ، ص 673

[4] اليفرني : أبو عبد الله محمد بن عبد الحق بن سليمان ، الاقتضاب في غريب الموطأ وإعرابه على الأبواب ، ت : عبد الرحمن بن سليمان العثيمين ، ط 1 (1421هـ . 2001م) مكتبة العبيكان ، م ع س ، ج 2 ، ص 372

وإذا انتقلنا إلى ابن مرزوق الجدّ أيضا نجده إذا ما تكلّم عن حكم من الأحكام تتضمّنه آية من القرآن أشار إلى ما روي عن مالك من أقوال فيها،" قال في باب ما يحلّ ويحرم من المطاعم بعد أن ذكر قوله تعالى : ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ ٱلْخِنزِيرِ ﴾ [المائدة : 04] حرّم الله الدم في هذه الآية من غير تقييد، وقيّد ذلك في سورة الأنعام ، فوجب ردّ المطلق إلى المقيّد، ثمّ قال : واختلف قول مالك في غير المسفوح، فقال مرة : الدم كلُّه نجس، وإذا كان كلّه نجسا فهو حرام، وقال أيضا : لا تعاد الصلاة من اليسير قال تعالى : ﴿أَوْ دَماً مَّسْفُوحاً ﴾ [الأنعام : 146]، وقال ابن مسلمة : لا، المحرّم المسفوح، قال : وقد جاء عن عائشة أنها قالت : لولا قول الله : ﴿ أَوْ دَماً مَّسْفُوحاً ﴾ لأُتبع ما في العروق، وقد كنّا نطبخ البرمة وفيها الصفرة، ويكون في اللّحم الدّم، فلا يكون على الناس غسله ".[1]

ب . تفسير آيات الصفات بما تقتضيه العقيدة الأشعرية :

كان أهل المغرب الأوسط لا يعرفون سوى عقيدة السلف بما فيها من تفويض وتسليم، لكن بمجيء الموحّدين حُملوا على العقيدة الأشعرية التي ترتكز على مبدأ التأويل فانتشرت مباحث علم الكلام، وترسّخت هذه العقيدة في الأذهان بعدما كان يحرم الخوض فيها قبل ذلك [2]، وكأيّ معتقد يعتقده المفسّر إلّا ويكون له الأثر البالغ في تفسيره، تأثّر أعلام الجزائر في الغالب بمعتقدهم الأشعري وظهر واضحا فيما نقل عنهم من كلام في التفسير.

فأبو عبد الله الكومي يقول : " وعلى معنى القوة أوَّل المفسّرون قوله تعالى : ﴿وَالسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ﴾ [الزمر : 64] وعليه تؤول قول الشماخ :

إذا ما رايَةٌ رُفِعَتْ لمجْدٍ تَلقّاها عَرَابَةُ باليَمينِ [3]

[1] الونشريسي : المعيار ، ج 1 ، ص 113

[2] ينظر : عبد الرحمن الجيلالي ، تاريخ الجزائر العام ، ج 2 ، ص 311

[3] اليفرني : الاقتضاب ، ج 2 ، ص 74. 75

ونجد ابن مرزوق الخطيب في رسالة "جنا الجنتين في شرف الليلتين" يتكلّم عن معنى النزول في قوله تعالى :﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ﴾ [القدر : 01] فيقول : " أمّا كلام الله القديم فلا يوصف بالنزول، ولا يوصف بالاستقرار، وإنما المستقرّ الألواح المشتملة على الألفاظ الدالة على المعنى القديم الذي نزل به الروح على سيد المرسلين صلوات الله عليه وعليهم، وقد نزلت مفصلة على النبي صلى الله عليه وسلم واستقرّت بين دفتي المصحف متلوة لنا "[1].

فقد تضمّن هذا النص تقرير لبعض الصفات على مقتضى عقيدة الأشاعرة، فهو يثبت وصف القدم، ويؤخذ منه من طريق الإشارة أنّه يؤوّل صفة النزول ولا يحملها على ظاهرها .

وفي تفسير ابن عرفة عند قوله تعالى : ﴿ وَلَٰكِن كَرِهَ ٱللَّهُ ٱنۢبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ ﴾ [التوبة : 46] قال : " وأخذ المسيلي في التذكرة من هذه الآية أن الأمر لا يستلزم الإرادة "[2]، وهو وفق ما تقتضيه عقيدة الأشاعرة الذين يقولون : " أنه ليس من شرط الأمر إرادة الآمر امتثال المأمور، خلافا للمعتزلة فإنهم ذهبوا إلى أنّ من شرط الأمر إرادة الآمر امتثال المأمور، فيجوز أن يأمر سبحانه بالشيء وهو لا يريده إذ لو أراد لحصل"[3].

ونجد أبا عثمان سعيد العقباني في شرح البرهانية يورد تفسير بعض الآيات على مقتضى قول الأشاعرة، فقال عند قوله تعالى : ﴿ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٤﴾ [طه : 04] أي : ملكه، إذ كلّ شيء ملكه سبحانه، ولا بعد في إطلاق الاستواء بمعنى الملك والسلطان قال الشاعر :

قَد استَوى بِشْرٌ على العِراقِ   منْ غَيرِ سَيْفٍ ودَمٍ مِهْرَاقِ

وأمّا السوداء التي سألها رسول الله صلى الله عليه وسلم أين الله ؟ فأشارت في السماء، ثمّ قال صلى الله عليه وسلم : " إنّها مؤمنة "[4]، فإنّما ذلك قيل لأنها كانت خرساء، وإنما سألها صلى الله عليه وسلم

---

[1] الونشريسي : المعيار ، ج 11 ، ص 285

[2] ابن عرفة : تفسير ابن عرفة ، ج 2 ، ص 310

[3] أحمد بن علي بن برهان البغدادي : الوصول إلى الأصول ، ت : عبد الحميد علي أبو زنيد ، دط (1403هـ . 1983م) مكتبة المعارف ، الرياض ، ج 1 ، ص 131

[4] صحيح مسلم : باب تحريم الكلام في الصلاة ، رقم : 537 ، ج 1 ، ص 381

ليراها هل هي ممن تعبد الصنم فتشير إلى البيت الذي به الأصنام أم لا، فلمّا لم تُشِر لبيت الأصنام علم أنها ليست مشركة، وإشارتها إلى السماء فلأن السماء أعلى ما تراه حسّا، وهو سبحانه الأعلى معنى قال تعالى : ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى﴾ [الأعلى : 01] فعبّرت عن العلوّ المعنوي بالعلوّ الحسّي مجازا، لما لم يمكنها التعبير باللسان لخرسها، وتعذرت عليها الإشارة لغير جهة فاختارت أعلى الجهات "[1]

فانظر كيف أفاض في الاستدلال للمعنى الذي فسّر به الآية نزولا عند معتقده.

ونجد أبا يحيى ابن الشريف التلمساني في أحد أجوبته في المعيار يورد قوله تعالى : ﴿ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ﴾ [يونس : 26] فيقول : أي : أحسنوا في العمل حتى تنورت قلوبهم فأعطوا الجنة وأكرموا بالرؤية، وهي الزيادة، ونضارة الوجه آية عن النظر قال الله تعالى : ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝٢١ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾ [القيامة : 21. 22]..."[2].

يتأكّد هذا التوجّه العقدي الأشعري حينما نجد إقبالهم على تفسير ابن عطية والرازي دون اعتراض يذكر في هذا الباب، بينما يتعاملون مع تفسير الكشاف بحذر، فما من عبارة توحي بالاعتزال إلّا وانتقدوها وبيّنوا مخالفتها لعقيدتهم، وينصحون المبتدئين بعدم قراءة كتابه، وقد أشار إلى هذا الحذر ابن خلدون حينما تكلّم عن تفسير الزمخشري بعد ذكر تفرّده في فنّ البلاغة والإعجاز بقوله : "...لولا أنّه يؤيّد عقائد أهل البدع عند اقتباسها من القرآن بوجوه البلاغة، ولأجل هذا يتحاماه كثير من أهل السنة مع وفور بضاعته من البلاغة، فمن أحكم عقائد السنّة وشارك في هذا الفنّ بعض المشاركة حتى يقتدر على الردّ عليه من جنس كلامه أو يعلم أنّه بدعة فيعرض عنها ولا تضر في معتقده، فإنه يتعين عليه النظر في هذا الكتاب للظفر بشيء من الإعجاز مع السلامة من البدع والأهواء "[3].

كما ذكر وصول مختصر الطيبي إلى المغرب واستحسان العلماء لعمله المتمثل في تنقيته من الاعتزال فقال : " ولقد وصل إلينا في هذه العصور تأليف لبعض العراقيين وهو شرف الدين الطيبي من أهل توريز

---

[1] العقباني : أبو عثمان سعيد بن محمد ، شرح العقيدة البرهانية ، (مع العقيدة البرهانية والفصول الإيمانية) لأبي عمرو عثمان السلالجي ، ت : نزار حمادي ، ط1 (1429هـ. 2008م) مؤسسة المعارف ، بيروت ، لبنان ص 66

[2] الونشريسي : المعيار ، ج 12 ، ص 245

[3] ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، ج 1 ، ص 761. 762

من عراق العجم شرح فيه كتاب الزمخشري هذا وتتبّع ألفاظه وتعرّض لمذاهبه في الاعتزال بأدلة تزيفها، ويبيّن أنّ البلاغة إنما تقع في الآية على ما يراه أهل السنّة لا على ما يراه المعتزلة، فأحسن في ذلك ما شاء مع إمتاعه في سائر فنون البلاغة..."[1].

ج. تمسك أعلام الإباضية في التفسير بآرائهم :

تصدّى أعلام الإباضية لتفسير كتاب الله فاستدلوا بالقرآن لتقرير ما يعتقدونه، ودافعوا عن آرائهم، وأوّلوه بما يتفق مع أفكارهم، كلّ ذلك يبدو واضحا فيما وصلنا من تفاسيرهم، أو أقوال ذات طابع تفسيري في مصنفاتهم، لا سيما كتب علم الكلام التي سجّلوا فيها جدالهم ومناظراتهم مع خصومهم، خصوصا المعتزلة الذين كانوا يساكنونهم فقد ورد في ترجمة أبي سعيد بن أبي بكر المتوفى سنة 726هـ " أنه كان يتردّد على المعتزلة من وارجلان ليناظرهم ويرشدهم إلى الحقّ "[2].

ومن أقولهم في التفسير ما يدلّ على هذا الأمر، فمثلا في مسألة خلق القرآن نجد هود بن محكم الهواري يفسّر كلمة (جعل) الواردة في قوله تعالى :﴿ إِنَّا جَعَلْنَـٰهُ قُرْءَٰناً عَرَبِيّاً لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ [الزخرف : 02] بمعنى : خلق وأيّد تفسيره هذا بذكر ثلاث آيات وردت فيها كلمة 'جعل ' بمعنى خلق ليجعلها كالنظائر للآية حيث قال :" وقوله : " جعلناه أي خلقناه كقوله :﴿ وَجَعَلْنَا ٱلسَّمَآءَ سَقْفاً مَّحْفُوظاً ﴾ [الأنبياء : 32]، وقوله : ﴿ وَجَعَلْنَا ٱلْيْلَ وَالنَّهَارَ ءَايَتَيْنِ ﴾ [الإسراء : 12]، وقوله : ﴿ وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَيٍّ ﴾ [الأنبياء : 30] ونظيره في كتاب الله كثير " [3] .

[1] ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، ج 1 ، ص 556

[2] معجم أعلام الإباضية : ج 2 ، ص 174

[3] هود بن محكم الهواري : تفسير كتاب الله العزيز ، ج 4 ، ص 107

وفي مسألة الرؤية نجده يتأوّل النصوص القرآنية الدالة على الرؤية، فيصرفها عن ظاهرها ليثبت ما يعتقد من استحالتها فيقول عند قوله تعالى : ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾ [القيامة : 21. 22] يقول : " ناضرة : أي ناعمة، وناظرة : أي : تنتظر الثواب وهي وجوه المؤمنين "[1].

وسجّل الدارسون لمنهج هود بن محكم حذفه لبعض الروايات الصحيحة في مختصره لكونها تتنافى مع أصوله العقدية، فذكروا من ذلك ما جاء في تفسير قوله تعالى :﴿ وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَالاَرْضُ جَمِيعاً قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِۦ سُبْحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [الزمر : 64] قال : "...أي : بملكه وسلطانه، سبحانه : ينزه نفسه، وتعالى : أي : ارتفع، عمّا يشركون : فإن زعم زاعم أن الله يقبض كما يقبض الخلق، أو له يمين أو شمال كما للخلق فقد كفر بالله "[2].

وقد علّق في الهامش محقّقه الأستاذ بلحاج شريفي بقوله : " هذه الجملة الأخيرة وتفسير اليمين بالملك والسطان من زيادات الشيخ هود ولا شك، وجاء بدلا عنها في ز (أي مختصر ابن زمنين) ما يلي : "...حدثني عبد الله بن عمر قال : سمعت رسول الله يقول : " إنّ الرحمن يطوي السموات يوم القيامة بيمينه والأرضين بالأخرى ثمّ يقول : أنا الملك أنا الملك أنا الملك "[3] الحديث[4]، فانظر كيف حذف هذا الحديث لكونه لا يتناسب مع معتقده المتمثل في تأويل الصفات.

كما نجد أبا عمار عبد الكافي وهو من مفسّري الإباضية نجده يتمسّك بعقيدته، مستشهدا لها من القرآن فيقول مثلا في خلود مرتكب الكبيرة : " وأمّا في الآخرة فيعتقد أنه في النار خالدا مخلّدا فيها أبدا إنْ أصرّ ولم يتب، ولا مطمع في أن يخلف الله وعيده في حقّه، ولا أن يشفع فيه أحد لأدلة الخلود مثل

---

[1] هود بن محكم الهواري : تفسير كتاب الله العزيز ، ج 4 ، ص 444

[2] المصدر نفسه : ج 4 ، ص 46. 47

[3] صحيح مسلم : كتاب صفة القيامة والجنة والنار ، رقم : 2786 ، ج 4 ، ص 2147

[4] هود بن محكم الهواري : تفسير كتاب الله العزيز ، ج 3 ، ص 47

قوله تعالى : ﴿ وَمَنْ يَّعْصِ اِ۬للَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ نُدْخِلْهُ نَاراً خَٰلِداً فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴾ [النساء : 14] "[1].

والأمر نفسه عند أبي يعقوب الوارجلاني الذي يلوي أعناق الآيات ليّا عنيفا، مُبعدا عمّا ترمي إليه من معاني، منتصرا لما يعتقده، فقد ذكر قوله تعالى : ﴿ وَعَدَ اَ۬للَّهُ اُ۬لذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ اُ۬لصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِے اِ۬لَارْضِ كَمَا اَ۪سْتَخْلَفَ اَ۬لذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ اُ۬لذِے اِ۪رْتَضَيٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمُۥٓ أَمْناٗ يَعْبُدُونَنِے لَا يُشْرِكُونَ بِے شَيْـٔاٗ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ اُ۬لْفَٰسِقُونَ ﴾ [النور : 53] فقال : " فلما استخلف أبو بكر أنجز الله له وعده، فثبت أنّ أبا بكر مؤمن وقد عمل الصالحات ومكّنه الله بعد ذلك دينه الذي ارتضى له، وبدّل له الأمن بعد الخوف فصار إلى العبادة وإدحاض الشرك، ومن كفر بعد ذلك من لم يسلك سبيل أبي بكر وخاف بعد الأمان، اضطهد في قعر داره والدنيا أمان، واستغاث ولم يغث فأولئك هم الفاسقون "[2].

فانظر كيف أسقط الآيات على خلافة أبي بكر وعثمان رضي الله عنهما من أجل انتقاص الخليفة عثمان رضي الله عنه واتهامه بالفسوق والكفر، كلّ ذلك دافعه الميل للمعتقد ،والتعصّب للرأي، ووسيلته انحراف في تفسير كتاب الله عزّ وجلّ.

[1] أبو عمار الوارجلاني : الموجز ، ج 2 ، ص 217

[2] الوارجلاني : الدليل والبرهان ، ج 1 ، ص 39

المبحث الثاني : اتجاهات مدرسة التفسير الجزائرية

تنوّعت اتجاهات التفسير في الجزائر بفعل عوامل كثيرة ساهمت مجتمعة في ظهور ألوان من تفسير القرآن الكريم، بداية من توطن الإباضية منذ القرن الأول الهجري هذه البلاد وما اختصّوا به من آراء عقدية وفكرية، والرحلة للمشرق للحج ولقاء العلماء، يضاف إلى ذلك ما حمله الأندلسيون المهاجرون من مناهج في التفسير ونقل مؤلفاتهم فيه، كلّ ذلك ترك أثره في هذه المدرسة ويمكن حصر اتجاهات التفسير في الجزائر في : الاتجاه الأثري، الاتجاه اللغوي، الاتجاه الفقهي، الاتجاه الصوفي.

أوّلا : الاتجاه الأثري : وهو ما يعتمد فيه المفسر على الأثر والرواية، فيفسّر القرآن بما جاء فيه نفسه من البيان والتفصيل، ثمّ بما نُقل عن النبي صلى الله عليه من توضيح لبعض الآيات وإظهار لمعانيها، ثمّ بما نقله الصحابة الكرام من فهوم لمعاني القرآن وهم أهل السليقة والبيان، عايشوا التنزيل وعرفوا ملابسات التشريع، ثمّ بما جاء من تفسير عن التابعين وهم تلامذة الصحابة، وقد اعتمد أعلام الجزائر هذا النوع من التفسير وأنزلوه منزلته وعرفوا له قيمته، ولذلك نجده الاتجاه الغالب في التفسير بما في ذلك تفاسير الإباضية، فالصفة الغالبة على تفاسير الجزائريين هي الرواية والأثر وهذا ما أشار إليه عبد العزيز فيلالي وهو يتحدّث عن علم التفسير خلال العهد الزياني بقوله : " فإنّ أغلبهم كان يعتمد على الأثر في تفسيره وأنهم قليلو التدوين"[1]، وهي النزعة الغالبة على تفاسيرهم، وقد مرّ معنا أن جذور حركة التفسير في الجزائر تنطلق من أقوال روّاد مدرسة الأثر : ابن عباس ومولاه عكرمة والحسن البصري، ولهذا الكلام جملة من الأدلة والشواهد عليه :

فمن شواهد وقوفهم عند الأثر وعدم تجاوزه إلى الرأي قول الداودي : ﴿ وَكَانَ تَحْتَهُۥ كَنزٌ لَّهُمَا ﴾ [الكهف : 81]، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : ذهب وفضة، فإن صحّ هذا الحديث فلا نظر لأحد بعده " [2].

وهي عبارة تدلّ دلالة قوية على الوقوف عند النص في التفسير وعدم تجاوزه إلى البحث والاجتهاد.

---

[1] عبد العزيز فيلالي : تلمسان في العهد الزياني ، دط ، سنة 2002م ، موفم للنشر والتوزيع ، الجزائر ، ص 432

[2] الثعالبي : الجواهر الحسان ، ج 3 ، ص 539

ونجد قول المقرّي الجد : "ولا رخصة في تعيين الأسباب والناسخ والمنسوخ إلّا بتوقيف صحيح أو برهان صريح، وإنما الرخصة في تفهّم ما تعرفه العرب بطبائعها، من لغة وإعراب وبلاغة وبيان إعجاز ونحوها "[1].

وهو نصٌّ واضحٌ يدلّ على أنّ المنهج الذي يرتضيه في التفسير هو ما كان مستنده في المقام الأول الأثر والرواية، ثمّ يستعين بعد ذلك بما تحمله لغة العرب من وجوه إعرابية وبلاغية ونحوها.

وقول ابن مرزوق الجدّ في رسالة : "جنا الجنتين في شرف الليلتين" وهو يتحدّث عن تنزّلات الملائكة ليلة القدر : " الثابت من ذلك كلّه ما نصّ عليه الكتاب في محكم الذكر، وهو نزول الملائكة والروح فيها بإذن ربهم من كلّ أمر سلام هي، وما جاء من الاختلاف في السلام هل هو معنى التحية أو السلام أو غير ذلك ؟ مما أوردناه في فصله عن أئمة التفسير فيما تقدّم موضحا، وأمّا ما ذكر من غير ذلك مما أورده المفسرون وغيرهم من تنزلهم على صور مختلفة، وبألوية مختلفة مذكورة في مواضع تحية مخصوصة فليست أحاديثها بالمعتمد الصحيح في الاستدلال كما سبق، فلم يبق إلا نزولها عليه عليه السلام ليلة القدر "[2].

ورأينا قوله في حقيقة التسبيح المذكور في قوله تعالى : ﴿ وَإِن مِّن شَيْءٍ اِلاَّ يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ ﴾ [الإسراء : 44] إذ يقول : ومذهب المحققين أنه حقيقة، قال تعالى :﴿ وَإِنَّ مِنَ ٱلْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ ٱلاَنْهَـٰرُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ ٱلْمَآءُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ﴾ [البقرة : 73] والعقل لا يحيط ذلك، وورد به النص فوجب المصير إليه وهو الحقّ "[3].

فما يُعرف إلّا بالنّقل الصحيح لا يُقحم ابن مرزوق فيه الأخبار الواهية والضعيفة، وما لا يستطيع العقل إدراكه من الغيبيات لا مجال للقول فيه بالرأي.

وقد سار الإباضية على هذا الاتجاه في تفسيرهم للقرآن، واهتموا بنقل الأحاديث والآثار فيها، تجلّى ذلك في أقدم تفسير إباضي جزائري وصل إلينا وهو تفسير هود ابن محكم، ومعلوم أنّ عصره عصر رواية

---

[1] المقري : نفح الطيب ، ج 5 ، ص 279 . التنبكتي : نيل الابتهاج ، ص 416

[2] الونشريسي : المعيار ، ج 11 ، ص 286 . ابن مرزوق الخطيب : جنى الجنتين ، ص 197

[3] ابن مرزوق الخطيب : تيسير المرام ، ج 1 ، ص 714 . 715

فاحتوى على كمٍّ هائلٍ من روايات الصحابة والتابعين في التفسير، من أمثلة ذلك ما جاء عند تفسير قوله تعالى : ﴿لَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ مَحِلُّهَآ إِلَى ٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ﴾ [الحج : 31] حيث يقول : " ذكر عطاء عن ابن عباس قال : الأجل المسمّى إلى أن تقلّد وتشعر، وهي البدن ينتفع بظهرها ويستعان بها،... وقال مجاهد أيضا : هي البدن ينتفع بها حتى تقلد، ذكروا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى رجلا يسوق بدنة فقال : اركبها، فقال : إنها بدنة، قال : اركبها، قال : إنها بدنه، قال : اركبها ويحك، ذكر عطاء قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحمل على بدنته العقب...."[1].

فهو يحشر كلّ الروايات الواردة في الآية، وهذا مبسوط كثيرا في تفسيره لذلك يصنف ضمن التفسير بالمأثور غير أنّ ذلك لا يمنع من وجود أقوال خاصة به في التفسير عن طريق الاجتهاد والدراية.

والوارجلاني في تفسيره أيضا يسلك مسلك الجمع بين المنقول والمعقول وهو مسلك محمود في مناهج المفسرين فقد ذكر البرادي في الجواهر المنتقاة منهجه في التفسير فذكر أنه : "...يذكر الأحاديث المتعلقة بالآية من سبب نزول أو تبيان حكم..."[2]، وقد سبق أن ذكرنا معالم منهجه وأوضحنا ذلك بنماذج تفسيرية من تآليفه.

[1] هود بن محكم الهواري : تفسير الكتاب العزيز ، ج 3 ، ص 113. 114

[2] البرادي : الجواهر المنتقاة ، ص 221

ثانيا : الاتجاه الفقهي : قد أشرنا سابقا في الفصل الثاني إلى طغيان النزعة الفقهية على الحركة العلمية في المغرب الأوسط، وسيطرة الفقهاء على مناصب التدريس والقضاء، ولذلك حتى بعد انتشار وكثرة الدرس التفسيري في القرن السابع والثامن، بقي الاهتمام بالمباحث الفقهية في التفسير غالبا، ويمكن ملاحظة هذا الأمر في النماذج التفسيرية الآتية لبعض الأعلام :

أحمد بن نصر الداودي: أورد في كتابه : الأموال تفسيرا لآية مصارف الزكاة على طريقة الفقهاء، متطرّقا لاختلاف أهل العلم في تحديد ضوابط كلّ صنف من الأصناف الثمانية فقال : " واختلف في الفقراء والمساكين من هم : فقيل : الفقير الذي له البلغة، والمسكين الذي لا شيء له، وقيل : الفقير الذي لا يسأل، والمسكين الذي يسأل... وقيل : الفقير المسلم والمسكين الذمي، روي ذلك عن ابن عباس، وقال به بعض أهل الكوفة، وابن السبيل : المقطوع به في سفره وإن كان له مال في بلده "[1].

ابن مرزوق الخطيب : وهو الفقيه المالكي شارح ابن الحاجب، ذو الاطلاع على المذاهب والأقوال، يذكر ما يتعلق بالآية محلّ الاستشهاد من أحكام ومسائل من ذلك : استدلاله بقوله تعالى : ﴿ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ ﴾ [الزمر : 62] على أنّ الردّة تنقض الوضوء قال : " فيجب الوضوء بعد الرجوع إلى الإسلام "، ثمّ أشار إلى الخلاف في المسألة فقال : " ووافق المازري من أصحابنا الشافعي فقال : لا تنقض لقوله تعالى : ﴿ وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ ﴾ [البقرة : 215] وهو من باب ردّ المطلق للمقيّد "[2].

وكذا عند قوله تعالى : ﴿ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ ﴾ [المائدة : 07]، " وقال جمهور أهل العلم : معنى الآية : إذا قمتم إلى الصلاة محدثين، وليس في الآية على هذا تقديم ولا تأخير، وهو قول أكثر الصحابة كسعد بن أبي وقاص، وابن عباس، وأبي موسى الأشعري وغيرهم، وإليه ذهب الشافعي "[3].

وأمّا في رسالة جنى الجنتين فنجده يذكر فائدة فقهية تناسب النصّ المفسّر فقال : " لو حلف رجل يمينا وعلّقها على ليلة القدر من طلاق أو عتق، فقيل : لا بقع الطلاق والعتق عليه إلّا إلى مضيّ سنة

[1] الداودي : كتاب الأموال ، ص 254

[2] ابن مرزوق الخطيب : تيسير المرام ، ج 1 ، ص 837

[3] المصدر نفسه : ج 1 ، ص 418

من يوم حلف، لأنه لا يقضى عليه بالطلاق بالشكّ و، لم يثبت اختصاصها بوقت، فلا ينبغي إيقاع الطلاق إلّا بمضيّ حول، وكذلك العتوق، قالوا : لأنّ كونها مخصوصة برمضان مظنون، وصحّة النكاح معلومة، فلا تزال إلّا بيقين مرور ليلة القدر "[1].

الحسن ابن عطية الونشريسي (ت 788هـ) : وهو من فقهاء المالكية، أصله من قبيلة بني تجين بالمغرب الأوسط، رحل جدّه عطية للمغرب الأقصى وسكن بحوز مكناسة، تولّى القضاء بفاس وتصدّر للتدريس بجامع القرويين، وله فتاوى نقل بعضها الونشريسي في المعيار.[2]

أورد صاحب المعيار عدّة رسائل للحسن بن عطية الونشريسي تحمل بصمة تفسيرية عاليه تظهر اهتمامه باستنباط الأحكام وتدلّ بوضوح على التمكّن والبراعة في التفسير الفقهي لآيات الأحكام، منها مقالة عنونت ب : " رفع الحرج والجناح عمن أرادت من المراضع النكاح " تضمّنت عشر مسائل كلّها تندرج تحت آية الرضاع جاء فيها : قوله تعالى : ﴿ وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ ﴾ [البقرة : 231]، وقوله تعالى : ﴿ وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْراً ﴾ [الأحقاف : 14] قال ابن عباس رضي الله عنه : المولود الذي يرضع حولين كاملين هو المولود لستة أشهر، وإنْ ولد لسبعة أشهر فرضاعه ثلاثة وعشرون شهرا ، وإن ولد لثمانية أشهر فرضاعه اثنان وعشرون شهرا... قال القاضي أبو بكر بن العربي : ومن هاتين الآيتين أخذ علي رضي الله عنه أنّ أقلّ الحمل ستة أشهر... وهذا من بديع الاستنباط، فإذا بنينا على مقتضى قول علي وهو تفسير ابن عباس، فقد زال عن المسألة الإشكال والالتباس لأنّ غالب حمل النساء إنما تسعة أشهر، فكلام العلماء على أنّ أقلّ الحمل ستة أشهر إنما هو لدرء حدّ أو إلحاق نسب أو لضرورة تلجئ إلى ذلك، وإن بنينا على تفسير غيرهما وهي المسألة الثانية، نظرنا في تمام رضاع الحولين، هل يجب أو يجوز الاقتصار على ما دونه، قال القاضي منذر بن سعيد في تفسيره : إنما ذكر الله تعالى تمام الحولين في الرضاع من أجل إيجاب الخيار في الفصال، فكأنه قال تعالى : والوالدات يرضعن بالخيار، إن شئن أن يكملن لأولادهن رضاع حولين، وإن شئن لم يكملن ذلك على الضرر منهن، فهذا معنى الكلام، فإرضاع الحولين لا يجب فرضا مقدرا إلا لمن أراد أن يتم الرضاعة باتفاق من الزوجين، فهما مخيران في إتمام الرضاع، لكل واحد من الوالدين أن يفصل الرضاع

---

[1] ابن مرزوق الخطيب : جنى الجنتين ، ص 96. 97

[2] نويهض : معجم أعلام الجزائر ، ص 344. 345

قبل إتمام الحولين ما لم يكن مضارا، فإذا كان مضارا لم يكن له ذلك، قلت : وكلام منذر هذا كافي في سقوط كلام المفارق، لأنا نشده بكلام غيره فنقول : قال بعض المفسّرين : قال قتادة : كان الرضاع واجبا في الحولين، وكان يحرم الفطام قبل ذلك، ثمّ خفّف الله ذلك، وأباح الرضاع أقل من الحولين في قوله تعالى : ﴿ فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا ﴾ [البقرة : 231]، وقال القاضي أبو بكر بن العربي : لو كان هذا حدّا مؤقّتا لا تجوز الزيادة عليه ولا تعتبر إن وجدت لما أوقفه الله على الإرادة كسائر الأعداد المؤقتة في الشرع، قال والصحيح : أنّه لا حدّ لأقلّه، وأنّ أكثره محدود بالحولين مع التراضي "[1]، فقد تناول ما يستنبط من الآية من أحكام مستدلّا على ذلك بأقوال الصحابة والتابعين وأقوال المفسرين.

ثمّ تطرق إلى حكم الغيلة : وهي مسألة لها حبل وثيق مع آية الرضاع، حيث ذكر أقوال المفسرين في اللغات الواردة في هذه الكلمة واشتقاقاتها :" وأما ضبط الغيلة وهي المسألة الخامسة، فقال ابن زمنين : الغيلة بكسر الغين لا يجوز الفتح إلا بكسر الهاء... وقال القاضي عياض في الإكمال : لو كان هذا صحيحا لكانت من ذوات الواو لقوله تعالى : ﴿ لاَ فِيهَا غَوْلٌ وَلاَ هُمْ عَنْهَا يُنزَفُونَ ﴾ [الصافات : 47] أي : لا تغتال عقولهم، فيكون الاسم الغول، وقد أكثر الناس في اشتقاقها، ولا غرض لنا في استيفاء كلامهم "[2] .

فانظر كيف ذكر الآية، ثمّ جعل تحتها مسائل مستنبطة منها مع الاستدلال عليها بالسنّة وأقوال الصحابة والتابعين ونقل كلام المفسّرين خاصّة ابن العربي مع إيراد قول مالك في كل مسألة وهو صنيع مفسري أحكام القرآن.

[1] الونشريسي : المعيار ، ج 3 ، ص 295

[2] المرجع نفسه : ج 3 ، ص 296

ثالثا : الاتجاه اللّغوي : يرتبط علم التفسير ارتباطا وثيقا باللّغة العربية ومعرفة علومها، ذلك لأنّ القرآن الكريم نزل بلسان عربيّ مبين، على أحسن ما تعرفه العرب من فنون الخطاب ودلائله، وقد اشترط العلماء على من يتصدّى لمهمّة التفسير أن يكون على دراية تامّة بقواعد اللغة العربية وأصولها ودلالاتها، وعلى جانب كبير من التمكّن بعلومها، وقد وضع ابن عباس رضي الله عنهما الحجر الأساسي لهذا الاتجاه اللّغوي في التفسير، ثمّ تتابع العلماء عبر العصور في تشييد صرح هذا البناء.

وفي هذا الصدد سجّل المفسّرون الجزائريون عنايتهم بالمباحث اللغوية المتمثلة في النحو، والبلاغة، والإعجاز واعتبروها من الأصول التي يقوم عليها الدرس التفسيري، ويرجع ذلك إلى تأثرهم بالتفاسير الأندلسية في هذا الشأن خاصة تفسير أبي حيان وتفسير ابن عطية (فالناظر في البحر المحيط وما تعرّض صاحبه فيه لمسائل اللغة والنحو والإعراب وآراء المذاهب النحوية والمناقشة والردّ والترجيح، لابدّ أن يخرج بنتيجة مقتضاها أنّ هذا الكتاب يعنى عناية فائقة بالنحو، حتى يرى أنّه أقرب إلى النحو منه إلى كتب التفسير، أمّا ابن عطية في تفسيره فقد تعرّض كذلك للغة والإعراب وآراء النحويين البصريين والكوفيين وغيرهم، غير أنّه لم يكن على درجة من أبي حيان في هذا المجال)"[1].

وسنعرض نماذج تفسيرية تدل على العناية الفائقة التي أولاها أعلام الجزائر للمباحث اللغوية من نحو وإعراب وصرف وبلاغة.

[1] مصطفى إبراهيم المشيني : مدرسة التفسير في الأندلس ، ط 1 (1406هـ . 1986م) مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ص 604

النموذج الأول : أبو عبد الله محمد بن عبد الحق الكومي التلمساني[1] :

يعتبر ممن وضعوا لبنة في بناء التفسير اللّغوي، وكتابه : "الاقتضاب في غريب الموطّأ وإعرابه على الأبواب" حافل بهذا النوع من التفسير، ويمكن حصر معالم التفسير اللّغوي عنده من خلال هذا الكتاب، والخصائص التي ميّزت منهجه اللغوي فيه في النقاط التالية :

. الاهتمام ببيان اشتقاق الكلمة وأصل استعمالها العربي : يعطي أبو عبد الله الكومي اهتماما بالغا لعلم الاشتقاق الذي هو : " أخذ صيغة من أخرى مع اتفاقهما معنى ومادّة أصلية وهيئة تركيب لها، ليدلّ بالثانية على معنى الأصل بزيادة مفيدة لأجلها اختلفا حروفا أو هيئة "[2]، فلا يكاد يمرّ بكلمة إلّا وبيّن معناها واشتقاقها وأصل استعمالها في الوضع العربي، فعند شرح كلمة عزين ﴿ عِزِينَ﴾ [الحاقة : 37] أي : جماعات متفرقة، واحدها : عزة، والأصل : عزوة، من عزاه يعزوه :إذا أضافه إلى غيره، وجاز جمعه بالواو والنون لأنه عوضٌ عما حذف "[3].

وفي لفظ " القدر " من قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ﴾ [القدر : 01] قال : "... يقال : قدرت الشيء بالتخفيف وقدَّرته بالتشديد، ومصدر قدرت بالتخفيف قدْر وقدَر بالسكون والحركة، ومصدر قدّرت المشدّد تقدير، ويجوز أن يكون القدْر بالسكون المصدر، والقدَر بالتحريك الاسم "[4].

---

[1] هو محمد بن عبد الحق بن سليمان الكومي اليعفري البطيوي التلمساني ، القاضي الفقيه المحدّث المتكلّم من أهل تلمسان ، له : المختار في الجمع بين المنتقى والاستذكار ، وكتاب في غريب الموطّأ ، وفرقان الفرقان وميزان القرآن ... ، ولد سنة 536هـ وتوفي بتلمسان سنة 625هـ . ينظر : الحفناوي : تعريف الخلف ، ج 2 ، ص 395. 396 ، نويهض : معجم أعلام الجزائر ، ص 77

[2] السيوطي : المزهر في علوم اللغة وأنواعها ، ت : فؤاد علي منصور ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط1 ، (1418هـ . 1998م) ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ج 1 ، ص 275

[3] الكومي : الإقتضاب : ج 1 ، ص 142

[4] المصدر نفسه : ج 1 ، ص 350

وقال : " قوله تعالى : ﴿ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَـٰٓئِرَ ٱللَّهِ ﴾ [الحج : 30] أي : معالمه التي ندب إليها، وأمر أن يقام بحقها، واحدتها : شعيرة، كالصفا والمروة والبدن المهداة إلى البيت، والمراد بها هنا : البدن،... وهي مشتقة من أشعرت بالشيء، أي : أعلمت به..." [1].

. بيان المعنى الذي يحمله السياق : قد يكون للكلمة أكثر من معنى ولا يُتبيّن المقصود منها إلاّ بمعرفة ما احتفَّ بها من القرائن السابقة واللاحقة، وهو ما يُعرف بدلالة السياق وهو : " ما يدلّ على خُصوص المقصود من سابق الكلام المسُوق لذلك أو لاحقِه "[2]، وهو أصل من أصول التفسير، وقد اعتنى بهذه الدلالة في شرح الألفاظ القرآنية، فنجده مثلا عند كلمة : "الظلم " قال : " وأصل الظلم في كلام العرب : وضع الشيء في غير موضعه الذي يجب أن يكون فيه " ثمّ أورد بعض معانيه في القرآن بحسب السياق فقال : "... ويسمّى الشرك بالله ظلما، لأنّه وضعٌ للربوبية غير موضعها، قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾ [لقمان : 12]، وقال تعالى : ﴿ وَمَن يَظْلِم مِّنكُمْ نُذِقْهُ عَذَاباً كَبِيراً ﴾ [الفرقان : 19]، وقال تعالى : ﴿ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَـٰنَهُم بِظُلْمٍ ﴾ [الأنعام :83] أي : بشرك، ويسمّى النقصان ظلما كقوله تعالى : ﴿ كِلْتَا ٱلْجَنَّتَيْنِ ءَاتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِم مِّنْهُ شَيْـًٔاۚ ﴾ [الكهف : 33]... ويكون الظلم : الجحد قال تعالى : ﴿ وَءَاتَيْنَا ثَمُودَ ٱلنَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُواْ بِهَاۚ ﴾ [الإسراء : 59] أي : جحدوا بها آية من آيات الله تعالى..."[3].

. التعرّض لاختلاف القراءات وتوجيهها : فهو يذكر القراءات القرآنية ويحتج بها في تصحيح اللغة والحكم عليها، ولا ينسب في الغالب كلّ قراءة لمن قرأ بها، وفي بعض الأحيان يبيّن الوجه الذي قُرئت عليه، والمعنى الذي تحمله كلّ قراءة، وذلك لأنّ تنوع القراءات بمنزلة تعدّد الآيات كما هو مقرّر في قواعد التفسير[4].

---

[1] الكومي : الاقتضاب ، ج 1 ، ص 413

[2] البّناني : محمد بن الحسن ، حاشية العلاّمة البناني على جمع الجوامع ، دط ، دت ، دار الفكر، ج 1 ، ص 20

[3] المصدر السابق : ج 2 ، ص 224. 225

[4] خالد بن عثمان السبت : قواعد التفسير . جمعا ودراسة . ، ط1 (1421هـ) ، دار ابن عفان ، الجيزة ، ج 1 ، ص 88

ومن أمثلة القراءات التي نبّه عليها ووجّهها : قوله تعالى : ﴿وَمَا هُوَ عَلَى ٱلْغَيْبِ بِضَنِينٍ﴾ [التكوير : 24] أي : ببخيل، ومن قرأ : بظنين بالظاء مشالة، أي : بمتّهم "[1].

وقوله تعالى : ﴿ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ ﴾ [الأنفال : 61] قال : "وفي قراءة عبد الله : ومن ربط الخيل يقال : رباط وأربطة ثمّ ربُطٌ "[2].

وقوله عزّ وجلّ : ﴿ لاَّ تَخَٰفُ دَرَكاً ﴾ [طه : 76] إخبار في اللفظ، وفيه من تضمّن معنى النهي مثل ما في قراءة من جزم لا تخفْ "[3].

وقوله : " وقرأت القراء ﴿ وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ اَنْ يُّغَلَّ ﴾ [آل عمران : 191] بفتح الياء وضمّ الغين، يخون أصحابه ويستأثر عليهم، وقرأت أيضا : يُغَلّ بضمّ الياء وفتح الغين، وفيه ثلاثة أوجه : أحدها : أن يخان، والثاني : أن يوجد غالّا، من قولهم : أغللت الرجل : إذا وجدته يَغُلُّ، كما يقال : أذممته أو أحمدته إذا وجدته مذموما ومحمودا، والثالث : أن ينسب إلى الغلول، وهذا الوجه أنكره أكثر أهل اللغة، وفيه نظر، لأن باب النسب إنما يكون بفعّل، كقولهم : فسّقته وفجّرته : إذا نسبته إلى ذلك، فكان ينبغي أن يقال : يغلّل، ولكن العرب استعملت : أفعل بمعنى النسب، وإن كان قليلا، قالوا : أكذبت الرجل، إذا نسبته إلى الكذب "[4].

. ذكر بعض الروايات المأثورة في التفسير: يُورد بعض الأحاديث والآثار التي توضّح المعنى المراد، ويعتمد خاصّة على أقوال أئمة التفسير من الصحابة والتابعين، وعلى رأسهم ابن عباس وتلميذه مجاهد بن جبر، من ذلك :

قوله في معنى السبع المثاني : " أولى ما قيل في السبع المثاني أنها فاتحة الكتاب، لأنّ القول به أرفع ما روي فيه، وهو مخرّج في التفسير المسند، وروي عن ابن عباس : قيل لها ذلك لأنها تثنّى في كلّ ركعة،

[1] الكومي : الاقتضاب ، ص 139
[2] المصدر نفسه : ج 2 ، ص 22
[3] المصدر نفسه : ج 1 ، ص 428
[4] المصدر نفسه : ج 2 ، ص 23. 24

وقال بذلك جماعة من أهل العلم بتأويل القرآن منهم : قتادة، ذكره عبد الرزاق عن معمر عنه، وقد روي عن ابن عباس أيضا في السبع المثاني أنها السبع الطوال : البقرة وآل عمران والنساء والمائدة والأنعام والأعراف والأنفال وبراءة وهو قول مجاهد وابن جبير لأنها تثنّى فيها حدود القرآن والفرائض، والقول الأول أثبت عن ابن عباس، وهو الصحيح لما ثبت عنه صلى الله عليه وسلم في هذا الحديث "[1].

وعند تفسير لفظة " قوة " من قوله تعالى : ﴿ وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ ﴾ [الأنفال : 61] قال : " السلاح والخيل والعُدّة، وروي مرفوعا : أنّه الرمي "[2].

وقوله : " قال قتادة في قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا مَرُّواْ بِاللَّغْوِ مَرُّواْ كِرَاماً ﴾ [الفرقان : 72] قال : لا يساعدون أهل الباطل على باطلهم "[3].

وعند قوله تعالى : ﴿ فَاتِّبَاعٌۢ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَآءٌ اِلَيْهِ بِإِحْسَٰنٍ ﴾ [البقرة : 177] قال : " أي : ليتّبع وليّ الدم ما بُذل له بالمعروف، وليؤدِّ القاتل المعفوُّ عنه ما اتفقا عليه بإحسان، قاله ابن عباس وقتادة ومجاهد وغيرهم " [4].

. **الاستشهاد بالشواهد الشعرية** : يعتمد الكومي على الشعر العربي لبيان مدلول بعض الألفاظ وإبراز ما اشتملت عليه التراكيب من معان، وهو مسلك ابن عباس رضي الله عنهما الذي كان يحُثّ على الرجوع إليه فيقول : " إذا سألتموني عن غريب القرآن فالتمسوه في الشعر "[5]، وقال أيضا : " الشعر ديوان العرب، فإنْ خفي عليهم الحرف من القرآن الذي أنزله الله بلغة العرب، رجعوا إلى ديوانها، فالتمسوا معرفة ذلك منه..."[6]، ويُسند كلّ شاهد لقائله، ومن أمثلة ذلك :

---

[1] الكومي : الاقتضاب ، ج 2 ، ص 105. 106

[2] المصدر نفسه : ج 2 ، ص 22

[3] المصدر نفسه : ج 1 ، ص 131

[4] المصدر نفسه : ج 2 ، ص 372

[5] السيوطي : الإتقان في علوم القرآن ، ج 2 ، ص 67

[6] أبوبكر الانباري : محمد بن القاسم بن محمد بن بشار ، إيضاح الوقف الابتداء في كتاب الله عزّ وجلّ ، ت : محيي الدين عبد الرحمن رمضان ، (1390هـ . 1971م) مطبوعات مجمع اللغة العربية ، دمشق ، ج 1 ، ص 100

عند قوله تعالى :﴿ فَمَا ٱسْطَٰعُوٓاْ أَن يَظْهَرُوهُ ﴾ [الكهف : 93] قال النابغة : وإنا لنرجو فوق ذلك مظهرا أي : مرتقى وعلوّا "[1].

وعند قوله تعالى : ﴿حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ مِنَ ٱلْفَجْرِ﴾ [البقرة : 176] أي : بياض النهار من سواد الليل، قال أبو دؤاد الإيادي :

فَلَمَّا أَضَاءَتْ لَنا سُدْفَةٌ وَلَاحَ لنا الصُّبْحُ خَيْطٌ أَنَارَا[2]

وعند قوله تعالى : ﴿ قُلْ مَن يَكْلَؤُكُم ﴾ [الأنبياء : 42] قال : " أي: يحفظكم، ومنه قول ابن هرْمة :

إِنَّ سُلَيْمَى واللهُ يَكْلَؤُهَا ضَنَّتْ بِشَيءٍ ما كان يَرْزَؤُهَا "[3].

. **الاهتمام بمعاني الحروف** : ﴿يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ ٱلْجَمْعِ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلتَّغَابُنِ﴾ [التغابن : 09] معناه : في يوم الجمع حكاه ابن النحاس "[4].

وقوله : " السعي إذا كان بمعنى العدو أو بمعنى المضيّ فإنّه يتعدّى إلى الغاية ب' إلى '، يقال : سعى إلى غاية كذا وكذا، أي : جرى إليها، ومشى إليها، فإذا كان بمعنى العمل فإنّه لا يتعدّى ب إلى، وإنما يتعدّى باللام فيقول : سعيت لكذا وكذا، وسعيت لفلان، قال تعالى : ﴿وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا ﴾ [الإسراء : 19] وإنما تعدّى السعي إلى الجمعة ب ' إلى ' لأنه بمعنى المضيّ "[5].

وقوله : " قال النحويون المحققون في قوله تعالى : ﴿فَكُلُواْ مِمَّآ أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ ﴾ [المائدة : 05] إنّ من هنا لا تكون زائدة، لأنها تزاد لمعنى العموم مع النفي، وإنما ينبغي أن تكون للتبعيض، ولبيان الجنس الذي أمرنا بأكله، لأنّ صيد الجوارح جنسان : أحدهما : مباح أكله، وهو ما أمسكته علينا، وضرب محظور أكله، وهو ما لم يمسكه علينا "[6].

---

[1] الكومي : الاقتضاب ، ج 1 ، ص 5

[2] المصدر نفسه : ج 1 ، ص 8

[3] المصدر نفسه : ج 1 ، ص 31

[4] المصدر نفسه : ج 1 ، ص 19

[5] المصدر نفسه : ج 1 ، ص 133

[6] المصدر نفسه : ج 2 ، ص 60

وعند قوله تعالى : ﴿لِّلذِينَ يُولُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ﴾ [البقرة : 224] قال : فعدّاه ب : "**من**"، قيل هذا يحتمل أوجها : أحدها : أن يكون بمعنى على كما جاءت على بمعنى من في قوله تعالى : ﴿اَلذِينَ إِذَا اَكْتَالُواْ عَلَى اَلنَّاسِ يَسْتَوْفُونَ﴾ [المطففين :02]، والوجه الثاني : أن يكون تقديره : للذين يولون لهم من نسائهم تربص أربعة أشهر، فتكون من متعلقة بالاستقرار الذي دلت عليه اللام، لا بإيلاء، والوجه الثالث : أن يحمل على المعنى في لأنّه إذا آلى ألّا يطأها، فقد انفصل منها وتبرّأ فيكون منزلة قوله :

إِذَا رَضِيَتْ علَيَّ بَنُو قُشَيْرٍ لَعَمْرُ اللهِ أَعْجَبَني رِضَاهَا

فعدّى الرضا ب : "**على**" لأنّه بمعنى الإقبال، لأنه إذا رضي عنه أقبل عليه "[1].

. **الاعتماد على كتب معاني القرآن** : ومن أمثلة ذلك : قال الفراء في قوله تعالى : ﴿طَوَّافُونَ عَلَيْكُم﴾ [النور : 56] إنما هم خدمكم "[2].

وحكى أبو إسحاق الزجاج : في المعاني عن بعض النحويين في قوله تعالى : ﴿قُلِ اِنَّ اَلْهُدىٰ هُدَى اَللَّهِ أَنْ يُّوتىٰٓ أَحَدٌ﴾ [آل عمران : 72] معنى "**أن**" هنا " **لا** " وإنما المعنى : ألّا يوتى أحد، قال : لأنّ " لا " تحذف، لأنّ في الكلام دليلا عليها "[3].

وقال : " على أنّ الأخفش قد قال في قوله تعالى : ﴿لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ اِلْقِيَٰمَةِ لاَ رَيْبَ فِيهِ اِلذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ﴾ [الأنعام : 13] إنّ " الذين "بدل من الضمير في ليجمعنكم "[4].

---
[1] الكومي : الاقتضاب ، ج 2، ص 127
[2] المصدر نفسه : ج 1 ، ص 49
[3] المصدر نفسه : ج 1 ، ص 99
[4] المصدر نفسه : ج 1 ، ص 359

وفي قوله تعالى : ﴿ فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْراً ۝ إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْراً ﴾ [الانشراح : 05. 06]
قال : " قال أبو عبيدة : إنّ النكرة إذا ثُنِّيت كانت اثنين، فالأول غير الثاني، فقوله: يسرا ويسرا يسران، والعسر والعسر واحد كأنه جاء للتأكيد، فاقتضى استغراق الجنس الألف واللام لأنّه معرفة "[1].

وعند قوله تعالى : ﴿فِيٓ أَيَّامٍ نَّحِسَاتٍ ﴾ [فصلت : 15] " قالوا : مشائيم، قال أبو عبيدة : نحسات ذوات نحوس مشائيم "[2].

. ذكر بعض التوجيهات الإعرابية :إذْ بمعرفة حقائق الإعراب تُعرف أكثر المعاني وينجلي الإشكال، وتظهر الفوائد، ويُفهم الخطاب، وتصِحّ معرفة حقيقة المراد[3]، وممّا أورده أبو عبد الله الكومي من هذه التوجيهات : قوله تعالى :﴿ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ ﴾ [الأنعام : 92] يلعبون ههنا في موضع نصب على الحال "[4].

وأفاض في ذكر الأوجه الإعرابية لقوله تعالى : ﴿ يُورَثُ كَلَٰلَةً ﴾[النساء : 12]، فقال : "وأمّا إعراب قوله تعالى : ﴿ يُورَثُ كَلَٰلَةً ﴾ فمن فتح الرّاء، واعتقد أنّ الكلالة الميِّت، فإنّ انتصابها على الحال، و"كان" تامّة لا خبر لها بمعنى وقع ووجد، ويجوز أن تكون الناقصة المحتاجة إلى الخبر، وينتصب الكلالة على خبرها، وجاز أن يخبَر عن النكرة، لأنّه قد وصفها بقوله : يورث، ولما في الإخبار من الإفادة، والوجه أن تكون التامّة، ولا وجه ههنا عندي للناقصة، وإن اعتقد أنّ الكلالة الورثة نصبها على الحال أيضا، ولا يصحُّ إلا على حذف مضاف، كأنّه قال : ذا كلالة، وقيل هو خبر " كان " على حذف المضاف أيضا، ومن جعل الكلالة المال نصبها على أنه مفعول ثان ليورث كما تقول : وُرِث زيدٌ مالا، وذكر قوم أنّه تمييز وليس بشيء، ومن اعتقد أن الكلالة : الوِراثة فهي نعت لمصدر محذوف كأنّه قال : وِراثة كلالة، أي : يورث بالوراثة التي يقال لها الكلالة، كما يقال : قتل غيلة،... وأمّا من قرأ " يورِث " بكسر الرّاء مخفّفة أو مشدّدة، فالكلالة في قراءته : هي الورثة أو المال، ويجوز أيضا أن يكون

[1] الكومي : الاقتضاب ، ج 2 ، ص 10

[2] المصدر نفسه : ج 2 ، ص 512

[3] مكي ابن أبي طالب : أبو محمد القيسي ، مشكل إعراب القرآن ، ت : حاتم صالح الضامن ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط 2 ، (1405هـ . 1985م) ، ج 1 ، ص 63

[4] الكومي : الاقتضاب ، ج 1 ، ص 354

نعتا لمصدر محذوف، كأنّه قال : يورّث توريثا كلالة، وينبغي أن تكون " كان " في هذه الوجوه كلِّها هي التامّة دون الناقصة"[1].

وفي هذا إظهار لترابط المعنى بالإعراب واختلاف المعاني باختلاف القراءات وتوجيهها، ولا يحيط بفهم معاني الآيات إلّا من استوعب كلّ ذلك.

. التعرض لبعض المباحث البلاغية : تُعدُّ فنون البلاغة ركيزة من ركائز علم التفسير، لاهتمامها بالمعنى الذي هو المراد تبليغه وتوصيله للمخاطب، من هذا المنطلق نجد أبا عبد الله الكومي يتوقّف عند بعض الآيات التي تحمل بصمة بلاغية، ويشير إلى بعض اللّفتات البيانية باختصار ومن أمثلة ذلك :

الاستعارة : عند قوله تعالى : ﴿ وَلِبَاسُ ٱلتَّقْوَىٰ ﴾ [الأعراف : 25] قال : " فُسِّر أنّه الحياء، لأنّه يُستتر به، كأنّه استعارة، بسبب المشابهة في الاستتار "[2].

التشبيه : ذكره عند قوله تعالى : ﴿ سَنَسِمُهُۥ عَلَى ٱلْخُرْطُومِ ﴾ [القلم : 16] بقوله : " أي : سنشهره بعار لا يمكنه إخفاؤه، كما لا يخفى الكيّ على الخرطوم "[3].

الحذف والتقدير : قوله : " قيل في قوله تعالى : ﴿ لَّٰكِنِ ٱللَّهُ يَشْهَدُ بِمَآ أَنزَلَ إِلَيْكَ ﴾ [النساء : 166] إنّ في الكلام نفيا مقدّرا، كأن المشركين قالوا : ما نشهد بأنّه أنزل إليك شيء، فقال : لكن الله يشهد إن كنتم لا تشهدون أنتم "[4].

البيان : عند قوله تعالى : ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ﴾ [المطففين : 01] أورد قول ابن السيد : "والمشهور في التطفيف إنما هو النقصان، فإن قيل ويل للمطففين الآية تدلّ على أنّه زيادة ونقصان ؟ فالجواب : أنّ الزيادة التي يأخذونها لأنفسهم ترجع بالنقصان على من يعاملهم، وتعود بالنقصان عليهم أخيرا "، وردّ عليه بقوله : " التطفيف في لسان العرب إنما هو الزيادة على العدل، والنقصان منه، وذلك ذمٌّ قال الله

---

[1] الكومي : الاقتضاب ، ج 2 ، ص 354. 355

[2] المصدر نفسه : ج 1 ، ص 178

[3] المصدر نفسه : ج 2 ، ص 27

[4] المصدر نفسه : ج 2 ، ص 288

تعالى :﴿ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكۡتَالُواْ عَلَى ٱلنَّاسِ يَسۡتَوۡفُونَ ۝٢ وَإِذَا كَالُوهُمۡ أَو وَّزَنُوهُمۡ يُخۡسِرُونَ﴾ [المطففين : 02. 03] "[1].

النموذج الثاني : أبو يحيى الشريف :

بتتبع فتاوى وأقوال أبي يحيى بن الشريف وهو مفسّر مخضرم، عاش في القرن الثامن والتاسع، نلمح إحاطته الواسعة بفنون اللغة، من إعراب وصرف وبلاغة مع استشهاد بالشعر وتحقيق لمسائل لغوية يحتاج إليها في تفسيره للقرآن، وقد أورد صاحب المعيار جوابا مطوّلا له في تفسير الآية الأولى من سورة الفتح ضمّنه الكثير من المباحث اللغوية نذكر منها :

. **أصل الكلمة القرآنية** : فعند قوله تعالى : ﴿ لِّيَغۡفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ ﴾ [الفتح : 02] قال : المغفرة لغة وشرعا راجعة إلى معنى الستر والتغطية، وتقول العرب للوقاية التي يقي بها المتلثم : مغفرا وغفارة لأنّه يستر بها رأسه قال الأعشى :

أوشَطْبةٍ جَردَاءَ تَصْبِر   بالمدَجَّجِ ذِي الغِفَارَة

والغفارة خرقة تضعها المدهنة على رأسها، والغفر بالتحريك شعر ساق المرأة لأنه يستر بشرة الساق، أو لأنه يستر المرأة على الأزواج...، والغفر بالسكون زئبر الثوب وهو ما يعلوه فيستر سطحه، والغفير شعر الأذن لأنه يستر البشرة أو يستر القول عن السمع، وفي الحديث : كيف تركت الحزورة ؟ فقال : جادها المطر فأغفرت بطحاؤها " أراد أنّ المطر جادها حتى صار عليها مثل الغفر من النبات وهو الزئبر كما مرّ،... وفي حديث عمر رضي الله عنه : لما حصب المسجد وقيل له لم فعلت هذا ؟ فقال : هو أغفر للنخامة أي : أستر لها وأذهب بجوهرها، والغفار والغفور هو الساتر لذنوب عباده وعيوبهم "[2].

فانظر كيف نصّ على الدلالة الأصلية للمادة اللغوية (غفر)، ثمّ ذكر فروع هذه المادة، وأدار دلالاتها في فلك هذه الدلالة الأصلية، مستدلّا بما جاء في لغة العرب وأشعارهم وفي الأحاديث النبوية والآثار، مستحضرا ذلك كلّه في جواب لسائل.

[1] الكومي : الاقتضاب ، ج 1 ، ص 29

[2] الونشريسي : المعيار ، ج 12 ، ص 242

الإعراب : ذكر قوله تعالى : ﴿ وَجَآءَ رَجُلٌ مِّنَ اَقْصَا اَلْمَدِينَةِ يَسْعىٰ ﴾ [القصص : 19] فقال :... ما جاء بتقديم رجل جاء على الأصل في تقديم الفاعل على غيره من معمولات الفعل..."[1].

الحذف والمجاز : في نفس الجواب قال : "... فعيّن بعضهم المحذوف شرطا، ويكون الذنب إذ ذاك على الفرض والتقدير أي : ما تقدّم من ذنبك إنْ تقدّم وما تأخّر إنْ تأخّر مع نفي الذنب جملة متقدما ومتأخرا، وعين آخرون المحذوف اسم الأمة مضافا إلى كاف الخطاب أي ما تقدم من ذنب أمتك وما تأخر، ولا يخرج الكلام عن هذين التأويلين عن أسلوب التعظيم والإعتناء... ويدخل الكلام على التقدير الأول الحذف، وعلى التقدير الثاني : إما أن يكون اسم الأمة محذوفا فيكون إضمارا، أو يراد بكاف الخطاب الأمة فيكون مجازا " ثمّ أخذ في توضيح ما يحتمله أسلوب الآية فذكر ثلاثة احتمالات وهي : إمّا الحذف أو الإضمار أو المجاز "[2].

الكناية : حينما قال : "وقد يراد بالذنب ذنب الأمة وأضيف إليه كناية، لأن ذنب القوم يضاف إلى سيّدهم، ويكون مجازا عقليا في النسبة فقط "[3].

مجاز الحذف: وذلك في قوله تعالى : ﴿ وَسْـَٔلْ مَنَ اَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَآ ﴾ [الزخرف : 44] أي : واسأل أتباع من أرسلنا، وهم أهل الكتاب، فإنهم يخبرونك بأنّ الله لم يتعبّد أحدا بعبادة الأصنام... فالوجه الأول فيه مجاز الحذف "[4].

. اللطائف البلاغية : ذكر قوله تعالى : ﴿ أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَآ أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَآ أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَآ أَمْ لَهُمْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا قُلُ اُدْعُواْ شُرَكَآءَكُمْ ثُمَّ كِيدُونِ فَلاَ تُنظِرُونِ ﴾ [الأعراف : 195] فقال : فهو كلام في الأصنام، والهمزة للإنكار، وأم بمعنى بل والهمزة، والإضراب فيها على وجه الترقي، وأم الأولى شبيهة بواو الازدواج، وكذا الثانية، والأرجل والأيدي درجة متواخية وكذلك الأعين والآذان، ومنفعة الأعين والآذان أعظم من منفعة الأيدي

---

[1] الونشريسي : المعيار ، ج 12 ، ص 327
[2] المرجع نفسه : ج 12 ، ص 243
[3] المرجع نفسه : ج 12، ص 246
[4] المرجع نفسه : ج 12 ، ص 249

والأرجل، لأنّ الأعين والآذان هما مدارك الرشد والهداية في الإنس، ثمّ إنّ منفعة الأيدي أعظم من منفعة الأرجل، لأنّ معظم الحرف والمنافع التي هي مناط المعاش إنما هو بالأيدي، ومنفعة السمع أعظم من منفعة البصر لإمكان تلقي الشرائع والكتب كما ذكرنا في الترقي فيما بين المزدوجين الأوّليْن والمزدوجين الأخيرين، وفيما بين كل مزدوج وأخيه، والمعنى أنّ المشركين جعلوا ما يعبدون من جنس لا نسبة له في الفضل، لأنه جماد لا حركة له اختيارية، وعبّر عن ذلك بالأرجل لأنّ المقصود الأعظم منها حركة المشي،...فضلا عن أن تكون له يد يبطش بها...، فضلا عن أن تكون له أذن سامعة يدرك بها عامّة وجوه رشده وهدايته والله أعلم "[1].

وسئل أيضا رحمه الله عن قوله تعالى : ﴿فَالْتَقَمَهُ الْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ﴾ [الصافات : 143] وقوله سبحانه : ﴿فَنَبَذْنَاه﴾ [الصافات : 145] لمَ خصَّ النبذ بالإسناد إلى ضمير العظمة دون الالتقام ؟ فأجاب : " لأمرين : الأول : لنبذ نعمة ظاهرة، فناسب إسناده إلى ضمير العظمة بخلاف الالتقام، الثاني : أنّ النّبذ من الحوت بعد الالتقام أشدّ غرابة من الالتقام ابتداعا، فكانت شدّة الغرابة مناسبة للتخصيص بضمير العظمة "[2].

يظهر من هذه الأقوال وغيرها المبثوثة في المعيار خاصة أنّ أبا يحي الشريف كان من أهل الصناعة في التفسير اللّغوي والبلاغي لذلك كان السؤال في هذا الشأن يوجّه إليه خاصة، وتعلّم منه هذه الصناعة تلميذه ابن زاغو المغراوي التلمساني الذي له أجوبة في قمّة التدقيق.

---

[1] الونشريسي : المعيار ، ج 12 ، ص 329

[2] المرجع نفسه : ج 11 ، ص 159

رابعا : الاتجاه الصوفي : شكّل مبدأ التأويل الذي أرسى قواعده الموحّدون، بنشر كتب أبي حامد الغزالي، ورسالة القشيري منتصف القرن السادس الهجري، دعامة أساسية أعطت لأعلام التصوّف بالمغرب الأوسط إطارا من الحرية يسمح لهم بتفسير القرآن وتأويله، فبدأت تظهر بعض ملامح التفسير الصوفي بنوعيه : النظري والإشاري

أ . **التفسير الصوفي النظري** : وهو المبني على نزعة فلسفية حيث تتوجه الآيات القرآنية لديهم وفق نظرياتهم وتتفق مع تعاليمهم يقول الذهبي : " يأبى الصوفي إلّا أن يحوّل القرآن عن هدفه ومقصده إلى ما يقصده ويرمي إليه وغرضه بهذا كلّه أن يروّج لتصوّفه على حساب القرآن، وأن يقيم نظرياته وأبحاثه على أساس من كتاب الله، وبهذا الصنيع يكون الصوفي قد خدم فلسفته التصوّفية ولم يعمل للقرآن شيئا، اللهمّ إلّا هذا التأويل الذي كلّه شرٌّ على الدين وإلحادٌ في آيات الله "[1] .

ومن هذا النوع ما جاء عن أصحاب وحدة الوجود والوحدة المطلقة كابن عربي وابن سبعين وأبو العيش بن عبد الرحيم الخزرجي التلمساني الذي ذكرت لنا كتب التراجم أن له تفسيرا للقرآن قال عنه الطاهر بونابي بأنه : " رائد وحدة الوجود"[2]، وليس بين أيدينا نصوص من تفسيره، ولا شك بأنّه أقحم ما يعتقده في هذا التفسير.

وأبي العباس أحمد بن أحمد المالقي (ت 660هـ) الذي كان يلقّن طلبته في بجاية كتاب : الإشارات والتنبيهات لابن سينا وهو كتاب يتضمن فلسفة التصوف الإشراقي [3] .

وأبي عبد الله محمد محيي الدين بن العربي (ت 638 هـ) الذي دخل بجاية مرتين وزار تلمسان [4]، وله : التفسير الكبير الذي بلغ فيه إلى تفسير سورة الكهف عند قوله تعالى : ﴿ وَعَلَّمْنَاهُ مِن لَّدُنَّا عِلْماً ﴾ [الكهف : 64] "[5].

---

[1] الذهبي : التفسير والمفسرون ، ج 2 ، ص 256

[2] الطاهر بونابي : التصوف في الجزائر خلال القرنين السادس والسابع ، ص 240

[3] ينظر : الغبريني ، عنوان الدراية ، ص 190. الطاهر بونابي : التصوف في الجزائر خلال القرنين 6 و 7 ، ص 75

[4] المرجع السابق : ص 76

[5] المقري : نفح الطيب ، ج 2 ، ص 177

ولعفيف الدين التلمساني[1] الذي وصفه ابن عماد بأنه : " أحد زنادقة الصوفية "[2]، ذكر من ترجم له أنّ له " تفسير سورة الفاتحة " توجد منه نسخة بمكتبة بتشستر[3] بيتي قوله عن قوله تعالى على لسان نوح عليه السلام : ﴿ دَعَوْتُ قَوْمِے لَيْلًا وَنَهَاراً ﴾ [نوح : 05] أي : ظاهرا مرّة وهو قوله : نهارا، وباطنا مرّة وهي قوله : ليلا، أي : إلى الاسم الظاهر مرّة، وإلى الاسم الباطن مرّة "[4] وعند قوله تعالى : ﴿ يُرْسِلِ اِلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَاراًۖ ﴾ [نوح : 11] يقول : " فسّر ذلك بالمعارف العقلية والاعتبارية، ولم يقل إنها معارف إلهية كشفية، لأنّ الغفر مشتق منه ما يدلّ على الستر، والمعارف الإلهية لا تكون مع الستر الذي هو الحجاب..."[5].

وقد لقي هذا النوع من التفسير معارضة شديدة، ورُمي أهله بالزندقة والكفر، وهذا ما أدّى إلى عدم رواجه ونقله، لذلك لم نجد نماذج منه، بل وجد معارضة حتى ممن ينزع إلى التصوف ويؤمن بالأحوال والكشف والمقامات، فنجد البسيلي في تقييده يبيّن منهج تعامله مع هذا النوع من التفسير فيقول :" قلت : ليس على الله بمستكثر أن يخصّ من يشاء أنّى شاء بما شاء من مواهب الفيوضات، وفتوحات الغيب، ولكن حكايات الصالحين وكرامات الأولياء رضوان الله عليهم لا تصلح دليلا على كلام الله، ولا حجة يستنصر بها المتأوّل لمعاني الذكر "[6]، فهو يقبل كلام أهل التصوف في الزهد والرقائق، ولكن إذا تعلّق الأمر بشطحاتهم لم يتردّد في الردّ عليهم، فقد أورد قول ابن عربي في قوله تعالى : ﴿ وَالشَّمْسُ

---

[1] هو سليمان بن علي بن عبد الله بن علي الكومي التلمساني الشاعر الصوفي ولد بتلمسان سنة 610هـ ، رحل إلى المشرق وتنقل في بلاد الروم ، كان يتبع طريقة ابن العربي في أقواله وأفعاله ، توفي بدمشق سنة 690هـ . نويهض : معجم أعلام الجزائر ، ص 235

[2] ابن عماد الحنبلي : أبو الفلاح عبد الحي بن أحمد بن محمد ، شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، ت : عبد القادر الأرناؤوط ، ط 1 (1406هـ . 1986م) دار ابن كثير ، دمشق ، بيروت ، ج 7 ، ص 719

[3] الفهرس الشامل للتراث العربي الإسلامي المخطوط ، ط2 (1987م)، مؤسسة آل البيت ، مآب ، ج 2 ، ص 344

[4] عفيف الدين التلمساني : شرح فصوص الحكم ، ت : أكبر راشدي نيا ، ط 1(2015م) دار الكتب العلمية ، بيروت ، ص 102

[5] المصدر نفسه : ص 103

[6] البسيلي : نكت وتنبيهات ، ج 1 ، ص 119

تَجْرِى لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴾ [يس : 37] بأنّ المراد به طلوع شمس الحياة من مغرب الأبدان، فتدخّل وقال : قلت : هذا لا ينبغي اعتقاده "[1] .

ب . التفسير الصوفي الإشاري : وهو تأويل آيات القرآن الكريم بغير ظاهره، لإشارة خفية تظهر لأرباب السلوك والتصوف، ويمكن الجمع بينها وبين الظاهر المراد أيضا [2]، فهو تفسير يعدل فيه عن المعاني الظاهرة بحجة وجود إشارة خاصة في نص الآية، وهي إشارة تظهر لقوم خاصين هم أرباب السلوك وعلماء التصوف، نحو قولهم في آية مصارف الزكاة : ﴿ إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَٰكِينِ ﴾ [التوبة : 60] لكنّهم يرون فيها إشارة إلى أنّ مواهب الله على القلوب لا تكون إلا بتحقيق الفقر والمسكنة قال ابن عجيبة في شرح الحكم : " اقطع عنك المادة وافتقر إلى الله تفيض عليك المواهب من الله (إنما الصدقات للفقراء والمساكين) "[3].

وقد جوّز جملة من العلماء هذا النوع من التفسير منهم : الطاهر بن عاشور إذ يقول : " أمّا ما يتكلّم به أهل الإشارات من الصوفية في بعض آيات القرآن من معاني لا تجري على ألفاظ القرآن ولكن بتأويل ونحوه، فينبغي أن تعلموا أنهم ما كانوا يدّعون أنّ كلامهم في ذلك تفسير للقرآن، بل يعنون أنّ الآية تصلح للتمثل بها في الغرض المتكلّم فيه، وحسبكم في ذلك أنهم سموها إشارات، ولم يسمّوها معاني، فبذلك فارق قولهم قول الباطنية "[4].

---

[1] البسيلي : نكت وتنبيهات ، ج 1 ، ص 220

[2] الزرقاني : محمد عبد العظيم ، مناهل العرفان في علوم القرآن ، ط 1 (1424هـ . 2004م) دار الفكر ، بيروت ، لبنان ، ج 2 ، ص 56

[3] ابن عجيبة : أحمد بن محمد الحسني ، إيقاظ الهمم شرح متن الحكم ، دار المعارف ، القاهرة ، د.ط ، د.ت ، ص 34

[4] ابن عاشور : محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر ، التحرير والتنوير ، دط (1984م) الدار التونسية للنشر ، تونس ، ج 1 ، ص 34

وعبد الحميد بن باديس في تفسيره عند قوله تعالى : ﴿ وَتَفَقَّدَ ٱلطَّيْرَ ﴾ [النمل : 20] أورد قول القشيري : وكذلك تفعل شيوخ الصوفية إذا فقدوا آمالهم تفقدوا أعمالهم... ثمّ قال : مثل هذه المعاني الدقيقة القرآنية الجليلة النفيسة من مثل هذا الإمام الجليل من أجل علوم القرآن وذخائره "[1] .

لكن هؤلاء المجيزون يضعون جملة من الشروط لقبوله لخصها الذهبي بقوله : "والمقبول من هذا التفسير عند من اعتبره هو ما توفرت فيه شروط أربعة هي : . ألا يتنافى وظاهر النظم القرآني الكريم . أن يكون له شاهد شرعي يؤيده . أن لا يكون له معارض شرعي أو عقلي . أن لا يدعي أن التفسير الإشاري هو المراد وحده دون الظاهر "[2]

وقد تكلّم بعض الأعلام في الجزائر في هذا النوع من التفسير ووردت عنهم أقوال في بعض الآيات تحمل طابع الإشارة والرمزية دون إقحام لتلك النظريات الصوفية الفلسفية نذكر منهم :

. **أبو مدين شعيب** : فقد ذكروا أنه كان يقول في قوله تعالى : ﴿ فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ ﴾ [الشرح : 08] " فإذا فرغت من الأكوان فانصب قلبك لمشاهدة الرحمن، وإلى ربك فارغب في الدوام، وإذا دخلت في عبادة فلا تحدث نفسك بالخروج منها وقل : يا ليتها كانت القاضية "[3]، وكان يقول : (قل الله ثم ذرهم) وهي مقطع من آية هي قوله تعالى : ﴿ قُلِ ٱللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ ﴾ [الأنعام : 92] لكنها تحمل معاني وإشارات ذكرها ابن عجيبة في شرح الحكم بقوله : "كثيرا ما يستدل الصوفية بهذه الآية : " قل الله ثم ذرهم " على الانقطاع إلى الله والغيبة عما سواه، وهو تفسير إشاري لا تفسير معنى اللفظ، لأنها نزلت في الردّ على اليهود "[4].

. **ابن مرزوق الخطيب**: ينتمي ابن مرزوق إلى بيت مشهور بالتصوف توارث خدمة أبي مدين بالعباد[5]، فلا عجب أن ينعكس تشرّبه لمبادئ التصوف على أقواله في التفسير، لذلك نجده يكثر النقل

---

[1] عبد الحميد ابن باديس : مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير ، ت : أحمد شمس الدين ، ط 1 (1416هـ . 1995م) دار الكتب العلمية ، بيروت ، ص 267

[2] الزرقاني : مناهل العرفان ، ج 2 ، ص 58

[3] أبو مدين الغوث : ص 137

[4] ابن عجيبة : إيقاظ الهمم شرح متن الحكم ، ص 579

[5] ينظر : ابن خلدون : التعريف ، ص 50

من كلام أهله كالقشيري والمحاسبي ويورد بعض الكلام الذي يمكن القول أنه من باب التفسير الصوفي الإشاري من ذلك قوله : " وقيل في معنى قوله تعالى : ﴿ رَبِّ قَدۡ ءَاتَيۡتَنِي مِنَ ٱلۡمُلۡكِ ﴾ [يوسف : 101] أراد ملك النفس حيث امتنع من مراودة امرأة العزيز "[1] ، وهو ما ذكره القشيري بقوله : " ويقال الملك الذي أشار إليه قسمان : ملكه في الظاهر من حيث الولاية، وملك على نفسه حتى لم يعمل ما همّ به الزلّة "[2].

وهو تفسير إشاري مقبول لا يخالف الظاهر الذي عليه المفسّرون، وهو أنّ المقصود به : ملك مصر، بل يقول به.

وقال عند قوله تعالى : ﴿وَلِمَنۡ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴾ [الرحمن : 45] جنّة معجّلة، وهي حلاوة الطاعة، ولذّة المناجاة، والاستئناس بفنون المكاشفات، وجنّة مؤجّلة في فنون المثوبات وعلوّ الدرجات، ولقد أحسن من قال : لا وحشة مع الله ولا راحة مع غير الله "[3].

ولا يخفى ما في الكلام من صبغة صوفية تتمثل في استعمال اصطلاحات القوم.

وينقل ما عند أهل التصوف من معاني إشارية للفظ الجلالة " الله " فيقول : "وقال بعضهم : الألف في هذا الاسم إشارة إلى الوحدانية، واللام محو الإشارة، واللام الثانية إشارة إلى محو المحو في تكشف الهاء "[4].

. أبو عبد الله الحلوي الشوذي : ففي سير أعلام النبلاء نقلا عن ابن المرأة " ثم شرع يخبرني بأحوالي كأنه معي، وكنت إذا صليت يخيل لي نور عند قدمي فقال لي : أنت معجب تظن نفسك شيئا

---

[1] ابن مرزوق الخطيب : تيسير المرام ، ص 231

[2] القشيري : عبد الكريم بن هوازن ، تفسير القشيري المسمّى : لطائف الإشارات ، ت : إبراهيم البسيوني ، ط 3 ، دت ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، مصر ، ج 2، ص 209

[3] المصدر السابق : ص 252

[4] ابن مرزوق الخطيب : تيسير المرام ، ص 223

؟ لا حتى تقرأ العلوم، قلت : إني أحفظ القرآن بالروايات ، قال : لا حتى تعلم تأويله بالحقيقة فقلت : علّمني، ثمّ جعل يفسّر لي القرآن تفسيرا عجيبا مدهشا ويأتي بمعاني فبهرني "[1].

. المقرّي الجدّ : أورد في الحقائق والرقائق جملة من نماذج التفسير الإشاري منها ما هو من كلامه ومنها ما نقله عن غيره من المفسرين فمن الأول: قوله :" الخلوة منزل الفكر، وفي بيته يؤتى الحكم، وباب هذا البيت العلم ﴿ وَاتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِنَ أَبْوَٰبِهَا ﴾ [البقرة : 188]، ومن الثاني : ما نقله عن مفاتيح الغيب للرازي عند تفسير قوله تعالى : ﴿ فَٱخْلَعْ نَعْلَيْكَ ﴾ [طه : 11] إنّ النعلين اللذين أمر موسى بخلعهما هما المقدمتان اللتان يتوصّل إلى المعرفة بهما، فقيل له : إنّك حللت بالوادي المقدّس لسماع : أنا ربّك، فلا تنصرف عن مقام التحقيق إلى طلب التصديق، فليس الخبر كالمعاينة "[2].

وفي كتابه القواعد نجد أيضا بصمة صوفية إشارية ففي القاعدة الخامسة والأربعون بعد المائتين يقول: " نبهنا الله عزّ وجلّ بما في قوله : ﴿ وَإِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنقَلِبُونَ ﴾ [الزخرف : 13] من ارتقاب الإنسان خطر الركوب أو مسيره محمولا على المركوب على تذكر أمور الآخرة بما يومئ إليها من أحوال الدنيا فيتذكر بالركوب على الأنعام والفلك ركوب النعش، وبحر الحمام حر النار، وبالتلذذ بالجماع وغيره لذة النعيم..."[3].

. أبو يحيى الشريف : له كلام في التفسير يمكن تصنيفه في هذا الاتجاه لما يحمله من إشارات صوفية يحاول من خلالها ففي أحد أجوبته في المعيار يورد قوله تعالى : إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه " فيقول : يعني بذلك أن الكلم الطيب يصعد على معارج العوالم حتى ينتهي إلى عالم القلب، والعمل الصالح جمال لذلك، ويريد بالعمل الصالح التصرف الروحي، والقلب المتصف بهذه الصفة جدير بدخول الجنان ورؤية الرحمن "[4].

---

[1] الذهبي : أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان ، سير أعلام النبلاء ، ت : شعيب الأرنؤوط ، مؤسسة الرسالة ، ط 3 (1405هـ . 1985م) ، ج 23 ، ص 316

[2] المقري : الحقائق والرقائق ، ص 163

[3] المقري : أبو عبد الله محمد بن محمد بن أحمد ، القواعد ، ت : أحمد بن عبد الله بن حميد ، مركز إحياء التراث الإسلامي ، م.ع . س ، مكة المكرمة ، ج 2، ص 488

[4] الونشريسي : المعيار ، ج 12 ، ص 245

أما أعلام الإباضية فإنهم يقفون من منهج التفسير الصوفي الإشاري موقف المعارض لهذا النوع من التفسير يقول الشيخ اطفيش : " وقد كنت ممارسا لعلم التصوف، ولا يخفى علي مقاصدهم والحمد لله تعالى، وأجيب عما أشكل وكرهته لأنه يوهم تفسير القرآن بما هو خطأ، وكذا تفسير الحديث، والحق علم الظاهر مع مراعاة العمل...، ومع ذلك أذكر أقوالا لأهل التصوف في تفسير الأسماء الحسنى إيناسا للطلبة ولنفسي وفي ذلك وجهان :

الأول : قصدهم ما في نفس الأمر عمدا ولم يقصد نفس التفسير، والثاني : دعوى أن المراد بها في حق الله تعالى هو ما يذكرونه وأنه المراد، لا معانيها الظاهرة في اللغة المؤولة بما يناسب، وهذا لا يحسن إذ لا يعرفه أهل اللغة العربية، والله تعالى أنزل القرآن بها، ولا يرضى بما يخالفها، ومن علم التصوف الجائز تدرعوا إلى علمه المشوب ثمّ إلى الكفر... " [1].

ففي هذا النص دعوة صريحة من الشيخ اطفيش إلى تفسير نصوص القرآن وفق قواعد اللغة العربية، لأنها الوعاء المبيّن لمعانيه من دون إيغال في التأويل وخروج عن مقاصد الوحي، وإن كان يأخذ بأقوالهم في باب الزهد والسلوك ويرى أنّ للقرآن ظاهر وباطن، غير أنّ الباطن هو التأويل.

وهو موقف سلفه من الإباضية كأبي يعقوب الوارجلاني الذي تطرّق في كتابه : العدل والإنصاف لمناهج تفسير القرآن مبيّنا طريقة الباطنية في تفسيرهم، موضّحا أنّها تخالف الدلالات اللّغوية فقال :" وأمّا مذهبهم في تفسير القرآن فاعلم أنّ القوم ذهبوا في القرآن إلى مذهب لا يلائم الظاهر ولا الباطن، فحملوه كلّه عليه، ولم يذهبوا به إلى صور مخصوصة وآيات منصوصة، بل عكسوا الشريعة ظهرا لبطن، وخلصوا منها عينا بعين، زعموا أنّ قول الله عزّ وجلّ :﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ ﴾ [المؤمنون : 12] يعني آدم عليه السلام، ثمّ جعلناه نطفة في قرار مكين : يعني نوحا عليه السلام، ثمّ جعلنا النطفة علقة : يعني إبراهيم عليه السلام، فخلقنا العلقة مضغة : يعني موسى عليه السلام، فخلقنا المضغة عظاما : يعني عيسى عليه السلام، فكسونا العظام لحما : يعني محمّدا عليه السلام، ثمّ

[1] خضير بن بكير بابا واعمر : فلسفة الأخلاق عند الشيخ امحمد بن يوسف اطفيش ، مجلة الواحات للبحوث والدراسات ، العدد 14 (2011م) ، ص 471. 486

أنشأناه خلقا آخر : يعني النشأة الآخرة وهو ظهور القائم صاحب نور الزمان محمد بن إسماعيل بن جعفر الذي ينسخ شريعة محمد عليه السلام "[1].

وقال أيضا : "ولقد ذمّ الله أقواما ذوي عقول وافرة حين اجتزوا بالظاهر عن الباطن، وبالمجاز عن الحقائق، وبالأبصار عن البصائر، فرضوا بالقشر دون اللباب، فقال عزّ من قائل : ﴿ وَجَعَلُواْ لِلهِ شُرَكَآءَ قُلْ سَمُّوهُمْ أَمْ تُنَبِّئُونَهُ بِمَا لاَ يَعْلَمُ فِي الاَرْضِ أَم بِظَاهِرٍ مِّنَ الْقَوْلِ بَلْ زُيِّنَ لِلذِينَ كَفَرُواْ مَكْرُهُمْ وَصَدُّواْ عَنِ السَّبِيلِ وَمَنْ يُّضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾ [الرعد : 34] وعلى الآية وما تضمنت معولهم فذلك جمع مذهبهم... وقالوا : ظواهر القرآن الصلاة والزكاة والصوم والحج "[2].

أمّا الباطنية فزعموا أنّ الله خاطب العقلاء ذوي الالباب بالأمور الباطنة، وخاطب العامة بالأمور الظاهرة، والله هو الأول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم، فلهذا المعنى قدّم سبحانه وصفه بالظاهر ثم عقب بذكر الباطن فالبداية للاطفال والأغمار من الرجال والنساء والنهاية لذوي الألباب والعقول "[3].

فالوارجلاني يعترف بأنّ للقرآن ظاهرا وباطنا، ولكن الباطن ليس بالمعنى الذي سلكه الشيعة حتى اصطدموا مع النصوص الصحيحة والصريحة، لكن الباطن هو التأويل، فنجده مثلا يذهب إلى تفسير الميزان الوارد في قوله تعالى : ﴿ وَوَضَعَ الْمِيزَانَ ۝ ﴾ [الرحمن : 05] بأنّه ميزان العقل فيقول : " فلا تكوننّ من الأغبياء الأغفال فتظنّ أنّ هذا الميزان ميزان الأثقال والأحمال، ذكر الله عزّ وجلّ عجيب صنعة الإنسان، وأنّه امتنّ عليه بتعليم البيان، لعجائب ما أودعه الله في القرآن، فذكر الشمس والقمر عجائب ملكوت السماء بحسبان وعجائب ملكوت الأرض وهي النجم والشجر يسجدان، ثمّ ذكر رفع السموات ووضع الأرض ووضع الميزان، فوضع السماء والأرض طرفي شاهد الميزان، فابتدأ بالسماء ورفعها وعقب بذكر الأرض وصنعها، فالسماء وشاهداها الشمس والقمر، والأرض وشاهداها النجم

[1] الوارجلاني : العدل والإنصاف ، ج 1 ، ص 111

[2] المصدر نفسه : ج 1 ، ص 102

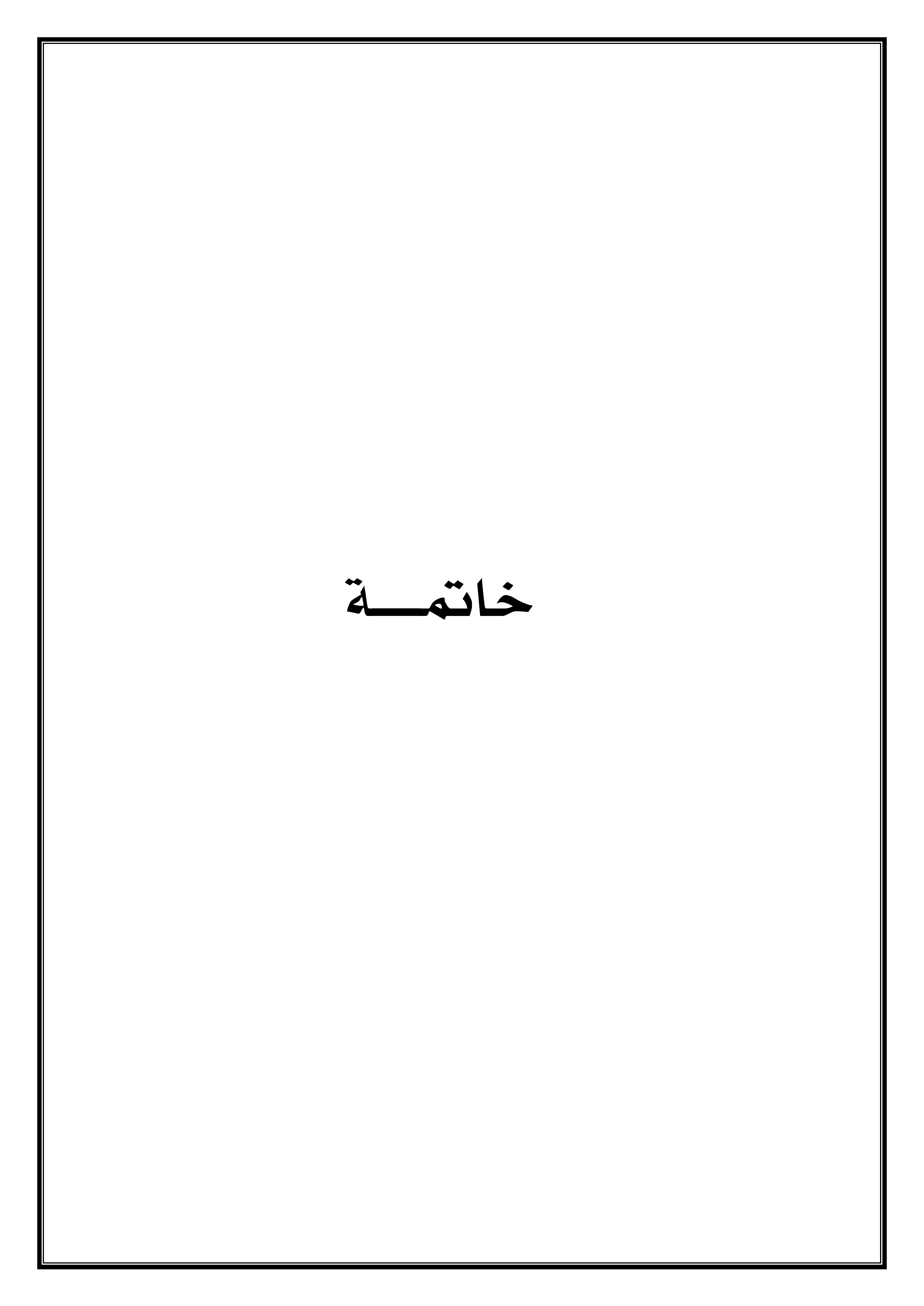
[3] المصدر نفسه : ج 1 ، ص 101

والشجر، دالّة على نباهة هذا الميزان العظيم للأمر الجسيم، وهو الإشارة إلى ميزان العقل لا ميزان الثقل، فالثقل يراد لمعاملة الأغبياء في الدنيا، والعقل يراد لمعاملة الأتقياء في الأخرى، ثمّ وصف الميزان فقال ﴿أَلاَّ تَطْغَوْاْ فِي ٱلْمِيزَانِ ۝ وَأَقِيمُواْ ٱلْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلاَ تُخْسِرُواْ ٱلْمِيزَانَ ﴾ [الرحمن : 06. 07] فالطغيان في الميزان انتحال الألوهية للأوثان، والخسران في الميزان تقصيرها عن الرحمن، فأوّل موازين الله تعالى كتبه المنزلة وأنبياؤه المرسلة والأولياء المحدثة المروعة والحواس المطبوعة المسخرة والعقول المضيئة المنورة، فمن وزن بهذه الموازين فزاد وطفا وبخس فبغا ضل وغوى وهلك فتردّى، ومن وزن وعدل وتحرّى الصدق ولم يمل فاز ونجا "[1].

وهو كلام فيه ميل لأهل الإشارة والرمز في التفسير، ومع ذلك لا يمكن تبيُّن موقف الإباضية من التفسير الصوفي الإشاري فلم أجد نصا صريحا يوضّح ذلك.

---

[1] الوارجلاني : العدل والإنصاف ، ج 1 ، ص 9



خاتمـــــة

الحمد لله الذي بنعمه تتم الصالحات في الأولى والآخرة

بعد فترة طويلة من البحث والتنقيب عن أعلام التفسير الجزائريين، وإنتاجهم التفسيري المبثوث كثيره في بواطن كتب السير والتراجم والطبقات وكتب الفتاوى والنوازل خلال ثماني قرون . من الفتح الإسلامي لبلاد المغرب الأوسط إلى نهاية القرن الثامن . وترنّحات حركة التفسير بين الركود والازدهار يمكن تسجيل مجموعة من النتائج والاستخلاصات والآفاق :

. أنّ أرض الجزائر شهدت على مرّ هذه القرون حركة تفسيرية زاخرة وأنجبت الكثير من أعلام وفحول المفسّرين، بل كان لها قصب السبق في بعض اتجاهاته، عكس ما يروّج له من أنّ أهل هذه البلاد لم يعتنوا بالتفسير ولم يعرفوه.

. يسجّل على أعلام التفسير في الجزائر طيلة هذه القرون غياب عنصر الابتكار والتجديد، والاكتفاء بالتفاسير المشهورة الأندلسية والمشرقية، فلم نجد كما رأينا مفسّرا متميّزا في منهجه بارزا في عصره، رغم أهلية كثير منهم لهذا الأمر، وسبب ذلك الرحلة إلى الأندلس والمشرق والتأثّر بمناهج مفسّريها، وربما ذلك نابع من ورعهم وخوفهم من الخطأ في تفسير كلام الله.

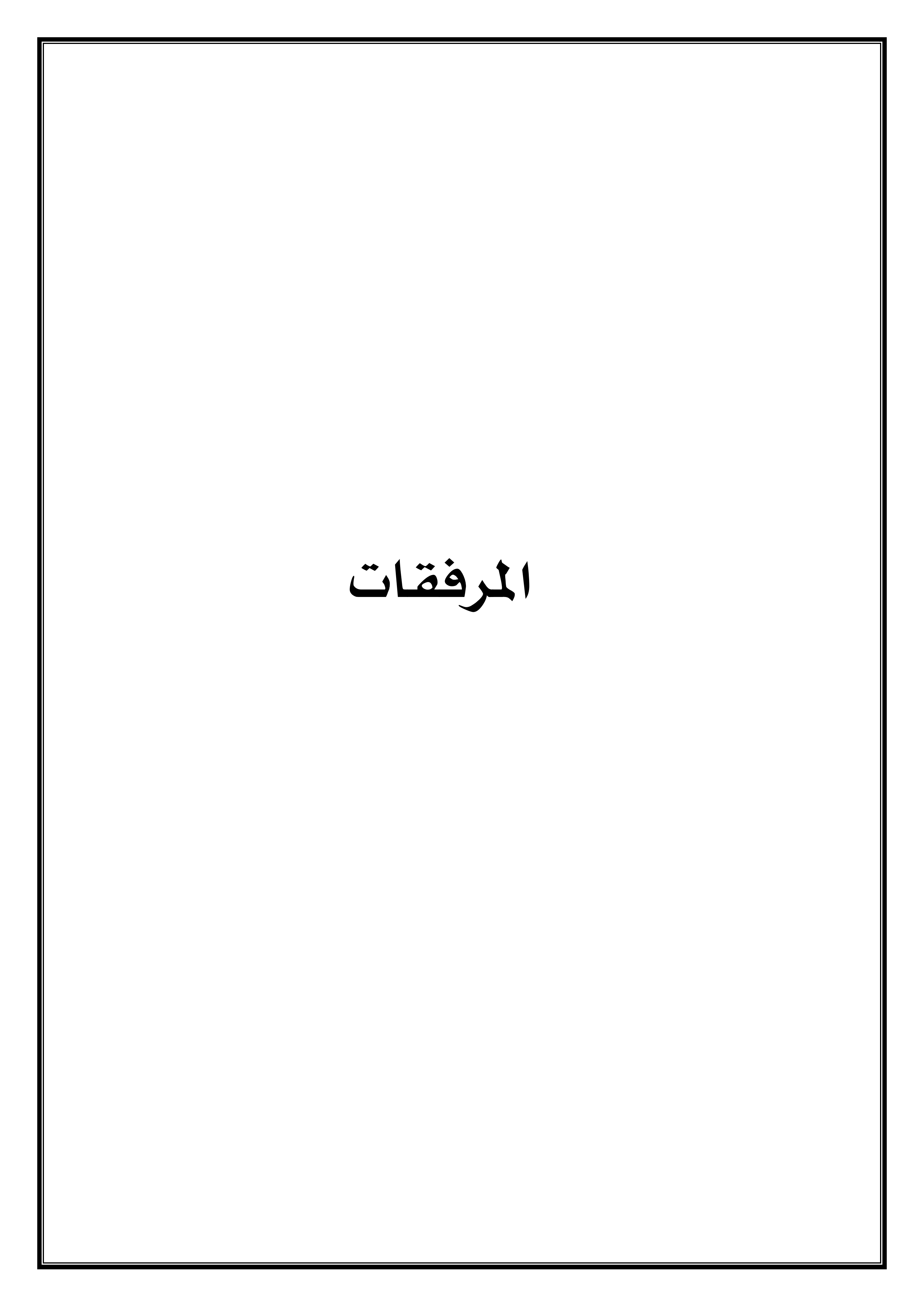
. قلّة اهتمام هؤلاء الأعلام بالتأليف اشتغالا عنه بتدريس الطلبة وإقرائهم، كما جاء في تراجم الكثير منهم.

. أنّ للإباضية في الجزائر إنتاج معتبر في مجال تفسير القرآن الكريم، عكس ما يروّج بأنهم لا يهتمون بتدريس التفسير ولا بالتأليف فيه، مع ملاحظة كثرة توظيف الآيات القرآنية في مباحث العقيدة وهذا راجع إلى اكتسابهم تاريخ عريق في مجال المناظرات العلمية والنقاشات المذهبية يعود إلى عهد الدولة الرستمية والتسامح الفكري الذي عرفته مجالسها العلمية.

. تنوّع التراث التفسيري في الجزائر بين إباضي وسنّي وكلّه يعتمد على المأثور واللغة واستخلاص الأحكام الفقهية، كما حمل في كثير من الأحيان صبغة صوفية إشارية مقبولة.

. الشعور بالأسف على ضياع الكثير من التراث التفسيري الذي لو كان بين أيدينا لكانت صورة حركة التفسير لدينا أوضح والمادّة العلمية التفسيرية فيه أغزر، مع تعلّق الأمل بوجود بعضه في المستقبل.

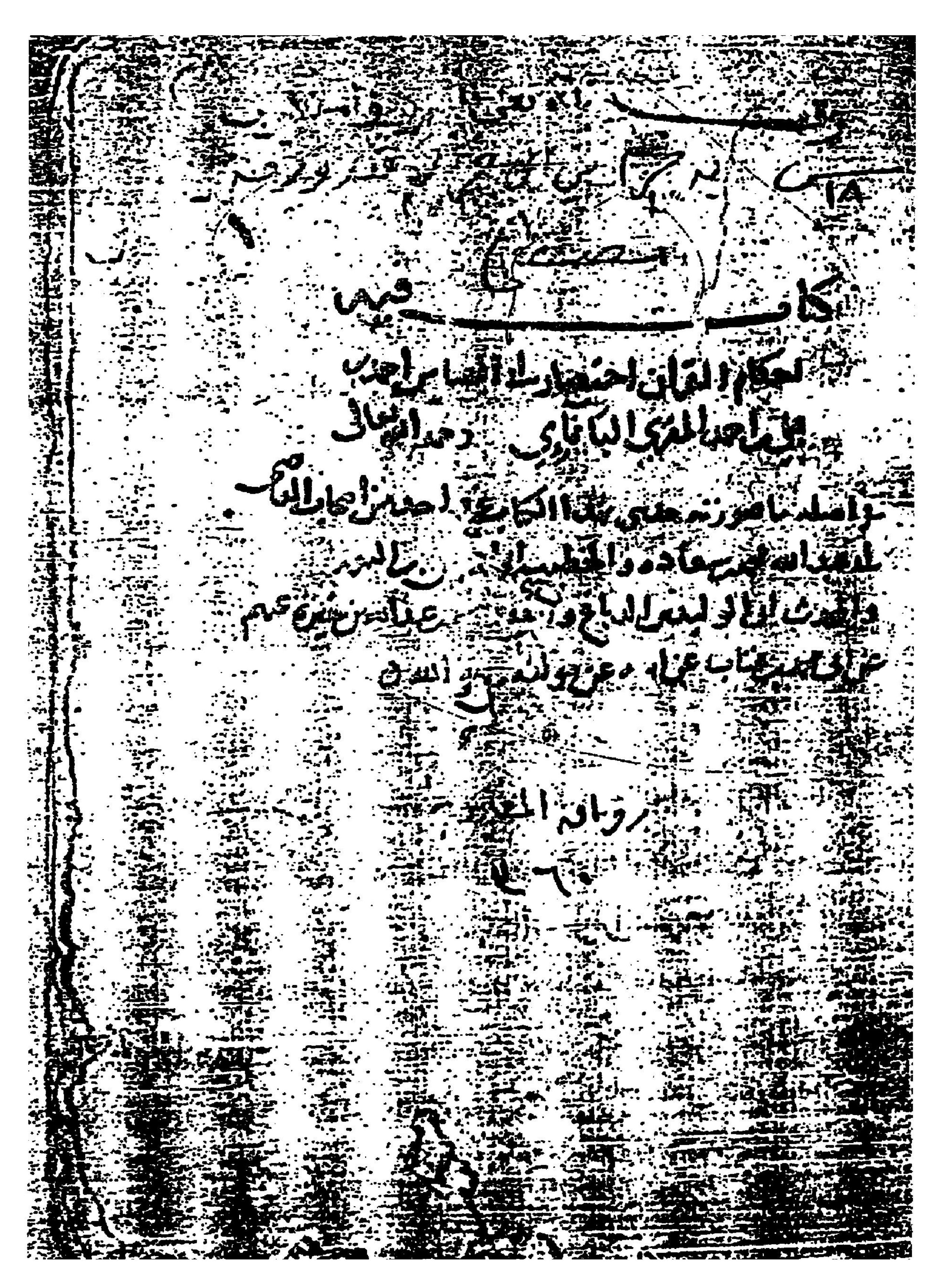
. ساهم مفسّرو الأندلس المهاجرين إلى المغرب الأوسط في إخراج الدرس التفسيري من النمطية التي كانت سائدة والمتمثلة في الاقتصار على بيان معاني آيات القرآن بالروايات والأخبار والآثار إلى بسط أنواع من الموضوعات التي تتناولها الآيات من أحكام وقراءات ولطائف وإشارات، وبفضل هؤلاء الأعلام أيضا اطلع طلبة المغرب الأوسط بسهولة ودون عناء على المؤلفات الأندلسية في التفسير، وبالتالي أصبح لهم سند إلى هذه المدرسة العريقة في التفسير.



المرفقات

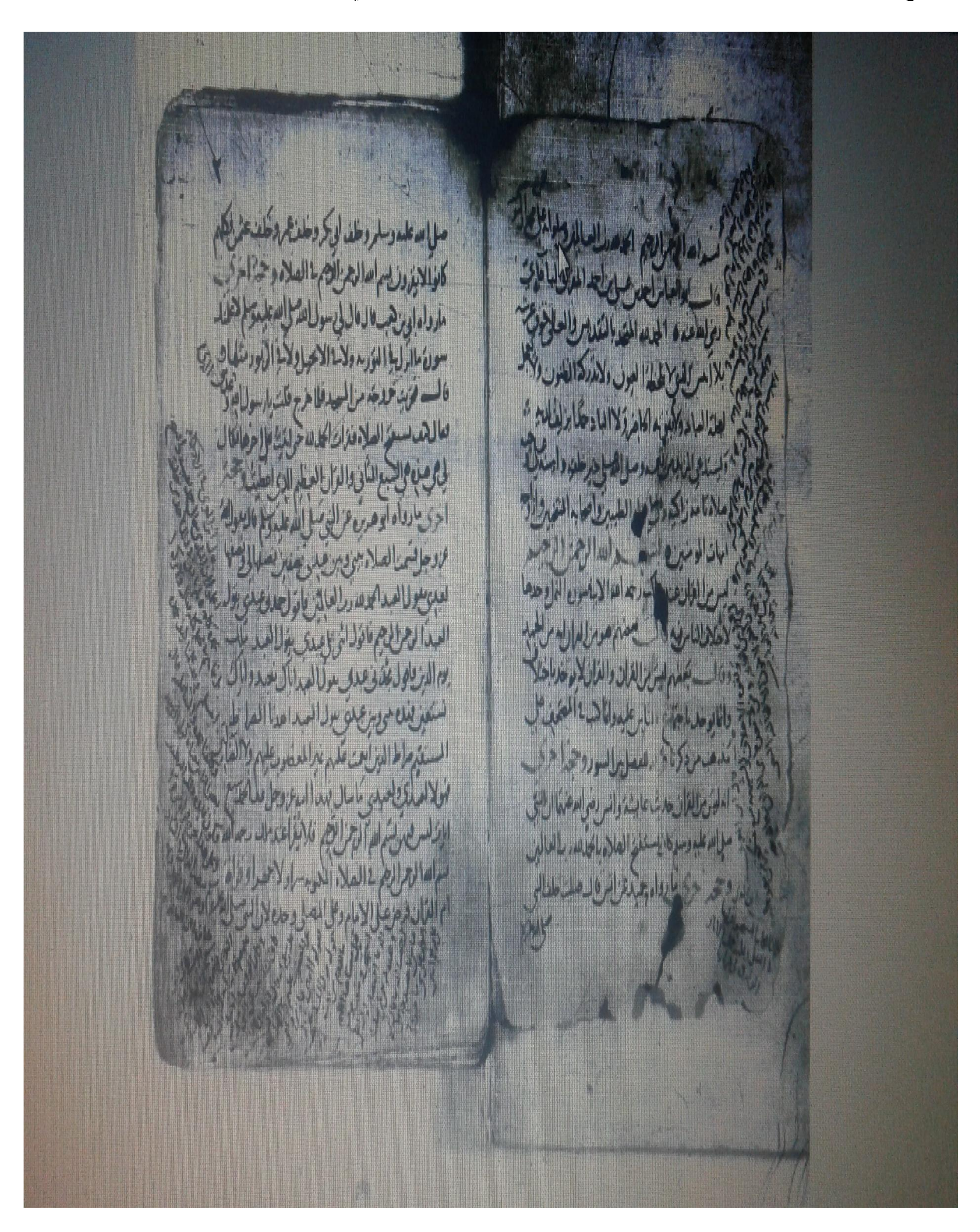
صفحة من تفسير عبد الرحمن بن رستم الاباضي الجزائري

المرفق رقم : 01

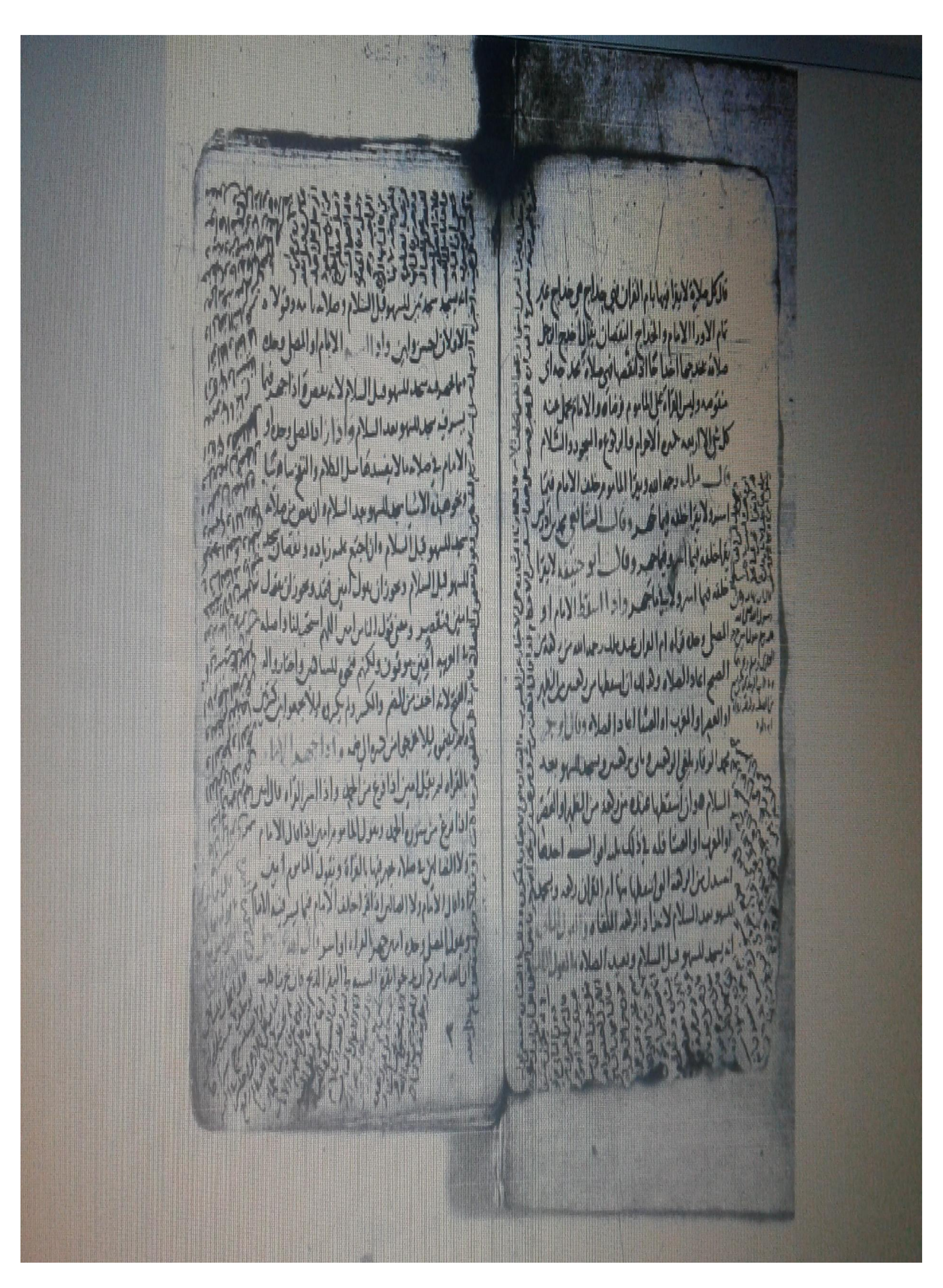


المرفق رقم : **02** اللوحة المشتملة على واجهة الكتاب بالمكتبة الأزهرية

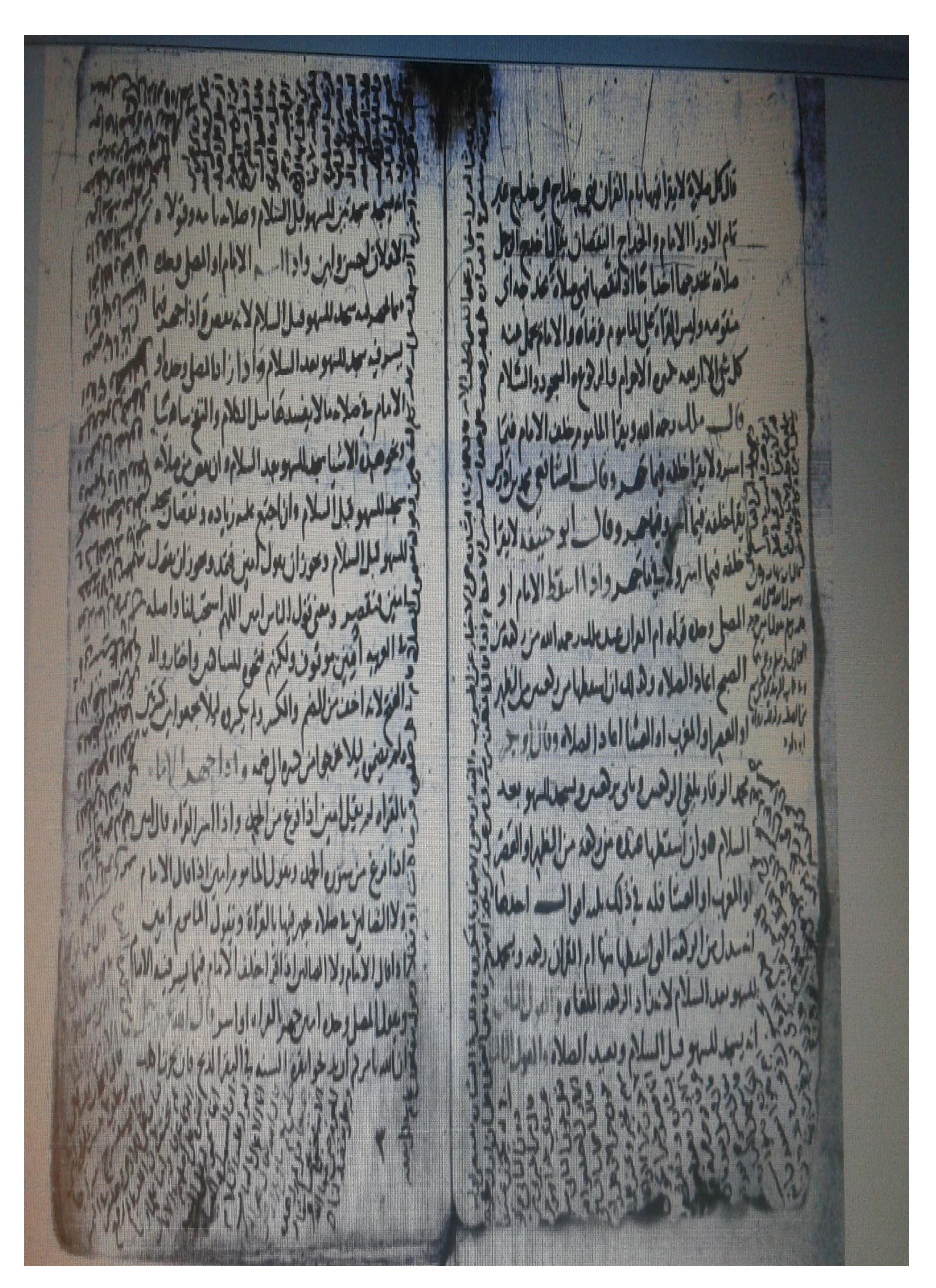
الألواح المشتملة على سورة الفاتحة من تفسير أحكام القرآن للباغاني :



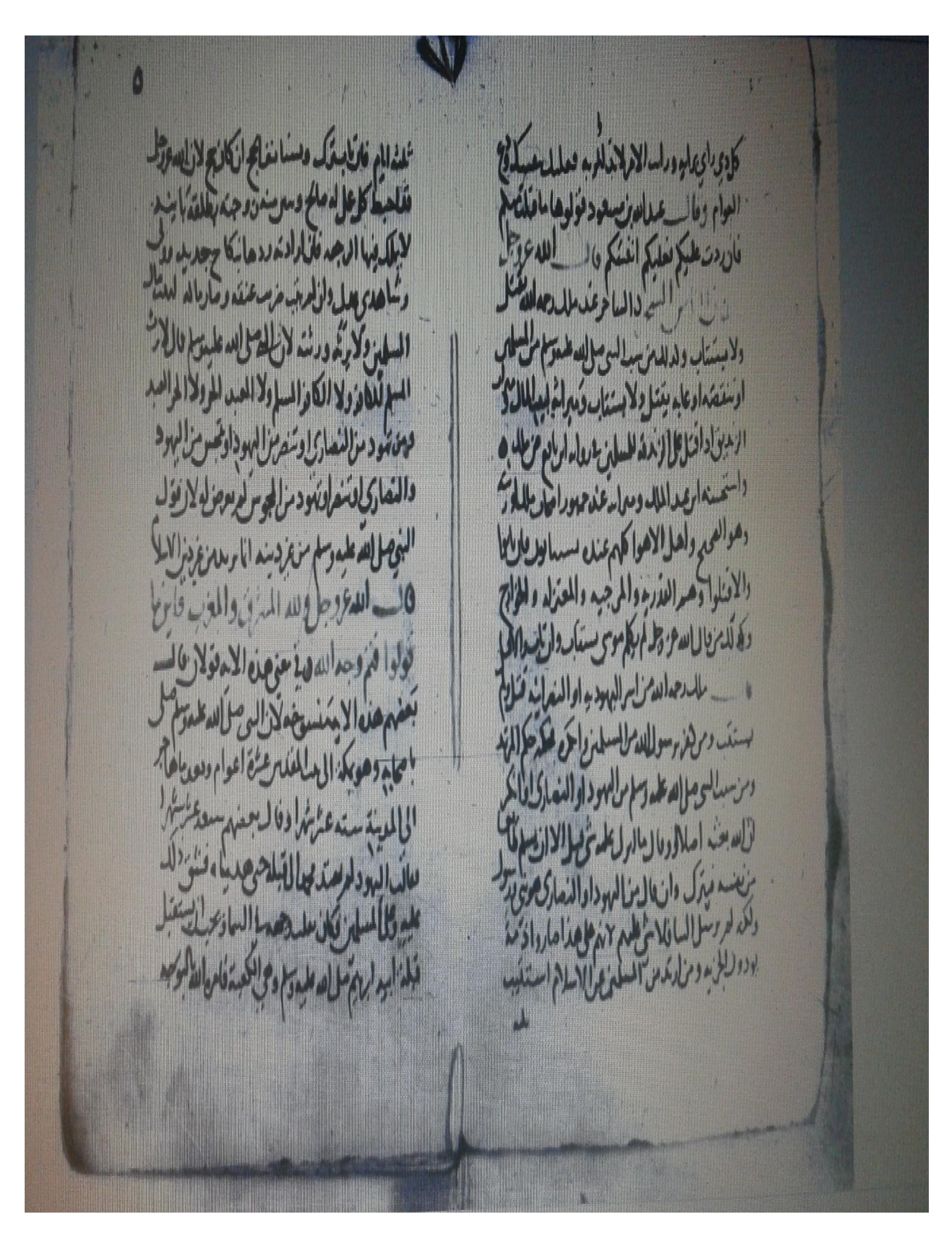
المرفق 02 : اللوحة رقم : (01)



المرفق : 02 : اللوحة رقم : (02)



المرفق : 02 : اللوحة رقم : 02نسخة ثانية



المرفق : 02 : اللوحة المخطوطة : رقم 03



المرفق : 03 اللوحة رقم : 01



المرفق : **03** : اللوحة رقم : **02**



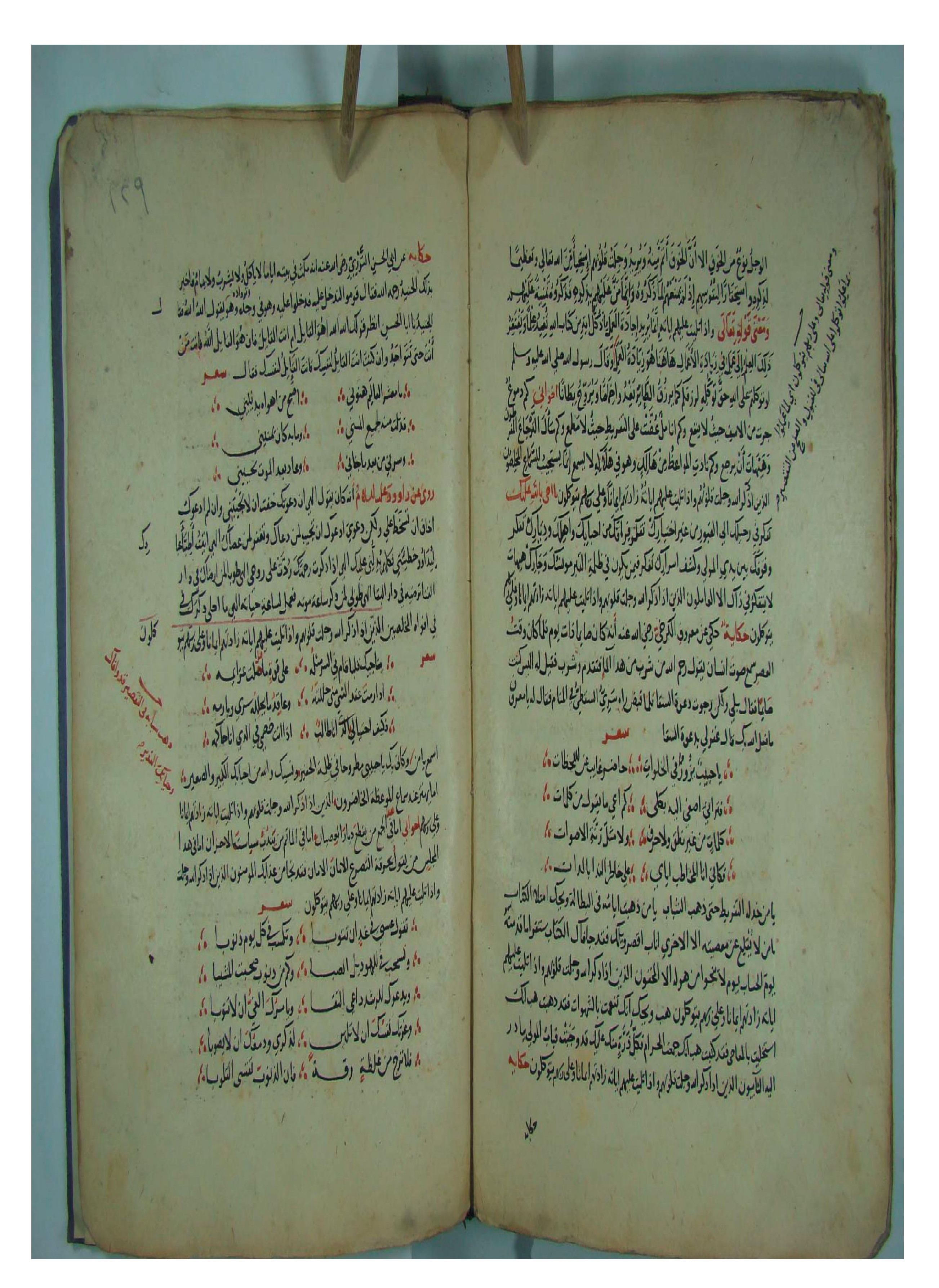
المرفق : **03** : اللوحة رقم : **03**



المرفق : 03 اللوحة رقم : 04



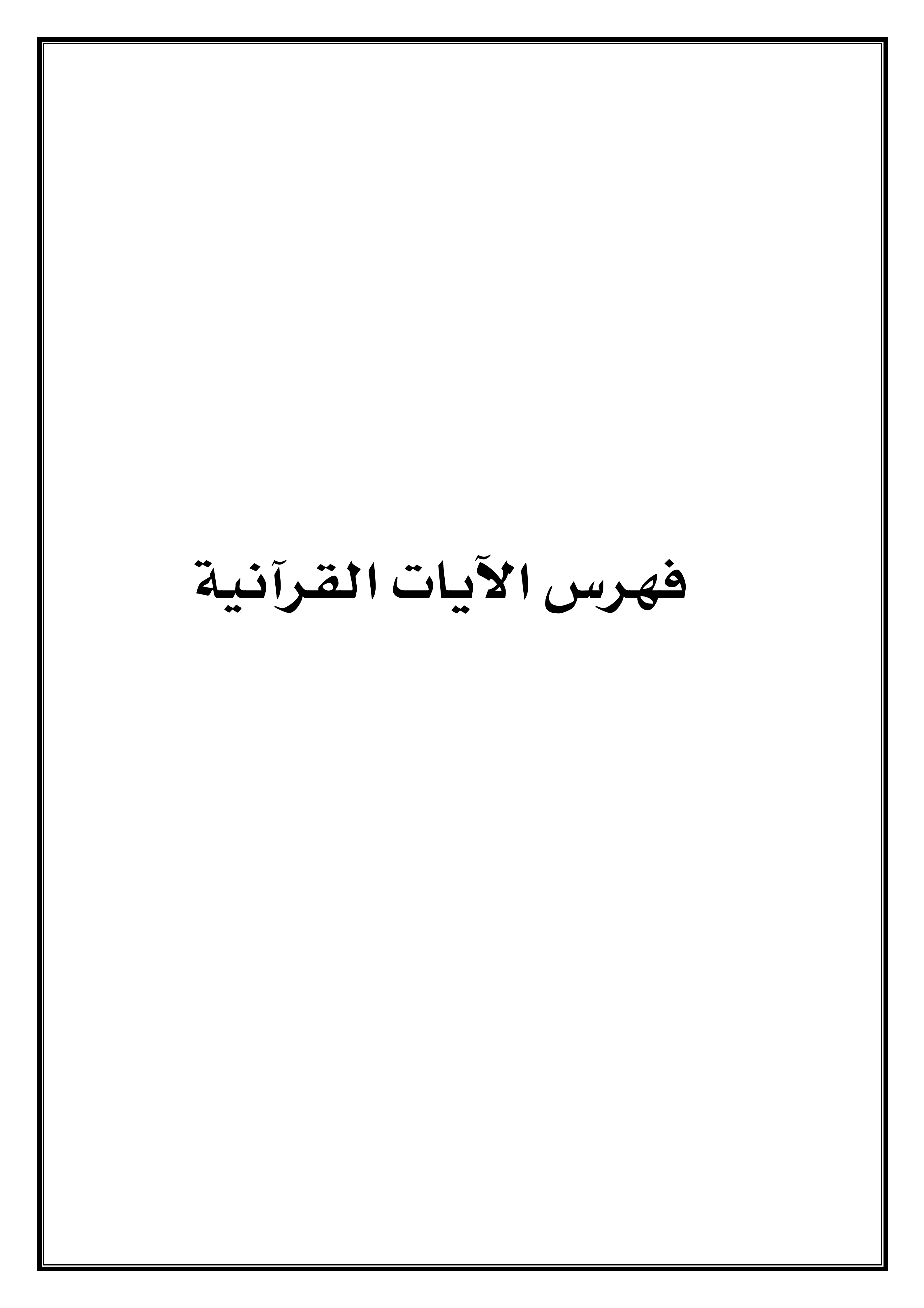
المرفق : 03 : اللوحة رقم : 05



المرفق : 03 : اللوحة رقم : 06

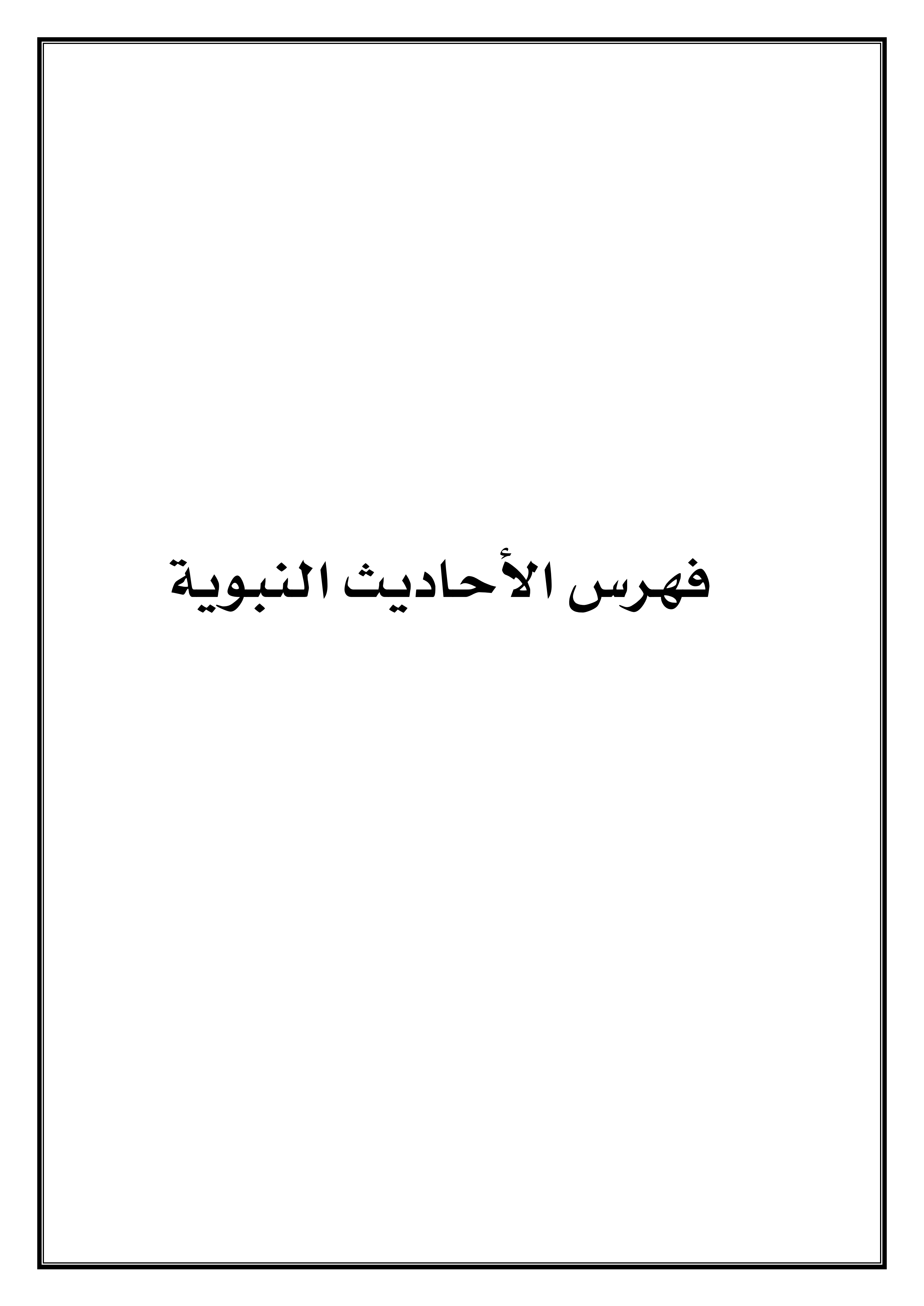


المرفق : **03** : اللوحة رقم : **07**



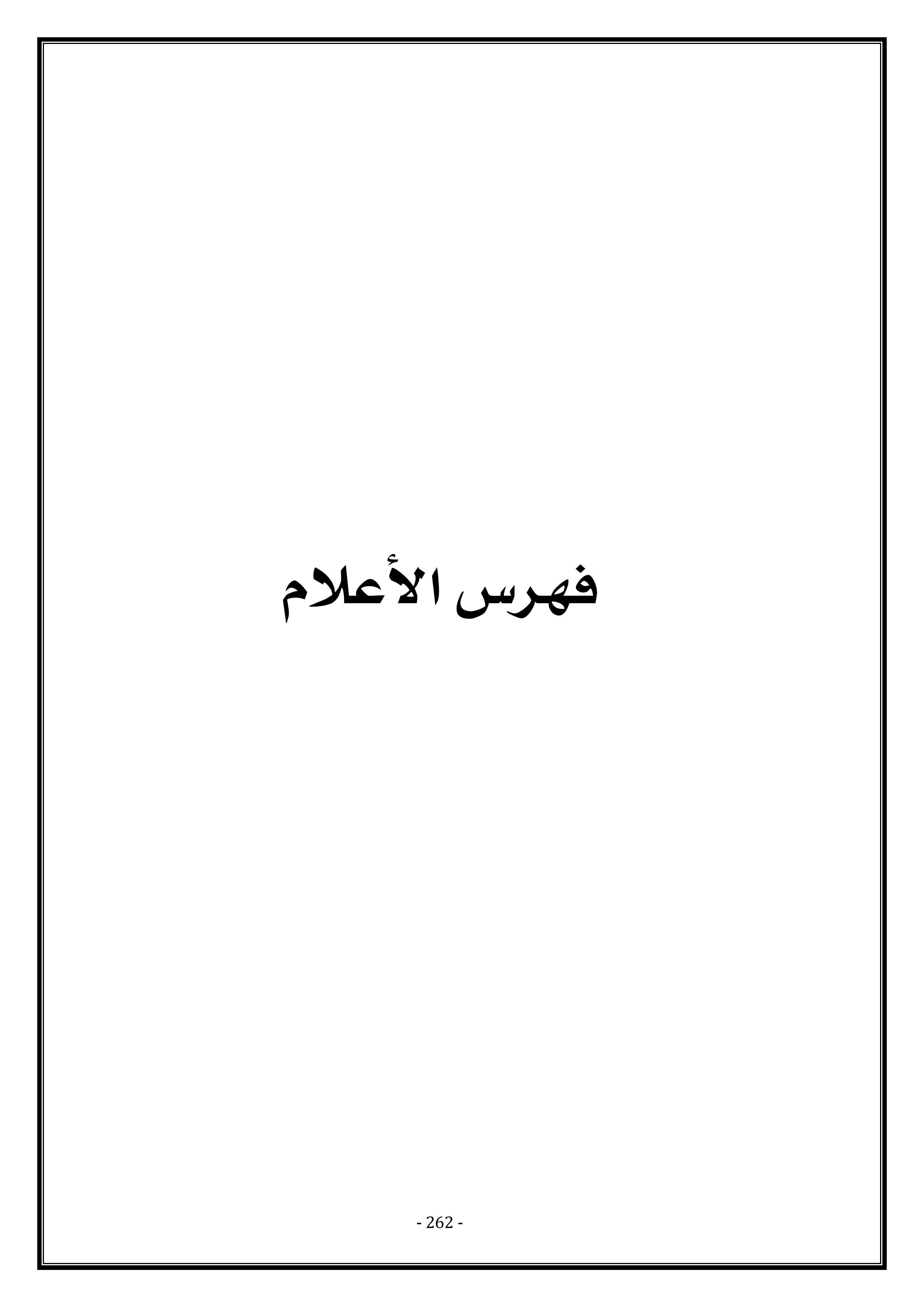
فهرس الآيات القرآنية

فهرس الآيات القرآنية



فهرس الأحاديث النبوية

فهرس الأحاديث النبوية



فهرس الأعلام

العــلـم	الصفحة



فهرس المصادر والمراجع

- **القرآن الكريم** : رواية ورش عن نافع

- **كتب التفسير وعلوم القرآن :**

1. **الباغاني** : أبو العباس أحمد بن علي بن أحمد، أحكام القرآن، ت : محمد شايب شريف، ط 1 (2019م) دار ابن حزم، بيروت، لبنان.
2. **البسيلي** : أبو العباس أحمد بن محمد بن أحمد البسيلي التونسي، التقييد الكبير في تفسير كتاب الله المجيد، دط، دسنة، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، المملكة العربية السعودية، الرياض.
3. **البقاعي** : إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، دط، دت، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة .
4. **أبو بكر الانباري** : محمد بن القاسم بن محمد بن بشار، إيضاح الوقف الابتداء في كتاب الله عزّ وجلّ، ت : محيي الدين عبد الرحمن رمضان، دط(1390هـ . 1971م) مطبوعات مجمع اللغة العربية، دمشق.
5. **ابن تيمية** : أبو العباس أحمد بن عبد الحليم، مقدمة في أصول التفسير، دط (1400هـ . 1980م) دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان.
6. **الثعالبي** : أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف، الجواهر الحسان، ت : محمد علي معوض، ط1، (1418هـ)، دار إحياء التراث، بيروت.
7. **ابن الجزري** : أبو الخير شمس الدين، غاية النهاية في طبقات القراء، ط1 (1351هـ)، مكتبة ابن تيمية.
8. **ابن جني** : أبو الفتح عثمان الموصلي، المحتسب في تبيين شواذ القراءات والإيضاح عنها، ط 1 (1420هـ . 1999م) وزارة الأوقاف، مصر.
9. **أبو الحسن الحرّالي** : تراث أبي الحسن الحرالي المراكشي في التفسير، تقديم وتحقيق : محمادي بن عبد السلام الخياطي، ط1(1418هـ . 1997م)، منشورات المركز الجامعي للبحث العلمي، الرباط.
10. **أبو حيّان** : محمد بن يوسف أثير الدين الأندلسي، البحر المحيط في التفسير، ت : صدقي محمد جميل، دط (1420هـ)، دار الفكر، بيروت.
11. **خالد بن عثمان السبت** : قواعد التفسير . جمعا ودراسة .، ط1 (1421هـ) دار ابن عفان، الجيزة.

12. **ابن خالويه** : أبو عبد الله الحسين بن أحمد، الحجة في القراءات السبع، ت : عبد العال سالم مكرم، ط1(1421هـ . 2000م)، دار الرسالة، بيروت.

13. **الذهبي** : محمد السيد حسين، التفسير والمفسرون، دط، دت، مكتبة وهبة القاهرة.

14. **الزرقاني** : محمد عبد العظيم، مناهل العرفان في علوم القرآن، ط 1 (1424هـ . 2004م) دار الفكر، بيروت، لبنان.

15. **الزركشي** : أبو عبد الله بدر الدين محمد، البرهان في علوم القرآن، ت : محمد أبو الفضل إبراهيم، ط 1 (1376هـ . 1957م) دار إحياء الكتب العربية.

16. **ابن أبي زمنين** : أبو عبد الله محمد بن عبد الله، تفسير الكتاب العزيز، ت : حسين بن عكاشة و محمد بن مصطفى الكنز، ط 1 (1423هـ . 2002م) الفاروق الحديثة، مصر . القاهرة .

17. **السيوطي** : جلال الدين، عبد الرحمن بن أبي بكر، الإتقان في علوم القرآن، ت : محمد أبو الفضل إبراهيم، دط (1394هـ . 1974م) الهيئة المصرية العامة للكتاب.

18. **الطبري** : محمد بن جرير، جامع البيان في تأويل القرآن، ت : أحمد محمد شاكر، ط 1 (1420هـ . 2000م) مؤسسة الرسالة.

19. **الطرهوني** : أبو الأرقم محمد بن رزق، التفسير والمفسرون بغرب إفريقيا، ط 1 (1426هـ) دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، م.ع.س.

20. **ابن عاشور** : محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر، التحرير والتنوير، دط (1984م) الدار التونسية للنشر، تونس.

21. **عبد الحميد ابن باديس** : مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير، ت : أحمد شمس الدين، ط 1 (1416هـ . 1995م) دار الكتب العلمية، بيروت.

22. **ابن عرفة** : محمد بن محمد الورغمي التونسي، تفسير ابن عرفة، ت : جلال الأسيوطي، ط 1 (2008م)دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

23. **ابن عطية** : أبو محمد عبد الحق بن غالب، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ت : عبد السلام عبد الشافي، ط1 (1422هـ) دار الكتب العلمية، بيروت.

24. **علي بن سليمان العبيد** : تفاسير آيات الأحكام ومناهجها، ط1 (1431هـ . 2010م)، دار التدمرية، الرياض . م.ع. السعودية.

25. **أبو عمرو الداني** : عثمان بن سعيد بن عثمان، جامع البيان في القراءات السبع، ط1(1428هـ . 2007م)، جامعة الشارقة، الإمارات.

26. **القشيري** : عبد الكريم بن هوازن، تفسير القشيري المسمّى : لطائف الإشارات، ت : إبراهيم البسيوني، ط 3، دت، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر.

27. **محمد الفاضل بن عاشور** : التفسير ورجاله، مجمع البحوث الإسلامية، دط(1390هـ . 1970م).

28. **محمد المختار اسكندر** : المفسرون الجزائريون عبر القرون، دط، دت.

29. **مصطفى إبراهيم المشيني** : مدرسة التفسير في الأندلس، ط 1 (1406هـ . 1986م) مؤسسة الرسالة، بيروت.

30. **مكي ابن أبي طالب** : أبو محمد القيسي، مشكل إعراب القرآن، ت : حاتم صالح الضامن، ط 2 (1405هـ . 1985م) مؤسسة الرسالة، بيروت.

31. **النيسابوري** : أبو بكر أحمد بن الحسين بن مهران، المبسوط في القراءات العشر ، ت : سبيع حمزة حاكيمي، دط (1981م)، مجمع اللغة العربية، دمشق.

32. **هند شلبي** : مقدمة تفسير يحيى بن سلام التيمي البصري القيرواني، ط 1 (1425هـ . 2004م))، دار الكتب العلمية، بيروت . لبنان .

33. **هود بن محكم الهواري** : تفسير كتاب الله العزيز، ت : بالحاج بن سعيد شريفي، ط1(1990م)، دار الغرب الإسلامي.

34. **يحيى بن سلام** : التصاريف : تفسير القرآن مما اشتبهت أسماؤه وتصرفت معانيه . مقدمة المحققة هند شلبي . (1429هـ . 2008م)، مؤسسة آل البيت الملكية للفكر الإسلامي، عمان، الأردن .

35. **يحيى بن سلام** : تفسير يحيى بن سلام، ت : هند شلبي، ط 1 (1425هـ . 2004م) دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

- **كتب معاجم اللغة :**

36. **الحازمي** : أبو عبد الله أحمد بن عمر، شرح ألفية ابن مالك، المكتبة الشاملة.

37. **ابن حجر العسقلاني** : أبو الفضل أحمد بن علي، المعجم المفهرس. ت : محمد شكور المياديني، ط 1 (1418هـ . 1998م) مؤسسة الرسالة، بيروت.

38. **الراغب الأصفهاني** : أبو القاسم الحسين بن محمد، المفردات في غريب القرآن، ت : صفوان عدنان الداودي، ط 1 (1412هـ) دار القلم، دمشق.

39. **الدمنهوري** : أحمد، حلية اللب المصون على الجوهر المكنون، دط (1994م).

40. **السيوطي** : المزهر في علوم اللغة وأنواعها، ت : فؤاد علي منصور، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1418هـ . 1998م، دار الكتب العلمية، بيروت.

41. **الفيروزآبادي** : أبو طاهر محمد بن يعقوب، القاموس المحيط، ت : مؤسسة الرسالة، ط 8 (1426هـ . 2005م) مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان.

42. **ابن منظور** : أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن علي، لسان العرب، ط 3 (1414هـ) دار صادر، بيروت.

- **كتب متون الحديث وشروحه :**

43. **البخاري** : أبو عبد الله محمد بن اسماعيل، الجامع المسند الصحيح المختصر، ت : محمد زهير بن ناصر، ط 1 (1422هـ) دار طوق النجاة، دمشق.

44. **ابن بطال** : أبو الحسن علي بن خلف، شرح صحيح البخاري، ت : أبو تميم ياسر بن ابراهيم، ط2 (1423هـ . 2003م) مكتبة الرشد، السعودية، الرياض.

45. **البغوي** : أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء، شرح السنة، ت : شعيب الأرنؤوط، ط2 (1403هـ . 1983م)، المكتب الإسلامي، دمشق.

46. **البوني** : عبد الملك مروان بن علي الأسدي، تفسير الموطأ، ط 1(1432هـ . 2011م) وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الدوحة، قطر.

47. **الترمذي** : أبو عيسى محمد بن عيسى، سنن الترمذي، ت : بشار عواد معروف، د.ط(1998م)، دار الغرب الإسلامي، بيروت.

48. **الحاكم النيسبوري** : أبو عبد الله محمد بن عبد الله، المستدرك على الصحيحين، ت : مصطفى عبد القادر عطا، ط 1 (1411هـ . 1990م) دار الكتب العلمية، بيروت.

49. **أبو داود** : سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد الأزدي، سنن أبي داود، ت : محمد محيي الدين عبد الحميد، دط، دت، المكتبة العصرية، صيدا . بيروت.

50. **الربيع بن حبيب الفراهيدي** : الجامع الصحيح المسمى مسند الربيع، ط1 (1424هـ ـ 2003م)، مكتبة مسقط، مسقط .

51. **الزيلعي** : أبو عبد الله محمد بن يوسف بن محمد،تخريج الأحاديث والآثار الواقعة في تفسير الكشاف للزمخشري، ت : عبد الله بن عبد الرحمن السعد، ط1 (1414هـ) دار ابن خزيمة، الرياض.

52. **. ابن عبد البر** : أبو عمر يوسف بن عبد الله القرطبي، التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، ت : محمد بن مصطفى العلوي، دط، (1387هـ)، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المغرب.

53. **مالك بن أنس** : موطأ الإمام مالك، ت : محمد فؤاد عبد الباقي، دط (1406هـ . 1985م)، دار إحياء التراث العربي، بيروت . لبنان ..

54. **ابن مرزوق الخطيب** : تيسير المرام في شرح عمدة الأحكام، ت : سعيدة بحوت، ط1 (1432هـ . 2011م) دار ابن حزم، بيروت، لبنان.

55. **مسلم** : أبو الحسن بن الحجاج القشيري النيسابوري، المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، ت : محمد فؤاد عبد الباقي، دط، دت، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

56. **النسائي** : أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب الخراساني، السنن الكبرى، ت : عبد المنعم شلبي، ط1 (1421هـ . 2001م) مؤسسة الرسالة، بيروت.

57. **اليفرني** : أبو عبد الله محمد بن عبد الحق بن سليمان، الاقتضاب في غريب الموطأ وإعرابه على الأبواب ، ت : عبد الرحمن بن سليمان العثيمين، ط 1 (2001م) مكتبة العبيكان، م ع س.

- **كتب الفقه وأصوله :**

58. **أحمد بن علي بن برهان البغدادي** : الوصول إلى الأصول، ت : عبد الحميد علي أبو زنيد، دط (1403هـ . 1983م)، مكتبة المعارف، الرياض.

59. **البّناني** : محمد بن الحسن، حاشية العلاّمة البناني على جمع الجوامع، دط، دت، دار الفكر.

60. **ابن تيمية** : أبو العباس أحمد بن عبد الحليم، مجموع الفتاوى، ت : عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، دط (1416هـ . 1995م) مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة، م.ع.س.

61. **الداودي** : أبو أحمد بن نصر، كتاب الأموال، ت : رضا محمد سالم شحادة، دط (1429هـ . 2008م) دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

62. **أبو الربيع المزاتي** : التحف المخزونة في إجماع الأصول الشرعية ومعانيها، ت : محمود الأندلوسي، دط (2016م) جامعة السلطان قابوس.

63. **الشاطبي** : إبراهيم بن موسى بن محمد الغرناطي، الموافقات، ت : أبو عبيدة مشهور، ط 1 (1417هـ . 1997م)دار ابن عفان .

64. **الشريف التلمساني** : أبو عبد الله محمد بن أحمد، مثارات الغلط في الأدلة، ت : محمد علي فركوس، ط1(1419هـ . 1998م) مؤسسة الريان ، بيروت، لبنان.

65. **الشريف التلمساني** : أبو عبد الله محمد بن أحمد، مفتاح الوصول إلى بناء الفروع على الأصول، ت : محمد على فركوس، ط1 (1419هـ . 1998م) مؤسسة الريان للطباعة والنشر والتوزيع.

66. **الوغليسي** : عبد الرحمن بن أحمد، المقدمة الوغليسية على مذهب السادة المالكية، ت : أمل محمد نجيب، ط 1 (1428هـ . 2007م)، مركز نيجبويه للمخطوطات.

67. **الونشريسي** : أبو العباس أحمد بن يحيى، المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى أهل إفريقية والأندلس والمغرب، (1401هـ . 1981م)، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المملكة المغربية.

68. **أبو يعقوب الوارجلاني** : بوسف بن إبراهيم بن مناد، العدل والإنصاف في معرفة أصول الفقه والاختلاف، ط 1(1404هـ . 1984م) وزارة التراث القومي والثقافة، سلطنة عمان.

69. **أبو يعقوب الوارجلاني** : يوسف ابراهيم بن مناد، الدليل والبرهان، ت سالم بن أحمد الحارثي، ط2 (1437هـ . 2007م) وزارة التراث والثقافة، مسقط، سلطنة عمان.

- **كتب التراجم والطبقات والسير :**

70. **أحمد بن قاسم البوني** : الدرة المصونة في علماء و صلحاء بونة، ت : سعد بوفلاقة، دط(1428هـ . 2007م) ، منشورات بونة للبحوث والدراسات، عنابة، الجزائر.

71. **الباباني** : اسماعيل بن محمد أمين بن مير سليم، هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين، دط (1951م)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان.

72. **ابن بشكوال** : أبو القاسم خلف بن عبد الملك، الصلة في تاريخ أئمة الأندلس، ت : عزت العطار الحسيني، ط2 (1374هـ . 1955م)، مكتبة الخانجي.

73. **التنبكتي** : أبو العباس أحمد بابا بن أحمد، نيل الابتهاج بتطريز الديباج، تقديم : عبد الحميد الهرامة، ط 2 (2000م) دار الكتاب، طرابلس، ليبيا.

74. **التنسي** : محمد بن عبد الله، نظم الدرر والعقبان في بيان شرف بني زيان، ت : محمود بوعياد، دط (2010م)، منشورات ANEP، رويبة الجزائر.

75. **الثعالبي** : أبو زيد عبد الرحمن بن مخلوف، غنيمة الوافد وبغية الطالب الماجد، ت : محمد شايب شريف، ط 1 (1436هـ . 2005م) دار ابن حزم، بيروت، لبنان.

76. **ابن حجر العسقلاني** : أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد، لسان الميزان ت : دائرة المعارف النظامية بالهند، ط2 (1390هـ . 1971م)، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت . لبنان ..

77. **الحفناوي** : تعريف الخلف برجال السلف، دط (1334هـ . 1906م)، مطبعة بيير فونتانا الشرقية، الجزائر.

78. **ابن خلدون** : عبد الرحمن، التعريف بابن خلدون ورحلته غربا وشرقا، دط (1979م)، دار الكتاب اللبناني، لبنان.

79. **ابن خلدون** : أبو زكريا يحيى بن أبي بكر، بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد، دط(1323هـ . 1903م)، مطبعة بيير فونطانا الشرفية . الجزائر.

80. **الداودي** : شمس الدين محمد بن علي بن أحمد، طبقات المفسرين، دط، دت، دار الكتب العلمية، بيروت.

81. **الدباغ** : أبو زيد عبد الرحمن بن محمد الأنصاري الأسيدي، معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان، دط، دت.

82. **الدرجيني** : أبو العباس أحمد بن سعيد(د. ت) ، طبقات المشايخ بالمغرب، ت : إبراهيم طلاي، مطبعة البعث، قسنطينة، الجزائر.

83. **الذهبي** : أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز، سير أعلام النبلاء ت : شعيب الأرناؤوط، ط3 (1405هـ . 1985م) مؤسسة الرسالة.

84. **الزركلي** : خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الأعلام، ط 15 (2002م)، دار العلم للملايين.

85. **ابن الزيات** : أبو يعقوب يوسف بن يحيى التادلي، التشوف إلى رجال التصوف، ت : احمد التوفيق، ط 2 (1997م).

86. **السخاوي** : شمس الدين محمد بن عبد الرحمن، الضوء اللامع، دط، د سنة، دار مكتبة الحياة، بيروت.

87. **الشماخي** : أحمد بن سعيد بن عبد الواحد، كتاب السير، ت : أحمد بن سعود السيابي، ط2 (1412هـ . 1992م) وزارة التراث القومي والثقافة . سلطنة عمان ..

88. **ابن الصغير** : أخبار الأئمة الرستميين، ت : محمد ناصر و ابراهيم بحاز، دط، دت، دار الغرب الإسلامي بيروت . لبنان.

89. **عادل نويهض** : معجم المفسرين، ط 3 (1409هـ . 1988م)، مؤسسة نويهض الثقافية، بيروت . لبنان ..

90. **عادل نويهض** : معجم أعلام الجزائر . من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر . ط 2 (1400هـ . 1980م) مؤسسة نويهض الثقافية، بيروت، لبنان.

91. **عبد الحليم محمود** : أبو مدين الغوث، دط (1985م) دار المعارف ، القاهرة، مصر.

92. **عبد الله بن محمد بن يوسف** : مناقب التلمسانيين، ت : ماحي قندوز، ط 1 (1439هـ . 2018م) دار الوعي، الجزائر.

93. **أبو العرب** : محمد بن أحمد بن تميم المغربي الإفريقي، طبقات علماء إفريقية، دط، دت، دار الكتاب اللبناني، بيروت . لبنان.

94. **ابن عماد الحنبلي** : أبو الفلاح عبد الحي بن أحمد بن محمد، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، ت : عبد القادر الأرناؤوط، ط 1 (1406هـ . 1986م) دار ابن كثير، دمشق، بيروت.

95. **الغبريني** : أبو العباس أحمد بن أحمد بن عبد الله بن محمد، عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية، ت : رابح بونار، ط 2 (1981م)، الشركة الوطنية للتوزيع والنشر.

96. **ابن فرحون** : إبراهيم بن علي بن محمد، الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، ت : محمد الأحمدي، دط، دت، دار التراث للطبع والنشر . القاهرة.

97. **القاضي عياض** : أبو الفضل بن موسى اليحصبي، ترتيب المدارك وتقريب المسالك، ت : عبد القادر الصحراوي، ط1 (1970م)، مطبعة فضالة، المحمدية . المغرب ..

98. **ابن قنفذ** : أبو العباس أحمد الخطيب، أنس الفقير وعز الحقير، ت : محمد الفاسي، دط (1965م) مطبعة أكدال،الرباط.

99. **الكتاني** : أبو عبد الله محمد بن جعفر بن ادريس، سلوة الأنفاس ومحادثة الأكياس بمن أقبر من العلماء والصلحاء بفاس، ت : عبد الله الكامل الكتاني، ط1(1425هـ .2004 م) دار الثقافة، الدار البيضاء.

100. **المالكي** : أبو بكر عبد الله بن محمد، رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وإفريقية وزهادهم ونساكهم وسير من أخبارهم وفضائلهم وأوصافهم، ت : بشير بكوش، ط2 (1414هـ . 1994م)، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان.

101. **محمد بن موسى باباعمي ومجموعة من الأساتذة،** معجم أعلام الإباضية من القرن الأول الهجري إلى العصر الحاضر،ط 1 (1420هـ . 1999م)، جمعية التراث، القرارة، غرداية.

102. **ابن مخلوف** : محمد بن محمد بن عمر، شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، ت : عبد المجيد خيالي، ط 1 (1424هـ . 2003م)، دار الكتب العلمية، لبنان.

103. **ابن مريم** : أبو عبد الله محمد بن محمد بن أحمد الشريف المليتي المديوني، البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان، ت : محمد بن أبي شنب، دط (1326هـ . 1908م) المطبعة الثعالبية، الجزائر.

104. **المقري** : شهاب الدين أحمد بن محمد، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ت : إحسان عباس، ط 1 (1997م) دار صادر بيروت، لبنان.

105. **المقري** : شهاب الدين أحمد بن محمد، أزهار الرياض في أخبار عياض، ت : سعيد أحمد أعراب، عبد السلام الهراس، دط (1400هـ . 1980م) مطبعة فضالة، المحمدية، المغرب.

106. **النبهاني** : يوسف بن إسماعيل، جامع كرامات الأولياء. ت : ابراهيم عطوة عوض، ط 1 (1422هـ . 2001م)، مركز أهل السنة، الهند.

107. **الوسياني** : أبو الربيع سليمان بن عبد السلام، سير الوسياني، ت ودراسة: عمر بن لقمان حمو سليمان بوعصبانة، ط 1(1430هـ . 2009م)، وزارة التراث والثقافة، مسقط، سلطنة عمان.

108. **ابن هشام** : أبو محمد عبد الملك بن هشام، السيرة النبوية، ت : مصطفى السقا، ط2 (1375هـ . 1955م) شركة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر.

- **كتب التاريخ :**

109. **إبراهيم بن صالح بابا حمو أعزام** : غصن البان في تاريخ وارجلان، ت : إبراهيم بن بكير بحاز وسليمان بن محمد بومعقل.

110. **ابن الأثير** : أبو الحسن علي بن أبي الكرم، الكامل في التاريخ، ت: عمر عبد السلام تدمري، ط1 (1417هـ . 1997م)، دار الكتاب العربي، بيروت . لبنان .

111. **أحمد توفيق المدني** : كتاب الجزائر، دط، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر.

112. **ابن الأحمر** : تاريخ الدولة الزيانية بتلمسان، ت : هاني سلامة، ط 1 (1421هـ . 2001م)، مكتبة الثقافة الدينية للنشر والتوزيع ، القاهرة.

113. **البكري** : أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز بن محمد، المسالك والممالك، دط، (1992م)، دار الغرب الإسلامي.

114. **التنسي** : محمد بن عبد الله، نظم الدرر والعقبان في بيان شرف بني زيان، ت : محمود بوعياد، دط، (1985م)، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر.

115. **التنسي** : محمد بن عبد الله التنسي، تاريخ بني زيان ملوك تلمسان، ت : محمود آغا بوعياد، دط، (2011م)، موفم للنشر، الجزائر .

116. **حسين مؤنس** : معالم تاريخ المغرب والأندلس،طبعة خاصة (2004م)، دار الرشاد، القاهرة.

117. **الحموي** : شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي، معجم البلدان،ط2 (1995م)، دار صادر . بيروت.

118. **ابن الخطيب** : محمد بن عبد الله بن سعيد الغرناطي الأندلسي، الإحاطة في أخبار غرناطة، ط1 (1424هـ) دار الكتب العلمية، بيروت.

119. **ابن خلدون** : أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن محمد ابن خلدون، العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، ت : خليل شحادة، ط 2 (1408هـ . 1988م) دار الفكر، بيروت.

120. **دبوز** : محمد علي، تاريخ المغرب الكبير، (2010 م)، مؤسسة تاوالت الثقافية.

121. **سعد الله** : أبو القاسم، تاريخ الجزائر الثقافي،طبعة خاصة (2007م)، دار البصائر للنشر والتوزيع . الجزائر.

122. **ابن سلّام الأباضي**: كتاب فيه بدء الإسلام وشرائع الدين، ت : قيرز شقارتس و الشيخ سام بن يعقوب، دط (1406هـ . 1986م) ، دار النشر فرانز شتايز بقيسبادن.

123. **الطاهر بونابي** : التصوف في الجزائر خلال القرنين 6 و7 الهجريين، دط (2004م) دار الهدى، عين مليلة.

124. **ابن عبد الحكم** : أبو القاسم المصري عبد الرحمن بن عبد الله، فتوح مصر والمغرب، د.ط (1415هـ)، مكتبة الثقافة الدينية.

125. **ابن العذاري** : أبو عبد الله محمد بن محمد المراكشي، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، ت : ليفي بروفنسال،ط3 (1983م)، دار الثقافة، بيروت . لبنان.

126. **عبد الرحمن الجيلالي** : تاريخ الجزائر العام، ط2 (1384هـ . 1965م) مكتبة الشركة الجزائرية . الجزائر..

127. **عبد العزيز الثعالبي** : تاريخ شمال إفريقيا من الفتح الإسلامي إلى نهاية الدولة الأغلبية، ت : أحمد بن ميلاد و محمد إدريس، ط 1 (1407هـ . 1987م)، دار الغرب الإسلامي، بيروت . لبنان.

128. **عبد العزيز فيلالي** : تلمسان في العهد الزياني (دراسة عمرانية، سياسية، إجتماعية، ثقافية)، دط (2002 م)، موفم للنشر والتوزيع، الجزائر.

129. **ابن الفرضي** : أبو الوليد عبد الله بن محمد بن يوسف بن نصر، تاريخ علماء الأندلس، ت : السيد عزت العطار، ط 2 (1408هـ . 1988م)، مكتبة الخانجي . القاهرة.

130. **محمد السعيدي الرجراجي** : رباط شاكر (سيدي شيكر والتيار الصوفي حتى القرن السادس الهجري) ط 1 (1431هـ . 2010م)، وليلي للطباعة والنشر، مراكش.

131. **محمد الفاسي** : أزهار البساتين في أخبار الأندلس والمغرب على عهد المرابطين والموحدين، دط (1349هـ) المطبعة الوطنية، الرباط.

132. **محمود اسماعيل عبد الرزاق** : الخوارج في بلاد المغرب حتى منتصف القرن الرابع الهجري، ط 2 (1406هـ . 1985م)، دار الثقافة، الدار البيضاء . المغرب.

133. **المراكشي** : عبد الواحد بن علي التميمي، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، ت : صلاح الدين الهواري، ط 1 (1426هـ . 2006م) المكتبة العصرية، صيدا، بيروت.

134. **ابن منظور** : أبو الفضل جمال الدين، مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر، ت : روحية النحاس و عبد الحميد مراد ومحمد مطيع، ط1 (1402هـ . 1984م)، دار الفكر، دمشق . سوريا.

135. **المهدي بوعبدلي** : الأعمال الكاملة للمهدي بوعبدلي، جمع وإعداد : عبد الرحمن دويب،ط 3 (2013م)، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، المحمدية . الجزائر .

136. **الميلي** : مبارك بن محمد، تاريخ الجزائر في القديم والحديث، دط (1406هـ . 1986م)، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر بالاشتراك مع دار الغرب الإسلامي، بيروت . لبنان.

137. **الواقدي** : أبو محمد عبد الله بن عمر، فتوح إفريقية، دط (1896م).

138. **الوزّان** : الحسن بن محمد الفاسي (المعروف بليون الإفريقي)، وصف إفريقيا، ط 2 (1983م)دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان.

139. **يحيى ابن خلدون** : بغية الرواد في ذكر ملوك بني عبد الواد، ت : بوزياني الدراجي، ط 1(2007م)،دار الأمل للدراسات والنشر والتوزيع، الجزائر.

- **المعاجم والفهارس والبرامج والرحلات :**

140. **ـابن الأبار** : أبو عبد الله محمد بن أبي بكر القضاعي، المعجم في أصحاب القاضي الإمام أبي علي الصدفي، ط 1 (1420هـ . 2000م) مكتبة الثقافة الدينية ، الظاهر.

141. **البلوي** : أبو جعفر أحمد بن علي، ثبت البلوي، ت : عبد الله العمراني، ط 1 (1403هـ) دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان.

142. **البلوي** : خالد بن عيسى، رحلة البلوي : تاج المفرق في تحلية علماء المشرق، ت : الحسن السائح، دط، دت، مطبعة فضالة، المحمدية، المغرب.

143. **ابن خير الإشبيلي** : أبو بكر محمد بن خير بن عمر بن خليفة اللمتوني، فهرست الإشبيلي، ت : محمد فؤاد منصور، ط 1 (1419هـ . 1998م)، دار الكتب العلمية، بيروت . لبنان .

144. **المجاري** : أبو عبد الله محمد بن محمد بن علي، برنامج المجاري، ت : محمد أبو الأجفان، ط 2 (1400هـ . 1982م) دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان.

145. **محمد بن عبد الله الترمسي** : كفاية المستفيد لما علا من الأسانيد، دط، دت، دار البشائر الإسلامية، بيروت.

146. **مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية** : خزانة التراث : فهرس مخطوطات، المملكة العربية السعودية، المكتبة الشاملة.

147. **مؤسسة آل البيت** : الفهرس الشامل للتراث العربي الإسلامي المخطوط، ط2 (1987م)،، مآب.

148. **الكتاني** : محمد عبد الحي بن عبد الكبير، فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات، ت : إحسان عباس،ط2 (1982م) دار الغرب الإسلامي، بيروت.

149. **أبو صفوان ذياب بن سعد الغامدي** : الوجازة في الأثبات والإجازة، ط1(1428هـ) دار قرطبة، بيروت، لبنان.

150. **القلصادي** : أبو الحسن علي الأندلسي، رحلة القلصادي، د.ت : محمد أبو الأجفان، دط (1978م)، الشركة التونسية للتوزيع، تونس.

151. **العبدري** : محمد البلنسي، الرحلة المغربية، تقديم سعد بوفلاقة، ط1(1428هـ . 2007م)، منشورات بونة للبحوث والدراسات، بونة، الجزائر.

152. **الورثيلاني** : سيدي الحسين بن محمد، نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار المشهورة بالرحلة الوارثلانية، دط (1326هـ . 1908م)، مطبعة بيير فونتانا الشرفية، الجزائر.

153. **اليعقوبي** : أبو يعقوب أحمد بن إسحاق، البلدان، ط 1 (1422هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت. .

- **كتب أخرى :**

154. **أبو اسحاق اطفيش** : الدعاية إلى سبيل المؤمنين، دط (1342هـ . 1923هـ) المطبعة السلفية.

155. **البشير الإبراهيمي** : العقائد الإسلامية لعبد الحميد ابن باديس، ط 1 (1416هـ . 1995م) دار الفتح، الشارقة، إ.ع.م.

156. **بشير بن ضيف بن أبي بكر الجزائري** : فهرست معلمة التراث الجزائري بين القديم والحديث، مراجعة : عثمان بدري، ط 2، دت، منشورات ثالة، الأبيار، الجزائر.

157. **حاجي خليفة** :كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، دط (1941م)، دار الكتب العلمية، لبنان.

158. **حسن حسني عبد الوهاب** : العمر في المصنفات والمؤلفين التونسين، ط1(1990م)، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان.

159. **السالمي** : أبو محمد عبد الله بن حميد – مشارق أنوار العقول – تعليق : الدكتور عبد الرحمن عميرة، ط 1 (1409هـ – 1989م) دار الجيل، بيروت، لبنان.

160. **الشاطبي** : أبو إسحاق إبراهيم بن موسى، الإفادات والإنشادات، ت : محمد أبو الأجفان، ط 1 (1403هـ . 1983م) مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان.

161. **ابن عجيبة** : أحمد بن محمد الحسني، إيقاظ الهمم شرح متن الحكم، دط، دت، دار المعارف، القاهرة.

162. **العقباني** : أبو عثمان سعيد بن محمد، شرح العقيدة البرهانية، (مع العقيدة البرهانية والفصول الإيمانية) لأبي عمرو عثمان السلالجي، ت : نزار حمادي، ط1 (1429هـ . 2008م) مؤسسة المعارف، بيروت، لبنان .

163. **عبد الله كنون** : النبوغ المغربي في الأدب العربي، ط2، د. ت.

164. **أبو عمار عبد الكافي** : الموجز، ت : عبد الرحمن عميرة، ط 1 (1990م) دار الجيل للطبع والنشر والتوزيع.

165. **الغزالي** : أبو حامد، المنقذ من الضلال، ت : عبد الحليم محمود، دط، دت، دار الكتب الحديثة، مصر.

166. **ابن مرزوق الخطيب** : أبو عبد الله محمد بن أحمد، جنى الجنتين في شرف الليلتين، ت : إبراهيم بن راشد المريخي، ط 1 (1437هـ . 2016م) دار الضياء، الكويت.

167. **ابن مرزوق الخطيب** : المسند الصحيح الحسن في مآثر ومحاسن مولانا أبي الحسن، ت : ماريا خيسوس بيغيرا، دط(1401هـ . 1981م)الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر.

168. **المقري** : أبو عبد الله محمد بن محمد، الحقائق والرقائق ، ت : عمرو سيد شوكت، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

169. **المقري** : أبو عبد الله محمد بن محمد بن أحمد، القواعد، ت : أحمد بن عبد الله بن حميد، مركز إحياء التراث الإسلامي، م.ع. س، مكة المكرمة.

- **الرسائل والمذكرات** :

170. **بركات إسماعيل** : الدرر المكنونة في نوازل مازونة (دراسة وتحقيق) مذكرة ماجستير في التاريخ الإسلامي الوسيط، جامعة منتوري، قسنطينة، (2009 . 2010).

171. **جمال بن محمد السيد** : ابن القيم الجوزية وجهوده في خدمة السنة، الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة ط 1، سنة 2004م.

172. **نادية وزناجي** : التفسير الشفاهي وأثره في الإصلاح الحديث، أطروحة دكتوراه، جامعة الحاج لخضر باتنة، السنة الدراسية (2007 . 2008).

- **المجلات والدوريات** :

173. **خضير بن بكير بابا واعمر** : فلسفة الأخلاق عند الشيخ امحمد بن يوسف اطفيش، مجلة الواحات للبحوث والدراسات، العدد 14 (2011م).

174. **عبد الرحمن الجيلالي** : أبو يعقوب الوارجلاني وكتابه الدليل والبرهان، مجلة الأصالة، العدد 41، الجزائر، (1397هـ . 1977م).

175. **عثمان الكعاك** : تلمسان ونشأة الدولة الموحدية، الأصالة، العدد 26 ، الجزائر (أوت 1975م).

176. **عمرو خليفة الشامي** : ملامح عن الحركة العلمية بورجلان ونواحيها منذ انتهاء الدولة الرستمبة حتى أواخر القرن السادس الهجري، الأصالة، العدد 42 . 43، الجزائر (مارس 1977م).

177. **يحيى بن بُهون حاج امُحمّد** : المكتبات وخزانات المخطوطات ببلدية تجنينت بوادي مزاب، مجلة الواحات للبحوث والدراسات، جامعة غرداية، المجلد 7 العدد 2 (2014).

الملخص : تتناول هذه الدراسة جذور حركة التفسير الجزائرية، وامتدادها العريق وسندها المتّصل الذي يصل إلى القرن الأول الهجري والصحابة الفاتحين، والأدوار العلمية التي مرّت بها، وكيف تطوّر التفسير بالجزائر، وترنّحات ذلك بين الازدهار والركود منذ الفتح الإسلامي إلى القرن الثامن الهجري، إضافة إلى إحصاء أبرز أعلام التفسير الجزائريين، والإشارة إلى إنتاجهم التفسيري ومظانّه، والملامح العامّة لمناهج تفاسير هؤلاء الأعلام واتجاهاتهم، وإثبات الاتصال الوثيق لهم بمدارس التفسير المشرقية والأندلسية.

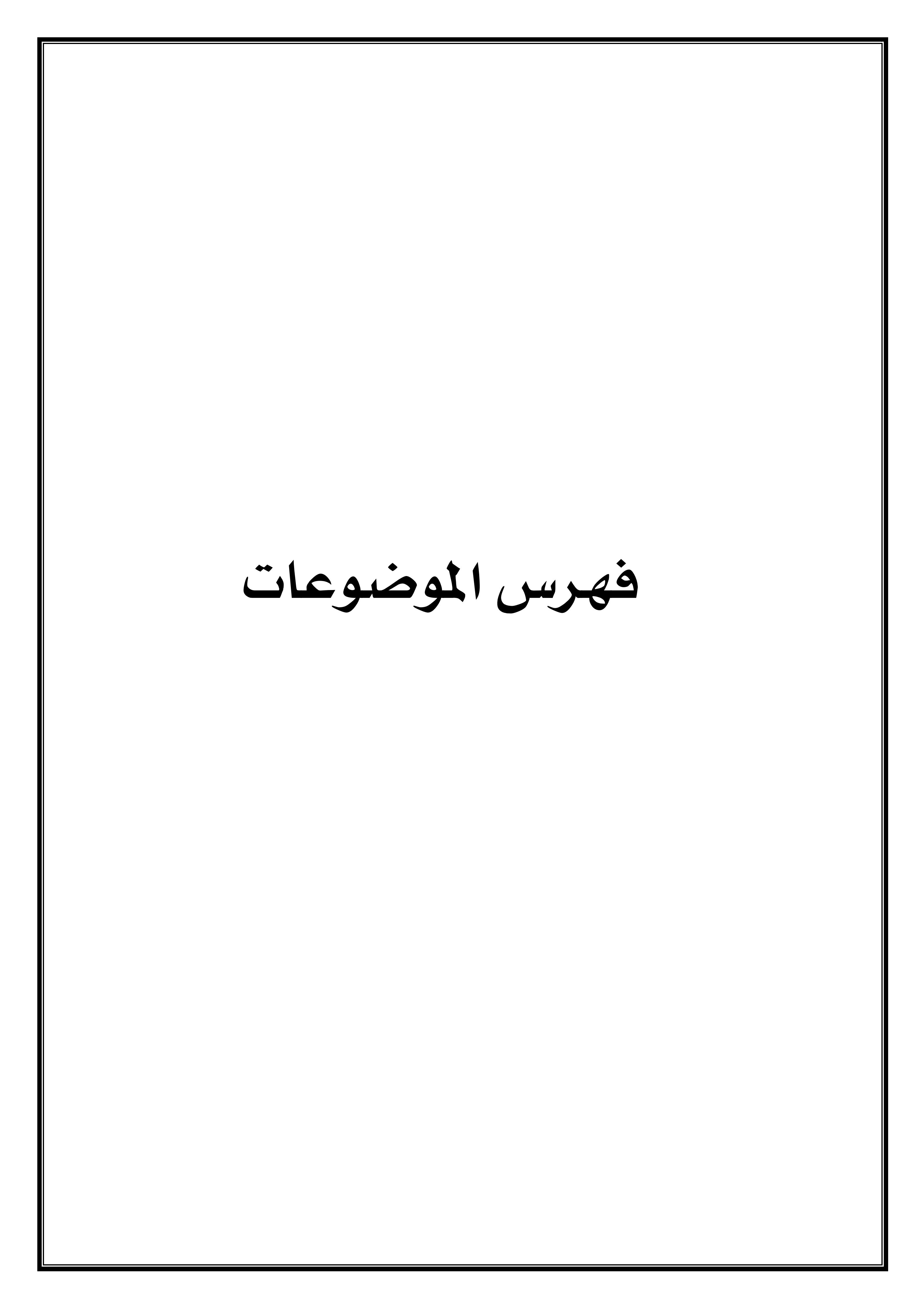
كلمات المفتاحية : حركة، التفسير، القرآن الكريم، الفتح الإسلامي، الجزائر.

Résumé : cette étude porte sur les racines du mouvement de l'exégèse du Saint Coran en Algérie, son profond étendu, son lien connexe qui émane des premières années hégiriennes et des conquérants compagnons du prophète ainsi que les rôles scientifiques que cette discipline a traversés et comment s'est développé l'exégèse du Coran en Algérie et son balancement de l'apogée à la stagnation depuis la conquête islamique au huitième siècle hégirien en plus de l'inventaire des plus éminents érudits algériens de l'exégèse tout en signalant leurs œuvres , leurs intentions et les traits généraux de leurs méthodologies et de leurs orientations et la preuve tangible de leur contact étroit avec les écoles andalouses et orientales de l'exégèse du Coran.

Mots clés : Mouvement ; exégèse ; Saint Coran ; conquête islamique ; Algérie

Abstract : This study examines the roots of the exegesis movement of Holy Quran in Algeria, its overall scope, its continuous link which reaches to the companions of the prophet of the first century AH as well as the scientific roles that this discipline has gone through and how this exegesis developed and its scope fluctuated between zenith and nadir since the Islamic conquest to the eighth century AH. Moreover, the study also takes into account the works of the most eminent Algerian scholars of exegesis, their opinions, their orientations and the general features of their methodologies besides proving their close contact with Andalusian and Oriental schools of Quranic exegesis.

Key words: Movement ; Exegesis ; Holy Quran ; Islamic conquest ; Algeria



فهرس الموضوعات

الفصل الرابع : خصائص مدرسة التفسير الجزائرية واتجاهاتها